شكرا لمن رفع الكتاب على الشبكة، قمنا بتنسيق الكتاب وتخفيض حجمه
مكتبة فلسطين للكتب المصورة
https://palstinebooks.blogspot.com

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والفنون

الدكتور أحمد جاسم النجدي

منهج البحث الأدبي عند العرب

وزارة الثقافة والفنون - الجمهورية العراقية
١٩٧٨
سلسلة دراسات
(١٥٤)

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٣٥٩ لسنة ١٩٧٨

منهج البحث الأدبي
عند العرب

الدكتور أحمد جاسم النجدي

المقدمة

منهج البحث هو مجموع الخطوات العلمية التي يسلكها الدارس للوصول الى حقيقة معينة ، وهو لهذا على ارتباط وثيق بالحياة العلمية والثقافية للأمم ، يتطور بتطورها ، ويضمحل وينعدم حين يكون حظ تلك الأمم من الثقافة ضئيلا معدوما .

وقد قام العرب منذ بداية العصر العباسي بأعمال ثقافية وعلمية متعددة . ولهذا كان من الطبيعي أن يتوصلوا خلال أعمالهم العلمية والثقافية هذه الى خطوات علمية منظمة في البحث والتأليف توجدها التجربة المستمرة والتفكير العقلي المنظم وكان من الطبيعي ايضا أن تنمو هذه الخطوات العلمية وتتطور بمرور الزمن حتى تصبح قواعد ومبادىء مسلما بها ، مكونة بالضرورة ما نسميه في المصطلح الحديث بمنهج البحث .

وقد نادى بهذه الفكرة دارسون من الغربيين والعرب ، فكان منهم العالم الايطالي ألدو ميلي الذي كتب مباحث عديدة بعنوان «العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي» وأشار خلال هذه المباحث الى معرفة العرب بالمنهج الاستدلالي والجدلي فيما لاحظه من اتباع المعتزلة والمتكلمين لطريقة البحث الاستدلالية الجدلية[1]، كما أشار الى معرفة العرب بالمنهج التجريبي في البحث

وذلك عندما تكلم على العالم العربي ابن الهيثم وبين أثره في علماء أوربة في عصر النهضة ممن نسب اليهم وضع المنهج التجريبي كروجر بيكون ووايتلو[1].

وألف المستشرق روزنثال كتاباً بعنوان «مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي» فعرض بضعة أعمال علمية للعلماء العرب في مجالات متعددة وحقب زمنية متفاوتة ، فوجد من خلال هذه النماذج أفكارا تدل على وجود خطوات علمية منظمة في البحث .

وقال الدكتور اسد رستم في مقدمة كتابه مصطلح التاريخ ان «القواعد التي وضعها الأئمة منذ قرون عديدة للتوصل الى الحقيقة في الحديث تتفق في جوهرها وبعض الأنظمة التي اقرها علماء أوربة فيما بعد في بناء علم المثودولوجية» .

ووضع الدكتور علي سامي النشار رسالة جامعية بعنوان «مناهج البحث عند مفكرى الاسلام» فرأى من خلالها - كما ذكر في مقدمته - أن المسلمين كانوا الواضعين الحقيقيين للمنهج التجريبي في البحث ، وذكر في خاتمة رسالته ما يفيد أن المسلمين كانوا كذلك الواضعين الحقيقيين للمنهج الاستردادي والمنهج الجدلي .

وكتب الدكتور عثمان موافي رسالة جامعية أيضا بعنوان «منهج النقد التاريخي عند المسلمين والمنهج الأوربي» وانتهى الى القول بأن المسلمين عرفوا منهج النقد التاريخي بالشكل العلمي الذي عرف عند الغربيين .

وهذه الدراسات جميعا تكشف عن معرفة العرب بمناهج البحث العلمي في مجالات العلوم والفلسفة والتاريخ ، الا انها لم تنظر الى منهج البحث عند العرب نظرة شاملة متكاملة تستوعب خطواته كافة ابتداء باختيار الموضوع وتحديده وانتهاء باخراج البحث اخراجا نهائيا ، وهي زيادة على هذا لم تدرس المنهج الأدبي عند العرب ، ولهذا كان من الضرورة العلمية التي يستوجبها

---

(١) العلم عند العرب ٩٦ - ٩٧ .

(٢) المصدر نفسه ٢٠٦ - ٢٠٩ .

تاريخ الحضارة العربية اتمام هذه الدراسات بوضع دراسة خاصة بالتأليف الأدبي عند العرب ومحاولة تبين ما توصلوا اليه من منهج علمي متكامل للبحث في هذا المجال يمكن أن نطلق عليه اسم «منهج البحث الأدبي عند العرب» . ولهذا فكرت في دراسة هذا الموضوع مستهديا بما صار مقررا حديثا خطوات المنهج العلمي في البحث الأدبي ، فتوجهت الى الكتب الأدبية القديمة أدرسها دراسة استقرائية فاحصة في محاولة للوقوف على الخطوط الأساسية للمنهج العلمي في البحث الأدبي عند العرب .

ويمكن تحديد الكتب الأدبية التي قمت بدراستها بمجموعات خمس :

الأولى : كتب الأدب الجامعة كالبيان والتبيين للجاحظ وما شابهه من الكتب التي سارت على منواله في الجمع والتأليف .

الثانية : كتب التراجم الأدبية ، أما التراجم العامة فقد عنيت بما كان خاصا فيها بالأدب والأدباء ، لكون التراجم العامة جزءاً من علم التاريخ في مفهوم المؤلفين القدامى .

الثالثة : كتب البلاغة والنقد الأدبي عند العرب ، وقد درست في هذه الكتب ما يتعلق بمنهج البحث والتأليف فقط .

الرابعة : كتب الاختيارات الأدبية ، وواضح ان الاستفادة من هذه الكتب في مجال تبين منهج للبحث تكون قليلة ، اذ انها اختيار وتبويب فقط ، وتشبهها في هذا الدواوين الشعرية ومجموعات رسائل الأدباء القدامى التي لاتفيد كثيرا في موضوع هذه الدراسة .

الخامسة : الكتب التي تتعلق بالناحية العلمية في التأليف ككتب التصحيف والتحريف وكتب الفهرسة العامة للمؤلفات القديمة .

وعلى الرغم من أن القدامى عدوا علوم النحو والصرف من علوم الأدب ، لم أكن لأستفيد من هذه الكتب شيئاً كثيرا في تبيان منهج البحث الأدبي ، اذ ان هذه الكتب خضعت في دراستها لأساليب الفقه والمنطق مما

أبعدها كثيرا عن مجال البحث الادبي ، ثم انها يمكن أن تخصص لها دراسة مستقلة بعنوان «منهج البحث اللغوى عند العرب» . هذا ومن المعروف أن في البحث عناصر مشتركة بين العلوم الانسانية كافة ، فهي مع استقلال كل علم منها بمنهج معين تلتقي بأمور وخطوات علمية تنتظمها جميعا ، ولهذا السبب رجعت الى بعض كتب مصطلح الحديث والتاريخ والكلام ، وكان رجوعي اليها بالقدر الذي يستوجبه ايضاح نقطة خاصة في المنهج أو تتبعها .

والحقبة الزمنية التي حددت بحثي بها تبدأ من أواسط القرن الثاني للهجرة - وهو عصر بداية التأليف الأدبي - وتستمر حتى نهاية العصر المغولي وبداية العصر العثماني ، ذلك أنني أحاول في هذه الدراسة التوصل الى ماهية منهج البحث الأدبي عند العرب القدامى ، وهذه الحقبة المنتهية بانتهاء العصر المغولي هي التي يمكن أن تنتهي بها العصور القديمة للتاريخ العربي الاسلامي . والحقيقة أنني - كما سيتضح من فصول البحث كافة - لم استطع الاستفادة كثيرا من معظم المؤلفات التي جاءت بعد القرن السابع لما غلب عليها من جمود واعادة وتكرار للمؤلفات السابقة ، الا أن الذي حملني على مد الحقبة الزمنية للبحث الى ما بعد القرن السابع أمران ، أولهما : ظهور كتب تعد خلاصة ما توصل اليه المؤلفون السابقون في مناهج التأليف كتذكرة ابن جماعة ، وثانيهما : ظهور موسوعات ادبية تمثل أقصى ما وصل اليه الكتاب العربي من اهتمام بالتبويب والتقسيم والمصطلحات كنهاية الأرب وصبح الاعشى .

قدمت الكتب الأدبية خلال الحقبة الزمنية التي حددتها آنفاً معلومات عديدة نفيسة عن هذا الموضوع الذي فكرت في دراسته ، ونظرت في هذه المعلومات المتجمعة أدرسها وأوزعها على مجموعات متميزة يمكن ان تتحدد بها معالم الموضوع وخطوطه الاساسية والفرعية فقدمت تمهيداً موجزاً في تطور حركة التأليف الادبي عند العرب ليكون تقديماً مناسباً للموضوع . ثم رأيت في كثير مما تجمع لدي من نصوص معلومات تدل على انه كان للمؤلفين العرب منهج متكامل للبحث الادبي يلتزم به الكثيرون ويطبقونه ، فقررت تقديم اهمها في

الفصل الاول من هذا البحث لتكون دليلاً على ان ما سيتلوها من فصول تتناول مراحل منهج البحث الادبي بخطواته كافة ، لم يكن مجرد لقطات ذكية لبعض المؤلفين وانما هو اظهار لمنهج معروف متكامل عند القدامى . ومن ثم كانت الفصول التالية لهذا الفصل الاول تتناول مراحل البحث وخطواته جميعاً وعددها ثمانية فصول رتبتها على حسب طبيعة التفكير الانساني في البحث ، فعروف ان من يريد تأليف كتاب لابد ان يدفعه الى هذا دافع معين يدعوه الى التاليف واختيار موضوع معين له . وهذه المرحلة هي أولى مراحل منهج البحث ، ولهذا كان الفصل الثاني من رسالتي هذه معنوناً بدواعي التاليف ، وهو مصطلح قديم يطابق في المصطلح الحديث : «اختيار الموضوع وتحديده» .

وتتلو مرحلة اختيار الموضوع وتحديده ، مرحلة اخرى هي البحث عن مصادر الدراسة وتعرفّها ومحاولة جمعها وتحديد أماكنها للتمكن من نقل المعلومات عنها ، ولهذا كان الفصل الثالث من دراستي هذه مخصصا لدراسة هذه المرحلة ، وقد سميته بالاسم الذي عرفه به القدامى وهو «الأصول» .

وبعد أن يتوفر الباحث على مصادر دراسته يبدأ بمرحلة أخرى هي النقل عن هذه المصادر وجمع المعلومات منها ، ولهذا كان الفصل الرابع من هذه الدراسة مخصصا لكيفية جمع المعلومات والنقل عن المصادر ، وقد سميته بالتحصيل وهو مصطلح قديم يدل على هذه العملية ويقابل قولنا حاليا : «جمع المعلومات والنقل عن المصادر» .

وحينما تتجمع المعلومات الكثيرة التي لها علاقة بموضوع البحث يبدأ الباحث بالتفكير في وضع خطة تفصيلية لموضوع بحثه ويشرع بتقسيم ما تجمع لديه من معلومات الى وحدات وموضوعات متعددة ، ولهذا كان الفصل الخامس يحمل اسم «التقسيم والتبويب » ، وهو مصطلح قديم يدل عل الخطة وتقسيم البحث .

ويبدأ الباحث بعد هذا بدراسة ما تجمع لديه من معلومات داخل كل قسم من أقسام الخطة العامة لاستنباط آراء والوصول الى نتائج معينة من خلال

دراسة هذه المعلومات المتجمعة ، وعملية الدراسة هده تتم في مرحلتين : الأولى مرحلة النقد الخارجي للنصوص التي تهدف الى التأكد من صحة النصوص وصحة نسبتها الى مصادرها ، والثانية مرحلة النقد الداخلي للنصوص التي تهدف الى تفسير النصوص والتأكد من نزاهة ناقليها وتدقيقهم ، ولهذا كان الفصلان السادس والسابع من بحثي هذا يتناولان دراسة هاتين المرحلتين من النقد عند القدامى ، وقد وضعت التسمية الحديثة للفصلين لأني لم أجد مصطلحا عند القدامى يمكن أن يدل على هاتين المرحلتين بتفصيلاتهما وجزئياتهما كافة .

وبعد أن تتم مرحلتا النقد الخارجي والداخلي للنصوص يصبح البحث جاهزا للكتابة ، وكتابة البحث تتم في مرحلتين ، الأولى كتابة أصل البحث أو المادة الأساسية للموضوع ، والثانية كتابة ما يكمل الموضوع من مقدمة وتمهيد وخاتمة وفهارس ، ولهذا كان الفصلان الثامن والتاسع مخصصين لدراسة هاتين المرحلتين من الكتابة ، وقد سميت الفصلين تسمية حديثة لعدم عثوري بمصطلح قديم يمكن أن يدل على هاتين المرحلتين .

لقد حاولت جاهدا استعمال المصطلحات القديمة في العنوانات العامة والفرعية خلال البحث ، فاذا عدمت المصطلح القديم الدال على مرحلة من مراحل البحث استعملت المصطلحات الحديثة التي أراها مناسبة للدلالة على العنوان .

وسيتضح من خلال بحثي هذا أنني كنت أقدم بعض النصوص والشواهد على المراحل العلمية المختلفة للبحث عند القدامى وأشير في معظم الأحيان الى ما يشبهها في الهامش . وواضح أنني لا أستطيع تقديم كل الشواهد المتعلقة بالمراحل العلمية للبحث وتفصيلاتها الجزئية خلال هذه الدراسة ، اذ أنني لو فعلت هذا لتحولت رسالتي الى مجموعة متراكمة من الشواهد والنصوص بشكل يضيع على القاريء سبيل الافادة منها ، ومن ثم كنت اكتفي بالشواهد القليلة على سبيل التمثيل وتقديم الدليل لا على سبيل الحصر والشمول . وعملت على

تتبع الظاهرة المنهجية منذ بدايتها متابعا تطورها وما الت اليه مستندا في هذا الى ما توفرت عليّ معرفته ودراسته من مصادر تراثية عديدة ، وهذا لا يمنع من وجود هذه الظاهرة أو المرحلة التي اشير الى بدايتها بزمن اسبق مما اشير اليه ، اذ انني لااستطيع الادعاء بأنني تمكنت من دراسة مصادر التراث الأدبي القديم جميعا .

وسيلاحظ قاريء هذه الرسالة أنني قصدت الّى عدم الاكثار من مناقشة المؤلفين القدامى في النصوص التي استشهد بها للدلالة على خطوة من خطوات المنهج أو فكرة فيه ، وقد أضرب في كثير من الأحيان عن المناقشة في حين احتمال النص لها . ومن الواضح أن طبيعة بحثي هذا هي التي فرضت علي هذا الموقف ، ذلك أنه كان لزاما علي في فصول هذا البحث كافة أن أتوصل الى طبيعة منهج البحث الأدبي عند العرب وما احتواه من أسس ومبادىء ترشد اليها كثير من النصوص المبثوثة في كتب القدامى . ولهذا كان علي أن أتتبع الأفكار التي تبدو في هذه النصوص لأكون منها هذا الذي سميته بمنهج البحث . والأفكار التي تعرب عنها هذه النصوص هي ما أبتغيه في مجال دراستي هذه من غير أن يخل بهذا صدق المؤلف أو كذبه أو مدى تطبيقه للفكرة التي تظهر في قوله . فمن الواضح أن المؤلف القديم حينما يهاجم صفة التعصب ويجعلها مخالفة لصفات العلماء فان الذي نستنتجه من هذا ان البعد عن التعصب كان صفة من الصفات العلمية عند القدامى ، ولا ينقض هذا الذي نستنتجه كون هذا المؤلف نفسه متعصباً اذ ان مهاجمته لتلك الصفة دليل على ان القدامى كانوا يستحسنون من العالم ابتعاده عنها ، والا فما صرح المؤلف بمهاجمتها . وكذلك الحال حينما نجد مؤلفا يقول إنّه ألف في موضوع مطروق قبله بسبب كون الدراسات السابقة له غير مستوفية للموضوع الذي يؤلف فيه ، فان الذي يهمنا في قوله هذا هو الفكرة التي يشير اليها ، وهي أن عدم استيفاء الدراسات السابقة للموضوع كانت مسوغا لإعادة الكتابة فيه ، ولا يهمنا أمستوفية الموضوع كانت هذه الدراسات السابقة أم غير مستوفية ، اذ ان تصريحه بهذه

الفكرة يدل على انها كانت معروفة مفهومة من الجميع والا فما استند اليها ، وكذلك القول في جملة النصوص العديدة التي استندت اليها في هذه الرسالة ، اذ ان الفكرة التي تظهر في قول المؤلف القديم هي ما استند اليه وما أقصده .

وأخيرا ،

آمل أن يجد القارىء في هذا البحث صورة واضحة لمعالم منهج البحث الادبي عند العرب وشاهدا جديدا من شواهد أثر العرب في الحضارة الانسانية ، وهذا ما سعيت لأجله وبذلت كل جهد مستطاع في سبيله ، فاذا ظهر خلال هذا البحث شيء من الخطأ والزلل فأرجو أن أنبه عليه لأتمكن من اظهار هذا البحث في المستقبل بالمظهر الذي يليق بالحقيقة العلمية التي يكشف عنها .

وختاما لهذا التقديم أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأستاذي الجليل الدكتور علي جواد الطاهر لما بذله من جهود في الاشراف على هذا البحث وما ابداه من آراء وتوجيهات قيمة كان لها أثرها الكبير في اعداد هذا البحث وانجازه .

الدكتور أحمد النجدي

التمهيد
تطور التأليف الأدبي عند العرب

يمكن ارجاع المادة التي يقوم عليها التأليف الأدبي الى ثلاثة عناصر رئيسة هي :الشعر والنثر والأخبار . وقد كانت هذه العناصر الثلاثة تنقل في العصر الجاهلي عن طريق الرواية التي شارك فيها خلال ذلك العصر طوائف متعددة من أفراد وجماعات ، فهناك راوٍ واحد للشاعر الى جانب رواة قبيليين يروون شعر شعراء القبيلة وما يتصل به من مآثر وأخبار[1] .

وعلى الرغم من الأدلة العديدة التي تشير الى تدوين المرويات منذ العصر الجاهلي[2]، فاننا لانستطيع عد هذه المرويات المدونة تأليفا أدبيا بمعنى البحث ، سواء أكتباً قبيلية كانت أم قصائد مفردة للشعراء ، اذ من الواضح أن هذه المدونات تمثل ضربا من المصادر الأولية للتأليف .

ويبدو أن هذه المدونات استمرت طوال القرن الأول للهجرة على الحال نفسه[3]، حتى اذا ما بدأ القرن الثاني للهجرة رأينا حركة علمية منظمة يشارك فيها علماء اللغة والأخبار تهدف الى تتبع المرويات القديمة وجمعها وافرادها بمؤلفات منذ اواسط القرن الثاني ، وقد استمرت هذه الحركة قوية نشطة حتى كثرت المؤلفات الأدبية وتنوعت أصنافها في القرن الثالث وما بعده .

---

(١) للتفصيل في حركة الرواية في العصر الجاهلي ينظر : مصادر الشعر الجاهلي ١٨٧ ـ ٢٢١ .

(٢) ينظر الباب الثاني من كتاب مصادر الشعر الجاهلي ، ففيه تفصيل واف عن هذا التدوين وأنواعه .

(٣) ينظر الباب الثالث من كتاب مصادر الشعر الجاهلي .

وتمثل المؤلفات التي أنتجتها هذه الحركة شكلا أوليا من أشكال التأليف الأدبي ، إذ ان بعضا منها كان على شكل مجموعات شعرية تتمثل في الدواوين والاختيارات الشعرية ، كما كان بعضها الآخر كتبا تجمع بين الشعر والأخبار بلا تنسيق . وقد بدأ الاتجاه الى الاختيارات الشعرية منذ أواسط القرن الثاني للهجرة ، اذ ان اقدم هذه الاختيارات وهي المعلقات والمفضليات تنسب الى علمين من أعلام الرواية في هذا القرن وهما حماد الراوية (١٥٦ هـ) والمفضل الضبي (١٦٨ هـ) ، ثم تلاهما الأصمعي في القرن نفسه فاختار مجموعته المعروفة بالأصمعيات ، وكانت هذه الاختيارات الأولى أساس فكرة الاختيارات الشعرية التي تلتها وعرف بعضها باسم الحماسة .

والى جانب هذه الاختيارات الشعرية قام كثير من علماء القرن الثالث بجمع الدواوين الشعرية ، فنهم من عمد الى جمع دواوين الشعراء القدامى ، ومنهم من جمع دواوين قبائل كاملة[٤]. ووضعت في هذه الحقبة الممتدة من أواسط القرن الثاني حتى أوائل القرن الثالث بعض المؤلفات التي تمثل فيما نرى شكلاً أوليا من أشكال التأليف الأدبي ، وهي تتمثل في مؤلفات ابن الكلبي وابن هشام وأبي عبيدة والأصمعي ومن عاصرهم من العلماء . ففي هذه المؤلفات[٥] نجد مادة وافرة من الشعر القديم ممتزجة بمادة وافرة من الأخبار ، وهي واردة دونما تنسيق أو تبويب ، فالمؤلف يذكر مالديه من أشعار متلوة بأخبار تتعلق بها [٦]، او يذكر اخباراً عن موضوع معين ثم يورد خلالها اشعاراً تتعلق بها[٧].

وأخذت المادة اللغوية في هذه الحقبة تستقل بها كتب خاصة يقصد فيها

---

(٤) ينظر : مصادر الشعر الجاهلي ٥٤٣ - ٥٤٧ في تعداد أسماء هذه الدواوين ، وقد وصل الينا منها ديوان واحد هو ديوان الهذليين .

(٥) نختار منها كتاب الاصنام لابن الكلبي والنقائض لأبي عبيدة فانهما يصلحان أنموذجاً لغيرهما من المؤلفات المعاصرة لها .

(٦) كما في كتاب النقائض لأبي عبيدة .

(٧) كما في كتاب الاصنام .

مؤلفوها الى جمع اللغات الغريبة والنادرة حينا واللغات المتشابهة أو المتضادة في المعنى حينا آخر مما ورد عن الأعراب في أشعارهم وأقوالهم ، ونرى هذا واضحا في كتاب النوادر لأبي زيد الأنصاري وما شابهه من الكتب[٨].

واذا تأملنا هذه المؤلفات وجدناها في الأصل مجموعة من المرويات المدونة عن العلماء ، ينسب تأليفها الى عالم مشهور الا انها مع هذا تحتوي على كثير من الآراء لطلبة ذلك العالم ولغيره من العلماء ، ويمكن ان نلاحظ هذا بصورة واضحة في كتاب «النقائض» و كتاب «النوادر» وهذا يشير الى أن هذه الكتب هي مجموعة من الأمالي يمليها الشيخ على تلامذته فيسجلون ما يملى ، ثم يضيفون اليه شيئا من مساءلاتهم للعلماء الاخرين ، ثم يأخذها عنهم آخرون ويضيفون اليها شيئا مما له علاقة بالكتاب ، وهذا ما يفسر كثرة النصوص الواردة في هذه الكتب عن علماء عاشوا بعد وفاة المؤلف الاصلي[٩]، كما يفسر انعدام التنسيق في هذه الكتب ، ولهذا يمكن القول بأن هذه المؤلفات تمثل المرحلة الأولى للتأليف الأدبي عند العرب .

واذا تقدمنا في الزمن قليلا حتى أواسط القرن الثالث رأينا تطورا يتمثل في استقلال المادة الأدبية ومحاولة تبويبها وتحديدها وسيرها على خطة واضحة مما يمكن أن يمثل مرحلة مهمة في تاريخ تطور التأليف عند العرب ، ويتمثل هذا في مؤلفات ابن سلام الجمحي وابن حبيب والجاحظ .

وصل الينا من مؤلفات ابن سلام الجمحي (٢٣١ هـ) كتاب «طبقات الشعراء»[١٠] والذي يلاحظ أن هذا الكتاب قسم الى قسمين أساسيين الأول منهما للشعراء الجاهليين والثاني للشعراء الاسلاميين ، وكل قسم من هذين القسمين يحتوى على عشر طبقات كل طبقة تضم مجموعة من الشعراء ، وصدر

(٨) ينظر في هذه الكتب اللغوية وتحديد المقصود بكلمة النوادر : رواية اللغة للشلقاني ٩٣ - ١١٠ .

(٩) ينظر : أصول نقد النصوص ونشر الكتب٣٢ - ٣٨ .

(١٠) وصل هذا الكتاب برواية تلميذ المؤلف وابن اخته ابي خليفة الجمحي . مما جعل كثيراً من النصوص فيه تتصدى بعبارة من مثل : قال بو خليفة .. أخبرنا ابن سلام ... ، ومثل هذا الاسلوب شائع في كتب هذه المرحلة اذ كانت تروى تحريرياً . وهو لا يمنع من كون مادة الكتاب جميعها وما يظهر فيه من تفسيرات لابن سلام نفسه .

الكتاب بمقدمة وصلت الينا مضطربة مختلطة الموضوعات الا أن ما جاء فيها من معلومات يمكن ان يبين لنا منهج ابن سلام في التأليف والنقد ، والكتاب يدل على دقة منهجية تتمثل في دقة التقسيم كما تتمثل في كثير من الآراء التي بثها خلال هذا الكتاب من تنبيه على الموضوع والمنحول من الاشعار مما يمكن أن يعد محاولة لنقد النصوص الأدبية نقدا داخليا وخارجيا .

ولابن حبيب(٢٤٥ هـ) كتب صغار في التراجم وضعها حسب ما غلب على المترجم لهم من صفات أو ألقاب ، منها كتاب «من نسب الى امه من الشعراء» وكتاب «أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والاسلام وأسماء من قتل من الشعراء» ، وكتاب «كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه» وكتاب «ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه»[١١]، وهذه الكتب جميعا تخلو من المقدمات ، وجاء الأول منها مضطربا لم يسر فيه المؤلف على أساس معين في التقسيم وتوزيع مواد الكتاب ، الا أن في الكتب الثلاثة الأخرى سمات من التفكير المنهجي تظهر في تحديد هذه الكتب بموضوعات معينة مما يدل على فهم المؤلف لضرورة التحديد في الموضوعات وابتعاده عن الجمع العام للموضوعات المختلفة الذي كان سمة كتب الحقبة الأولى ، كما تظهر في سير المؤلف على خطة معينة في توزيع مواد هذه الكتب . ففي كتاب «أسماء المغتالين» نلاحظ التزام المؤلف بالترتيب التاريخي للتراجم ، وهو وان لم ينص على هذا ولم يقسم الكتاب اقساما رئيسة حسب التسلسل التاريخي ، الا ان التراجم ترد فيه بصورة عامة على الأساس التاريخي ، اذ تبدأ بالجاهليين ثم الاسلاميين ثم العباسيين الأوائل ، وكأن المؤلف قرر هذا الترتيب سلفا . وفي كتابيه «كنى الشعراء» و «ألقاب الشعراء» وزعت التراجم وأسماء الشعراء حسب القبائل ، وهذا يدل على التزام المؤلف بطريقة خاصة في التوزيع .

وفي مؤلفات الجاحظ محاولة أخرى للتأليف المنهجي تظهر في توزيع مواد الكتاب بعنوانات عديدة يحمل بعضها اسم «باب» مما يشير الى ابتداء التفكير

---

(١١) نشرت هذه الكتب ضمن سلسلة «نوادر المخطوطات» .

بتقسيم الكتاب تقسيما داخليا الى أبواب ، كما تظهر في التزام المؤلف بطريقة معينة في هذا التوزيع ، ودليلنا على هذا ما ورد في كتابه «البيان والتبيين» اذ يقول : «كانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار لما ذكرت عجبك بذلك فأحببت أن يكون حظ هذا الكتاب في ذلك أوفر أن شاء الله»[١٢] وكلامه هذا واضح الدلالة على التزامه بطريقة معينة في التوزيع ، ويؤيد هذا مطالعة كتابيه «البيان والتبيين» و «الحيوان» اذ إنه سار فيهما على ما ذكره في قوله السابق ، كما نلاحظ أن استطرادات المؤلف الكثيرة خلال كتبه لم تكن تجرى عن جهل من المؤلف بالتبويب والتقسيم المتجانس لمواد الكتاب ، والدليل عل هذا أننا نراه يذكر في مواضع عديدة من كتبه أنه يلجأ الى هذه الاستطرادات لدفع السأم عن القارىء[١٣].

كان كتابا الجاحظ «البيان والحيوان» من المحاولات المنهجية المهمة في التأليف ، واذا نظرنا الى كتبه الأخرى كـ «البخلاء» و «البرصان والعرجان ...» ورسائله العديدة رأينا تطورا جديدا يتمثل في التأليف في الموضوعات الاجتماعية الخاصة ، مما يشير الى اتضاح الفوارق الموضوعية بين الموضوعات المختلفة . ونستطيع ملاحظة مثل هذا التطور في التأليف عند تتبعنا للكتب التي وضعها المؤلفون المعاصرون للجاحظ . فما نراه من سمات هذا التطور ظهور أول كتاب في تراجم الشعراء توزع فيه التراجم على الأساس الاقليمي وهو كتاب «طبقات الشعراء» لدعبل الخزاعي[١٤]، ولا يخفى أن التقسيم حسب البيئات يعني محاولة منهجية لتقسيم الكتاب حسب أسس متميزة . ووضع في هذه الحقبة نفسها أول كتاب - فيما نعلم - يتعلق بصنعة الكتابة وهو

---

(١٢) البيان والتبين ٣٠٢/٣ ، والمراد بالمصحف هنا معناه اللغوي وهو مجموعه الصحف ، كما ذكر محقق الكتاب .

(١٣) أشار الجاحظ كثيراً الى هذه الفكرة في كتبه ، ينظر على سبيل المثال : الحيوان٧/٣ .

(١٤) ذكر الدكتور عبدالكريم الأشتر في كتابه «دعبل بن علي الخزاعي» ٢٧٥ - ٢٧٦ ، أن كتاب دعبل هذا قسم حسب البيئات . وقد جمعت كثيراً من النصوص المنقولة عن هذا الكتاب تثبت جميعها ما ذهب اليه الدكتور الأشتر .

كتاب «الكتاب وصفة الدواة والقلم» لعبد الله بن عبد العزيز البغدادي المعاصر للجاحظ[١٥] وظهور هذا الكتاب في هذه الحقبة الزمنية المبكرة يشير الى اتضاح الموضوعات المؤلف فيها وتميزها عن بعضها لدى المؤلفين اذ إنه خاص بموضوع صغير محدد .

ويستمر التطور في التأليف كلما تقدمنا في الزمن حتى اذا ما انتهينا الى أواخر القرن الثالث وجدنا تطورا جديدا في التأليف يتمثل في كتب ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) وابن المعتز (٢٩٦ هـ) ومن عاصرهما من المؤلفين .

تتضح في كتاب ابن قتيبة «عيون الاخبار» فكرة تقسيم الكتاب اتضاحا تاما ، اذ قسم المؤلف كتابه هذا الى عشرة كتب ، كل كتاب منها يحمل عنوانا خاصا به ، وهو يدرج في كل كتاب منها الاشعار والاخبار التي يضمها موضوع العنوان ، ويظهر مثل هذا التطور في كتب ابن قتيبة الاخرى ، ومنها «كتاب المعاني الكبير» ، اذ قسمه الى عدة كتب كل كتاب منها يحمل عنوانا خاصا به ويضم من الأشعار ما يندرج تحت ذلك العنوان . أما كتابه «الشعر والشعراء» فتدل مقدمته ومحتواه على تفكير مهم في منهج تقديم المادة ، اذ تضمنت المقدمة كثيرا من المعلومات الخاصة بقضايا التأليف ونقد الشعر والأخبار كتحديده موضوع الكتاب وتراجمه «بالشعراء المشهورين الذين يعرفهم جل أهل الأدب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب والنحو»[١٦]، وما تضمنه الكتاب من تنبيهات كثيرة على تصحيح نسبة الأشعار مما يمثل محاولة شبيهة بمحاولة ابن سلام الجمحي في نقد النصوص الأدبية نقدا داخليا وخارجيا . هذا زيادة على أن توزيع الشعراء في الكتاب حسب العصور يمثل تطورا مهما في التأليف ، فقد قدم المؤلف تراجم الجاهليين ثم أعقبها بالاسلاميين ثم العباسيين ، وهو وان لم ينص على هذا التقسيم ولم يلتزمه بدقة في بعض المواضع التي تتقدم فيها ترجمة شاعر اسلامي على ترجمة شاعر جاهلي ، الا أن الترتيب العام للكتاب يدل على تفكير المؤلف بالناحية الزمنية

---

(١٥) نشر الكتاب في مجلة المورد ، المجلد الثاني ، العدد الثاني .

(١٦) الشعر والشعراء ١/٧ .

في الترتيب[١٧]. وفي كتبه الصغيرة الأخرى يلاحظ تطور آخر في التأليف شبيه بما لاحظناه عند الجاحظ في رسائله ، ألا وهو افراد الموضوعات الصغيرة المحددة بكتب خاصة ، فمن ذلك كتاباه «الميسر والقداح» و «الأشربة» اذ جمع في الأول ما قيل في الميسر وفي الثاني ما قيل في الشرب والشراب مما يمثل محاولة لتحديد موضوع التأليف الأدبي ، ويشير الى مرحلة متميزة في تطور التأليف يمكن ملاحظتها عند غيره من المؤلفين الذين عاصروه ، ومنهم المبرد في كتابيه «الكامل» و «الفاضل» ، وأول هذين الكتابين لايخرج عن صورة كتب الجاحظ من حيث التوزيع والتبويب ، أما ثانيهما «الفاضل» فنلاحظ فيه مسألة جديدة في تقسيم الكتاب ، اذ قُسّم الكتاب الى أبواب كان الباب الأخير منها مقسما الى عدة فصول ، مما يدل على بدء التفكير في التقسيم الداخلي للكتاب على شكل وحدات تقسيمية كبيرة تقسم الى فصول حسب الموضوعات التي تحتويها مادة الباب .

واذا انتهينا الى أواخر القرن الثالث لاحظنا استقلال الموضوعات الأدبية كافة بكتب خاصة بها ، ككتابي البديع لابن المعتز وقواعد الشعر لثعلب اللذين يمكن عدهما من أوائل الكتب البلاغية والنقدية . كما لاحظنا ظهور اتجاه جديد في كتب التراجم يتمثل في اقتصار تراجم الكتاب على الشعراء المحدثين ، ككتاب البارع لأبي عبدالله هارون بن علي بن يحيى المعروف بابن المنجم (٢٨٨ هـ) ، الذي يذكر ابن النديم أنه في اختيار أشعار المحدثين[١٨] وكتاب طبقات الشعراء لابن المعتز (٢٩٦ هـ) الذي احتوى على تراجم المحدثين فقط ، وكتاب الورقة لابن الجراح (٢٩٦ هـ) وهو خاص بالشعراء المحدثين أيضا وكتاب الباهر في أخبار وأشعار شعراء مخضرمي الدولتين لأبي أحمد يحيى ابن علي بن أبي منصور بن المنجم (٣١٣ هـ) الذي يذكر ابن النديم أنه «ابتدأ فيه ببشار ... وآخر ما عمل مروان بن أبي حفصة ..»[١٩]. وهذه الكتب

---

(١٧) ينظر : حركة التاليف عند العرب ١٨٣ - ١٨٤ .

(١٨) الفهرست ١٦١ .

(١٩) نفسه ١٦٠ .

جميعاً تدل على ابتداء التحديد الزمني لموضوع الكتاب واقتصاره على عصر معين .

كان القرن الثالث إذن ، العصر الذي نضج فيه التأليف الأدبي ، وقد شهد التبويب ، واستقلال العلوم الأدبية بكتب خاصة ، وتحديد الموضوعات حدودا معينة تستند الى العصر أو البيئة . وزادت هذه المراحل الثلاث نضجا في القرن الرابع ، فالكتب البلاغية والنقدية بلغت مرحلة دقيقة في التقسيم والتبويب كما يبدو واضحا في كتاب «نقد الشعر» لقدامة بن جعفر و «الموازنة» للآمدي و «الصناعتين» لأبي هلال العسكري ، اذ لايقتصر مؤلفو هذه الكتب على التقسيم العام للكتاب الى ابواب - أو ما يقابلها في التقسيم - بل نرى أن الابواب نفسها تقسم الى فصول حسب تشعب مادة كل باب مما يشير الى اتضاح فكرة التقسيم الداخلي عند هؤلاء المؤلفين ، هذا زيادة على أن هذه الكتب تستقل بموضوع أدبي معين يقل فيه الاستطراد الى موضوعات أخرى من أخبارية وغيرها مما يمثل اتضاح الفوارق الموضوعية لدى مؤلفيها .

وتتضح فكرة التقسيم الداخلي للموضوعات ايضا في كتب الأدب العامة في هذا القرن ، ومنها كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه ، الذي أشار معظم الدارسين المحدثين الى ان كثيرا من مادته منقول عن كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة ، الا ان ترتيب ابن عبد ربه بهذه المواد داخل كل باب من أبواب الكتاب يمثل تطورا مهما في التأليف ، اذ نجد التوزيع الداخلي للمواد يتسلسل تسلسلا منطقيا يختلف كل الاختلاف عن توزيع هذه المواد عند ابن قتيبة[٢٠] .

ولا نلبث ان نرى تطورا جديدا في التبويب والتقسيم لم نعهده في القرن الثالث ، يتمثل في اتباع التسلسل الهجائي في ترتيب التراجم الأدبية ، كما يظهر هذا واضحا عند الآمدي في كتابه «المؤتلف والمختلف» ، والمرزباني في كتابه «معجم الشعراء» ، وهذان الكتابان وان لم يلتزما بالتسلسل الهجائي

---

(٢٠) حركة التأليف عند العرب ١٦١ . وقد ذكر ابن عبد ربه نفسه أن فضيلته في هذا الكتاب هي لاختيار وحسن الاختصار وتقديم لكل باب بما سماه «الفرش» ونص على أن ما في الكتاب مجموع ومنقول عن الكتب الأخرى (ينظر : العقد الفريد ٢/١) .

الدقيق في ترتيب التراجم داخل كل حرف الا ان اتجاههما مثل هذا الاتجاه يشير بوضوح الى محاولة الدقة في التقسيم العام للكتاب وتيسير مراجعة القاريء له ، ولا يخفى أن تفكير المؤلف في التيسير على القراء يدل على مبلغ ما وصل اليه التأليف من مستوًى حضاري وفهم لوظيفة الكتاب الاجتماعية والثقافية .

وفي مجال تحديد الكتاب بحدود العصر والبيئة نلاحظ اتضاح مفهوم هذا التحديد لدى مؤلفي القرن الرابع ، ويكفي ان نذكر هنا كتاب «يتيمة الدهر» للثعالبي اذ اقتصر الكتاب على الترجمة لأدباء القرن الرابع مع توزيعهم حسب البيئات الاقليمية ، وقد التزم المؤلف في توزيع الأدباء داخل كل اقليم بمنهج واحد هو الابتداء بالأمراء وأصحاب السلطان ، ثم بالأدباء الكبار ، ثم الأدباء الذين يلونهم في المنزلة الاجتماعية والفنية ثم الأدباء المغمورين .

وتتضح فكرة تحديد الكتاب بموضوع اجتماعي معين أكثر مما كان عليه الحال في القرن الثالث ، فكتاب «الموشى» للوشاء (٣٢٥ هـ) خصص للظرف والظرفاء ، وقد قسم الى ابواب عديدة ، ختم كل باب منها بخاتمة قصيرة تدل على مضمون الباب التالي وعنوانه ، مما يمثل احساسا بضرورة التسلسل الموضوعي للأبواب

وظهر اتجاه جديد في التأليف خلال هذا القرن لم نر له مثيلا في القرن الثالث يتمثل في وضع مؤلفات تعالج الناحية العلمية في التأليف ، فن هذه الكتب العلمية ما فصل القول في مسألة مهمة من مسائل الكتابة والنقل عن المصادر ، وهي مسألة التصحيف والتحريف ككتاب «التنبيه على حدوث التصحيف» لحمزة الأصفهاني (حوالي ٣٦٠ هـ) وكتاب «التنبيهات على أغاليط الرواة» لعلي بن حمزة البصرى (٣٧٥ هـ) وكتاب «شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف» لأبي أحمد العسكري (٣٨٢ هـ) ، ومنها ما تناول المصطلحات المستعملة في العلوم وتحديدها ككتاب «مفاتيح العلوم» للخوارزمي (٣٨٧ هـ) . ويشبهها في هذاالاتجاه ما خصص لذكر الكتب المؤلفة في كل.

علم ، ومنها كتاب «الفهرست» لابن النديم (٣٨٥ هـ) . وظهور هذا الكتاب في القرن الرابع يدل على مرحلة علمية مهمة في التأليف المنهجي ، اذ إنه كتاب لارشاد المؤلفين الى الكتب المؤلفة في كل علم ، فهو يشبه كتب الفهرسة العلمية الحديثة التي توضع في فهرسة الكتب المختلفة لاعانة الباحثين على العثور بمصادر دراستهم .

ولعل ماتقدم يظهر بوضوح أن القرن الرابع الهجري استوعب مناهج التأليف الأدبي واستقرت فيه قواعد التأليف العلمية ، ولهذا سارت القرون التالية له على مناهجه وتقدمت بهذه المناهج نحو الاكتمال ، اضافة الى ظاهرة تبدو واضحة جلية في الكتب المتأخرة ، وهي ظاهرة التعقيد في التقسيمات واضطراب المصطلحات . ففي ميدان التراجم الأدبية يسير المؤلفون على منهج الثعالبي في يتيمته فيقسمون الأدباء على الأقاليم ويختارون لكتبهم عنوانات مسجوعة مشابهة لعنوان اليتيمة ، كما يلتزمون بالسجع في أثناء الترجمة كما فعل الثعالبي ، ويكفي تدليلا على هذا تأمل هذه المؤلفات ومنها «دمية القصر وعصرة اهل العصر» للباخرزي (٤٦٧هـ) و «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام الشنتريني (٥٤٢هـ) و «وشاح الدمية» لعلي بن زيد البيهقي (٥٦٥هـ)[٢١]، و «زينة الدهر وعصرة أهل العصر» لأبي المعالي سعد بن علي الحظيري الوراق و «خريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الأصفهاني (٥٩٧هـ) ، و «المغرب في حلى المغرب» الذي أتم تأليفه وأخرجه بصورته النهائية علي بن موسى بن سعيد المغربي (٦٨٥هـ) ، هذه الكتب كلها تسير على منهج الثعالبي نفسه في تقسيم التراجم على البيئات ، الا أن هذا التقسيم يصل الى درجة كبيرة من التعقيد في القرن السابع على يد ابن سعيد المغربي في كتاب «المغرب ..» ويكفي أن ننظر في القسم الأندلسي من هذا الكتاب لنرى أن المؤلف قسمه الى ثلاثة أقسام عامة حسب أقسام بيئة الأندلس وهي المغرب والوسط والشرق ، وأطلق على

---

(٢١)عثر بجزء من هذا الكتاب في مكتبة حسين چلبي في تركيا ، ومنه صورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد .

(٢٢) هذا الكتاب مفقود حالياً فيما نعلم .

كل قسم من هذه الأقسام اسم «كتاب» وعنونه بعنوان مسجوع ، ثم عاد فقسم كل اقليم من هذه الاقاليم الثلاثة الى مدنه الكبرى الرئيسة واعطى كل قسم من هذه الاقسام الجديدة اسم «كتاب» ايضا معنونا بعنوان مسجوع ، ثم عمد الى هذه المدن الرئيسة فقسمها الى مدنها الصغرى وسمى كل قسم من هذه الأقسام الجديدة باسم «كتاب» أيضا ، وهو حينما يذكر تراجم كل مدينة من هذه المدن الصغرى يقسمها حسب المنزلة الاجتماعية والعلمية فيبدأ بأصحاب السلطان ثم الوزراء ثم الكتاب ثم الشعراء ، ولكل مجموعة من هذه المجموعات كتاب مستقل أيضا ، ومثل هذا التقسيم يمثل - بلا شك - مرحلة معقدة جدا الا انه في الوقت نفسه يمثل اتضاح الفكرة الاقليمية في التقسيم اتضاحا تاما ، والدليل على هذا أن المؤلف يبدأ كل كتاب بوصف للبيئة يعقبه بكلام موجز عن تاريخها ثم يعقبه بالتراجم .
بالتراجم .

ويمثل هذا التعقيد في التوزيع تواجهنا هذه الكتب بتعقيد مشابه في لغة الكتاب ، فقد التزم مؤلفوها بالسجع متابعة للثعالبي وزادوا عليه في هذا حتى وصلوا به الى غاية التعقيد كما يتضح هذا في مواضع كثيرة من كتاب «خريدة القصر» للعماد الأصفهاني اذ يسيطر التزام السجع على المؤلف ويصرفه عن بيان الحقائق وايضاح الموضوع في كثير من الأحيان .

وسار بعض مؤلفي التراجم على المنهج الذي بدأه الآمدي والمرزباني في الترتيب الهجائي للتراجم ، الا انهم وصلوا بهذا الترتيب الى درجة كبيرة من الدقة ، اذ لايكتفون بالترتيب العام للتراجم حسب الحروف الهجائية ، بل يقسمون التراجم داخل كل حرف تقسيما دقيقا يلتزمون فيه بالترتيب الهجائي نفسه في تسلسل هذه التراجم ، اذ يتبعون هذا الأساس الهجائي في أسماء الاباء والأجداد في حالة تطابق الأسماء الأولى للمترجم لهم ، كما نرى هذا واضحا عند ياقوت الحموى في كتابه معجم الأدباء .

وفي كتب البلاغة والنقد تبدو ظاهرة تكرار المعلومات القديمة بوضوح في

الكتب التي تلت كتب القرن الرابع ، كما يبدو هذا واضحا في كتاب العمدة لابن رشيق ، فأغلب مادته منقولة عن الكتب السابقة ولكن بتقسيم جديد ، فاذا ما تقدمنا الى القرنين السادس والسابع وجدنا هذه الكتب تتحول الى مباحث جافة تغلب عليها النزعة المنطقية وتبتعد عن مجال الأدب كثيرا كما يبدو هذا بوضوح في كتاب «مفتاح العلوم» للسكاكي وما شابهه من الكتب . ولم يخرج على هذا المنوال سوى مؤلف واحد فيما نرى ، وهو ضياء الدين بن الأثير في كتابه المثل السائر .

وتكتسب الكتب الادبية الجامعة شيئا من التنسيق كما يظهر في كتاب زهر الآداب للحصرى ، الا انها تبقى جامعة لكثير من الموضوعات المختلفة حتى تتحول فيما بعد الى موسوعات ضخمة تحتوي على كثير من العلوم المنقولة عن الكتب القديمة ، وهي في مجموعها لاتخرج عن كونها جمعا لما سبق الا انها تمتاز بدقة التقسيم والتبويب ، حتى يصل بعضها بهذا التقسيم الى درجة كبيرة من التعقيد ، كما يتضح في كتاب صبح الأعشى للقلقشندي الذي يظل يجزىء الموضوع الواحد الى اجزاء صغيرة تنقسم هي ايضاً الى اجزاء أخرى بمصطلحات عديدة بشكل يوقعه في الأخطاء وتداخل المصطلحات في كثير من الأحيان[٢٣] .

ونلاحظ في الحقب المتأخرة ظهور اتجاه جديد في التأليف يعد ظهوره مرحلة طبيعية في هذه الحقب وهو يتمثل في تخصيص فصول وكتب تتناول شرح طريقة التأليف وتبيانها .

ومعروف أن ظهور الكتب التي تتحدث عن التأليف وكيفيته يأتي متأخرا كثيرا عن بدء حركة التأليف ، فهو يأتي بعد أن يمر المؤلفون بتجارب كثيرة

---

(٢٣) اكتفينا بهذا الاستعراض لحركة التأليف الادبي عند العرب ولم نشأ التفصيل في ذكر الكتب الأدبية كافة أو الوقوف عند بعض المؤلفات وقفة طويلة لوجود كتب تناولت هذا الموضوع يمكن الرجوع اليها لمعرفة مزيد من التفصيل ، ومنها : حركة التأليف عند العرب للدكتور امجد الطرابلسي ، ومصادر التراث العربي للدكتور عمر الدقاق ، والمكتبة العربية للدكتورة عزة حسن ، ومناهج التأليف عند العرب للدكتور مصطفى الشكعة . وهذه الكتب لم تعن ببيان مراحل التطور في التأليف كما فعلنا في الصفحات السابقة ، بل اكتفت باستعراض الكتب الأدبية في العصور القديمة .

حتى تتضح وتتطور وتنضج مفاهيم وخطوات عامة في هذا المجال وتصبح في عداد البديهيات والأمور المسلم بها ، ومن ثم تصبح قاعدة لكل من يحاول التأليف فيما بعد ، وفي هذه المرحلة ذاتها تظهر الكتب التي تشرح عمل التأليف وتبين خطواتها دالة على نضج حركة التأليف واكتمالها ، وأهم ما وصل الينا من كتب في هذا الاتجاه كتابان هما :

(١) احكام صنعة الكلام لمحمد بن عبد الغفور الكلاعي[٢٤]. وهذا الكتاب في صنعة الكتابة عموما ، وقد احتوى الباب الثاني منه على فصل سماه المؤلف «فصل التأليف» ، وهو يفتتحه بقوله : «التأليف - أعزك الله - غير موقوف على زمان ، والتصنيف ليس بمقصور على أوان دون أوان»[٢٥]. ثم يتحدث المؤلف بعد هذا عن صعوبة هذا الفن أو الصناعة - كما يسميها - مشيرا بهذا الى ضرب من ضروب التفكير المنهجي عند العرب ، ألا وهو صعوبة البحث واحتياجه الى كثير من الجهد واستعمال العقل ، يقول : «لكنها صناعة ربما نصرت فيها سوابق الأفهام ، وصفواء ربما زلت عنها أوهام الأقدام ، ومن أمثالهم : من صنف كتابا فقد استهدف ..»[٢٦]. ثم يبدأ المؤلف بعد هذا بالرد على من يدعي وقوف التأليف عند زمان معين وعدم امكان استمراره في كل العصور ، وينقل رسالة لابن فارس اللغوي في هذا الموضوع ، وهو في رده هذا ينطلق من فهم علمي لأهمية البحث والتأليف ، وفهم لوظيفتها الثقافية والعلمية .

ينتقل المؤلف بعد هذا الى ذكر أقسام المؤلفات وأنواعها ، فيذكر أنها على عدة أقسام يصنفها بقوله : «منها ما فضيلته حسن الاختيار ، ...ومنها ما فضيلته جمع ما افترق ... ، ومنها اختصار الطويل في اللفظ القليل ، ومنها رد القصير في معرض الطويل الكثير ... ومنها ما يعتمد فيها المؤلف على فكره

---

(٢٤) لم تحدد المصادر سنة وفاة هذا المؤلف . وقد استنتج محقق الكتاب أنه عاش حتى أواسط القرن السادس استناداً الى نصوص الكتاب وما ورد للمؤلف من أخبار في الكتب الأخرى .

(٢٥) احكام صنعة الكلام ٢٢٩ .

(٢٦) نفسه .

ويغترف من بحره ...»[٢٧] ، وبعد هذا يذكر المؤلف اثنين من مشاهير المؤلفين هما :الثعالبي وأبو العلاء المعرى ويذكر مؤلفاتهما أنموذجا لما ذكره من أقسام المؤلفات .

ينتقل المؤلف بعد هذا الى مسألة مهمة في كتابة البحث ، وهي لغة التأليف ، فأول ما يذكره في هذا المجال وجوب تجنب تكرار المعنى واللفظ[٢٨]، وثاني ما يؤكده في الكتابة هو البيان والبسط[٢٩] أي وضوح لغة المؤلف وأسلوبه ، ثم ينتقل بعد هذا الى ضرورة التنوع في موضوعات الكتاب من جد الى هزل بغية حمل القارىء على النشاط وابعاد الملل عنه[٣٠].

وللمؤلف حديث عن الخط وتنظيمه في الباب الأول من الكتاب ، وهو يتناول وصايا عامة لكتابة الرسائل الا أنه يذكر فيه المواد المستعملة في المراسلات ومنها «البطاقة» ، وهي تقابل الرقعة أو الجزازة مضمونا ، اذ إنها الى جانب استعمالها في المراسلات استعملت لنقل المعلومات عن المصادر[٣١] ، ومن ثم يمكن عد حديثه المقتضب عن البطاقة وكيفية عملها أمرا له علاقة بالبحث والتأليف .

(٢) «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم» لبدر الدين بن جماعة (٧٣٣ هـ) . وهذا الكتاب - كما هو واضح من عنوانه - تعليمي يمكن عده من الكتب التي وضعت في التربية الاسلامية ، الا انه احتوى على مسائل مهمة في منهج البحث يمكن ملاحظتها في الباب الأول والثاني والرابع من الكتاب .

تحدث المؤلف في الباب الاول عن فضل العلم والعلماء وفضل تعليم العلم وتعلمه ، وهو يورد آيات من القرآن في فضل العلم والعلماء والحث على طلب العلم متبوعة باحاديث للرسول وأقوال للصحابة والعلماء في هذا الموضوع ، ثم

---

(٢٧) نفسه ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٢٨) احكام صنعة الكلام ٢٣٣ .

(٢٩) نفسه .

(٣٠) نفسه ٢٣٥ .

(٣١) سيأتي بيان هذه المسألة في الفصل الرابع من هذا البحث .

يتطرق الى وجوب حسن النية في طلب العلم وعدم طلب الأغراض الدنيوية به[٣٢] ، وحديثه هذا عن فضل العلم والعلماء يمكن أن يعد شبيها بما يذكره الدارسون المحدثون لمنهج البحث في بداية كتبهم من أمور تتعلق بأهمية البحث وضرورته ، اذ إن ما كتبه ابن جماعة يمكن أن يقال فيه أنه تفضيل للبحث والحث عليه بمفهوم ذلك العصر .

أما الباب الثاني من الكتاب فما يهمنا فيه الفصل الأول منه ، وقد ذكر فيه جملة من الصفات الواجب وجودها في العالم ، منها وجوب اشتغاله بالتصنيف والتأليف اضافة الى وجوب حرصه على الجد والاجتهاد والتواضع وهي صفات يمكن أن نلاحظها فيما كتبه الدارسون المحدثون عن صفات الباحث . وختم هذا الفصل بوصايا للعالم تتعلق بالتأليف ، وذلك اذ يقول : «والأولى أن يعتني بما يعم نفعه وتكثر الحاجة اليه ، وليكن اعتناؤه بما لم يسبق الى تصنيفه»[٣٣]، كما تضمنت خاتمة هذا الفصل وصايا تتعلق بكتابة البحث ضمنها ايضاح العبارة وعدم اخراج الكتاب الا بعد تهذيبه وتكرير النظر فيه .

والباب الرابع من هذا الكتاب سماه المؤلف بـ «الآداب مع الكتب ... وما يتعلق بتصحيحها وضبطها وحملها ووضعها ...»[٣٤]، وقد فصل القول في هذا الباب في مسألتين مهمتين من مسائل البحث ، الأولى : جمع المصادر والتعرف عليها وتوفيرها قبل التأليف ، وقد تحدث في هذه المسألة حديثا مفصلا عن طرق جمع المصادر بشكل لايكاد الدارسون المحدثون يزيدون عليه شيئا . أما الثانية فقد تحدث فيها بالتفصيل أيضا عن كتابة البحث ممثلة في جملة أمور وهي : النقل عن المصادر ، وتنظيم الأسطر والهوامش وأساليب المقابلة والتصحيح للنصوص ، واستعمال علامات الترقيم والرموز ، وغيرها من الامور التي تتعلق بالكتابة .

---

(٣٢) ينظر : تذكرة السامع والمتكلم من ٥ - ١٥ .

(٣٣) نفسه ٣٠

(٣٤) نفسه ١٦٣ - ١٩٣ .

ومما تقدم نرى أن هذا الكتاب يمثل خطوة مهمة في وضع الكتب الخاصة بطريقة التأليف أو منهج البحث عند العرب ، وهو - فيما نرى - أهم كتاب في هذاالموضوع ، فقد تناول معظم المسائل التي يمكن أن تقال في عملية البحث ومراحله المتعددة .

ويمكن أن يلحق بكتاب ابن جماعة السابق رسالة صغيرة للسيوطي (٩١١ هـ) سماها «التعريف بآداب التأليف» وهو يجمع فيها نصوصا من كتب المتقدمين دونما تبويب وترتيب ، الا أن فيما جمعه من هنا وهناك أشياء يمكن أن تعد من صميم ما يتطرق اليه الدارسون لمنهج البحث ، أولاها فضيلة التأليف وأهميته ، فقد جمع في رسالته هذه بعض الأقوال في هذا الموضوع [٣٥] ، وثانيها ما يتعلق باختيار الموضوع أو أصناف المؤلفات ، وهي تبدو فيما نقله من نصوص لبعض العلماء في هذا الموضوع[٣٦] .

وهناك كتاب آخر وضع في هذا الاتجاه ، وكانت اكثر مادته منقولة عن كتاب ابن جماعة السابق ، وهو كتاب «المعيد في أدب المفيد والمستفيد»[٣٧] لعبدالباسط بن موسى العلموى (٩٨١ هـ) وقد اختصر بهذا الكتاب كتاباً اسمه «الدر النضيد» لمعاصر له اسمه بدر الدين الغزى .

وفي كل ما تقدم نرى أن حركة التأليف عند العرب كانت حركة علمية منظمة بدأت بسيطة ثم تطورت ووصلت الى درجة النضج ، ثم تحولت في الحقب المتأخرة الى حركة علمية متكاملة لها أسسها ومبادؤها العلمية المرسومة التي أوجدت كتبا عن التأليف وكيفيته تلك الكتب التي يمكن أن تقابل ما وضعه الدارسون المحدثون من كتب في منهج البحث .

---

(٣٥) ينظر : التعريف بآداب التأليف ٢ - ٣ .

(٣٦) نفسه ٣ - ٦ .

(٣٧) نقل روزنثال في كتابه «مناهج العلماء المسلمين» من ص ٢٨ - ٥٦ ، فصلاً من هذا الكتاب . وقد أشار الى نقل العلموي لمادة كتابه هذا عن ابن جماعة وغيره من العلماء في ص ٢٦ - ٢٧ .

الفصل الأول

البحث والباحث

(١)
البحث

جاء في لسان العرب : «البحث : طلبك الشيء في التراب ... والبحث أن تسأل عن شيء وتستخبر ، وبحث عن الخبر وبحثه يبحثه بحثا : سأل ، وكذلك استبحثه واستبحث عنه ..»[١].

ويلاحظ من هذه الشروح اللغوية أن لفظة «البحث» تشتمل على معنيين الأول منهما مادي هو طلب الشيء والتفتيش عنه ، والثاني منهما معنوي هو السؤال عن الشيء . والعلاقة بين المعنيين واضحة ، ذلك ان التفتيش عن الشيء مرحلة اولى في سبيل الكشف عنه والعثور به ، فان لم يتمكن الانسان من ايجاد ما يطلب بوساطة التفتيش سأل عن ذلك الشيء للتعرف على مكانه ، ومن هنا نرى أن المدلول المعنوى للبحث تطور منطقي لمدلوله المادي .

ووردت لفظة «البحث» مصطلحا في الكتب الأدبية القديمة بمعنيين :

---

(١) لسان العرب (بحث) .

الأول : التفتيش عن النصوص والأخبار ، ومن النصوص الدالة على هذا قول أبي أحمد العسكري : «شرحت في كتابي هذا الالفاظ والأسماء المشكلة التي تتشابه في صورة الخط فيقع فيها التصحيف ويدخلها التحريف ، مما يعرض في ألفاظ اللغة والشعر ... فيصحفها عامة الناس ويغلط فيها بعض الخاصة ولا يكمل لها الا من افتن في العلوم ولقي العلماء والرواة ...واستقبح لذة الراحة والتقليد على تعب البحث والتنقير ...»[٢].

وطبيعي أن التفتيش عن النصوص والأخبار وجمعها ، يتبعه قيام المؤلف بدراسة هذه النصوص لفهمها والوصول الى معانيها الحقيقية ، ولهذا ترد لفظة «البحث» دالة على القدرة على التعمق في دراسة النص ومقترنة بالنظر والتأمل عند كثير من المؤلفين ، من مثل ما نراه في قول ابن طباطبا العلوي : «فاذا اتفق لك في اشعار العرب التي يحتج بها تشبيه لا تتلقاه بالقبول او حكاية تستغربها فابحث عنه ونقر عن معناه فإنك لا تعدم ان تجد تحته خبيئة اذا اثرتها عرفت فضل القوم بها»[٣] .

والمعنى الثاني لمصطلح البحث عند القدامى هو المناقشة والجدل ، وقد دل المصطلح على هذا المعنى منذ القرن الثالث للهجرة ، ففي كتاب الكامل للمبرد في معرض الحديث عن الخوارج نرى النص التالي : «وذكروا ان عبدالملك بن مروان أتي برجل منهم فبحثه ، فرأى منه ما شاء فهما وعلما ، ثم بحثه فرأى ما شاء أربا ودهيا فرغب فيه فاستدعاه الى الرجوع عن مذهبه ...»[٤]، وواضح

---

(٢) شرح ما يقع فيه التصحيف ١ ، وورد «البحث» بهذا المعنى في كثير من الكتب . ينظر على سبيل المثال : رسائل أبي حيان ١٠٨ - ١٠٩ ، تاريخ علماء الاندلس ٢/١ ، البديع في وصف الربيع ١٦٠ - ١٦١ ، الذخيرة ٢/١/١ ، جذوة المقتبس ٧٠ ، الجمان ٢٢٣ ، سمط اللآلي ٤٣٠/١ ، بغية الملتمس ٤١٥ - ٤١٦ ، الصلة ٩١/١ ، بدائع البدائة ٤٠٧/٤ - ٤٠٨ ، معجم الادباء ٩٧/٥ ، الجامع الكبير ١ ، المثل السائر ١١٢/١ ، انباه الرواة ٦٢/٣ ، نهاية الأرب ٥١/٨ ، بغية الوعاة ١١٠/٢ .

(٣) عيار الشعر ١١ ، وورد البحث بهذا المفهوم في كثير من الكتب . ينظر على سبيل المثال : مروج الذهب ٩١/١ ، ١٤٤ - ١٤٥ ، الوساطة ٢٠٨ ، اعجاز القرآن ٣٨٨ ، اسرار البلاغة ٤٢ ، ٧٨ ، احكام صنعة الكلام ٩٥ - ٩٦ ، نكت الهميان ٦٥ ، تذكرة السامع ٧٢ - ٧٣ ، مقدمة ابن خلدون ٣٨ .

(٤) الكامل ٢٣١/٣ .

أن لفظة «بحثه» هنا تعني جادله وناقشه ، وقد استعمل «البحث» بهذا المعنى في كثير من الكتب القديمة[٥]، واستقر لدى المتأخرين مصطلحا خاصا بالجدل والمناظرة ، وفي هذا يقول الشريف الجرجاني : «آداب البحث : صناعة نظرية يستفيد منها الانسان كيفية المناظرة وشرائطها صيانة له عن الخبط في البحث والزاما للخصم وافحامه ..»[٦]. وقد ألف المتأخرون كثيراً من الرسائل والكتب في هذا الموضوع معنونة بآداب البحث ، لا حاجة بنا الى ذكرها لكونها الى علم المنطق أقرب منها الى علم الأدب .

وللبحث عند القدامى - كما هو الحال عند الدارسين المحدثين - منهج معين يلتزم به المؤلفون ويسيرون على خطواته ومبادئه ، والدلائل التي تؤكد هذه الفكرة عديدة متنوعة تبدو أولا في نظرتهم الى صعوبة التأليف واشاراتهم الى كثرة الطاعنين على الكتب والمؤلفات ، من مثل قول الجاحظ : «من صنف كتابا فقد استهدف ، فان احسن فقد استعطف ، وان اساء فقد استقذف ...»[٧] ، وقوله ايضا : «لا يزال المرء في فسحةٍ من عقله ما لم يقل شعراً او يصنف كتابا»[٨]، وشبيه بهذا ما ينقله الراغب الأصفهاني من قولهم : «عرض بنات الصلب على الخطاب اسهل من عرض بنات الصدور على الألباب»[٩]، وقول الخطيب البغدادي : «من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس»[١٠].

هذه الأقوال السابقة واضحة الدلالة على احساس المؤلفين القدامى بصعوبة التأليف وحراجة موقف المؤلف واحتياطه وحذره لئلا يتناوله الآخرون بالطعن والتجريح ، فهي لهذا واضحة الدلالة على وجود طريقة معروفة

---

(٥) ينظر على سبيل المثال : الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ٣١ ، زهر الآداب ٨٤٤/٢ - ٨٤٥ ، أسرار البلاغة ٦٥ ، أيها الولد ٤٥ ، تذكرة السامع ٤١ ، الغيث المسجم ٤/١ .

(٦) التعريفات ١٤ ، وينظر : التحفة النظامية ٤٩ ، كشف الظنون ١١٨/١ .

(٧) زهر الآداب ١٤٢/١ .

(٨) محاضرات الأدباء ٤١/١ .

(٩) نفسه .

(١٠) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٩أ .

للتأليف ، اذ لايمكن ان نتصور أنهم ينصون على صعوبة التأليف وهو عندهم جمع عشوائي لا يسير على منهج معين ، ولا يمكن ان يكون المؤلف محرجا أمام الآخرين اذا لم يكن في ذهن الآخرين مفهوم واضح لطريقة معينة في التأليف .

ويتصل بهذا ما نراه كثيرا من اعتذار المؤلفين خلال كتبهم عما يبدو فيها من خلل أو نقص واضطراب ، وتواجهنا مثل هذه الاعتذارات منذ القرن الثالث الذي يمثل حقبة متقدمة في التأليف الأدبي ، فالمبرد يقول في كتابه الفاضل : «وسنذكر في كتابنا هذا أبوابا من كلام العرب وبعض ما روى عنها ... ونقدم العذر في تقصير إن وقع فيه أو خلل ان لزمه ، فإنا ألفناه من غير خلوة به ولا تمييز لما تضمنه ونسأل الله توفيقه وحسن معونته»[11]. وواضح أن المؤلف يعتذر من قارىء الكتاب مما قد يجده القارىء من نقص أو خلل يرجع الى عجلة المؤلف في اخراج الكتاب ، وهذا يدل على أن القارىء الذي يتوجه المؤلف بهذا الاعتذار اليه يفهم من عملية التأليف التأني والانصراف الى البحث وحسن تنسيقه ، كما يعرف مواضع الخلل والنقص في الكتاب الذي يقرؤه ، وأي خلل أو نقص يبدو واضحا للقارىء اذا لم يكن في ذهنه صورة أو طريقة معروفة في التأليف ، وأي سبب يدعو المؤلف الى الاعتذار ان لم يكن التأليف قد بلغ المنزلة التي يكون بوساطتها تقليداً أو علما له قواعد واصول بالشكل الذي يحمل المؤلف على الاعتذار إن هو أخل بشيء منها ؟ ومن هنا كنا نفهم من هذه الاعتذارات التي يبديها المؤلفون في كتبهم أنها تدل على إن هناك منهجا معروفا للبحث والتأليف عند الجميع أن خالفه المؤلف استوجب اعتذاره .

واذا ما تركنا القرن الثالث واجهتنا في القرون التالية له كثرة من أمثال هذه الاعتذارات التي تصبح قاعدة في التأليف لايكاد يخلو منها كتاب ، من مثل قول ابي احمد العسكري : «واسأل الله التوفيق للصواب والسلامة من الزلل ، فاني أمليت هذا الكتاب على حين تقسم من القلب وتشعث من الفكر

(١١) الفاضل ٨ .

واضطراب من الجسم ... وفي أيسر هذه الشواغل واقل هذه الدواعي ما يذهل ويشغل وينسى معه ما قد حفظ»[١٢].

واعتذاره هذا قائم على اساس عدم استقرار الحالة النفسية والصحية للمؤلف عند تأليفه الكتاب ، وارتباط الاعتذار بهذه الناحية دليل اكيد على وجود منهج علمي في التأليف تستدعي مراعاته والسير على خطواته - من ضمن ما تستدعيه ـ استقرار المؤلف نفسيا .

ولابن قيم الجوزية اعتذار مهم في كتابه «روضة المحبين» يقول فيه : «والمرغوب الى من يقف على هذا الكتاب أن يعذر صاحبه فانه علقه في حال بعده عن وطنه وغيبته عن كتبه»[١٣]. وهو في اعتذاره هذا يشير صراحة الى أن سبب ما قد يظهر في كتابه من نقص يرجع الى بعده عن كتبه ، ومن ثم يشير صراحة الى ناحية مهمة في منهج البحث ألا وهي جمع المصادر قبل الشروع بالتأليف ، وما توجه بالاعتذار الى قارئه الا لأن هذه الفكرة المنهجية «جمع المصادر» مفهومة لدى الجميع .

ونستطيع الوقوف على دليل آخر يقوى الاعتقاد بوجود المنهج عند المؤلفين القدامى ، وهو ما يواجهنا كثيرا من وصفهم لبعض المؤلفين باجادة التأليف ووصفهم لبعضهم الآخر بعدم اجادته ، وهذه الاشارات كثيرة في الكتب وحسبنا ان نذكر بعضها لنرى بِمَ ترتبط هذه الأوصاف وعلى أي شيء تدل .

يقول المرزباني عن أبي بكر الصولي : « ... فكان واسع الرواية حسن الحفظ للآداب والافتنان فيها حاذقا بتصنيف الكتب ووضع الأشياء منها مواضعها»[١٤] ونلاحظ أن وصفه للصولي باجادة التأليف مرتبط بحسن ترتيب الصولي لمواد كتبه ووضعها في أماكنها المناسبة ، وهذا يشير الى مسألة مهمة من مسائل المنهج الا وهي التبويب والتنسيق لمواد الكتاب حسب الترابط فيما

---

(١٢) شرح ما يقع فيه التصحيف ٧ .

(١٣) روضة المحبين ١٥ .

(١٤) معجم الشعراء ٤٣١ .

بينها .

ويشبه هذا ما يقوله الخطيب البغدادي في وصف المرزباني : « ... كان حسن الترتيب لما يجمعه»[١٥]، وما يقوله ياقوت الحموي عن الوشاء : «من أهل الأدب حسن التصنيف مليح التأليف»[١٦].

وقد ترتبط اجادة التأليف عندهم بوضوح المادة العلمية وحسن عرض المؤلف لها ، نرى هذا في قول ياقوت الحموي متحدثا عن كتاب (المقدمة في النحو) للجوهري : «وهذا الكتاب هو الذي بأيدي الناس اليوم وعليه اعتمادهم أحسن تصنيفه وجود تأليفه وقرب متناوله ... يدل وضعه على قريحة سالمة ونفس عالمة ..»[١٧].

كما يرتبط حسن التأليف أحياناً بحسن استيعاب المؤلف لمادة كتابه وموضوعاته ، من مثل قول ياقوت الحموي في أبي الفرج الأصفهاني : «لا اعلم لأحد أحسن من تصانيفه في فنها وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه ..»[١٨].

ويتصل حسن التأليف أيضا بحسن اختيارات المؤلف وجودة دراسته ومناقشته للأحكام ، كما يفهم من قول الصفدي في المرزوقي : «كان غاية في الذكاء والفطنة ، حسن التصنيف واقامة الحجج وحسن الاختيار ..»[١٩]أو قد يرتبط حسن التأليف بجودة عبارة المؤلف في كتابه ، كما نرى هذا في قول الصفدي متحدثا عن كتاب الذخيرة لابن بسام : «ولا أعرف في الأدب كتابا مثله في بابه في الاستطراد بالنظائر والأمثال والأشباه وذكر السرقات ، وأما نثره في تراجم من ذكره فيها فانه كالمدام وصفا والنسيم لطفا»[٢٠].

هذه امثلة لما يواجهنا من وصف بعض المؤلفين بحسن التأليف واجادته

---

(١٥) تاريخ بغداد ١٣٥/٣ .

(١٦) معجم الأدباء ٢٧٧/٦ .

(١٧) معجم الأدباء ٢٦٨/٢ .

(١٨) نفسه ١٤٩/٥ .

(١٩) الوافي بالوفيات ٥/٨ .

(٢٠) نفسه ١٣/١٢أ .

وقد رأينا أن هذا الوصف يرتبط بصفاء لغة المؤلف حينا وحسن ترتيبه لمواد كتابه حينا آخر ، كما يرتبط بجمع المؤلف لمصادر كتابه وحسن عرضه لمواد الكتاب وجودة دراسته للنصوص اضافة الى حسن استيعابه لها في أحيان أخرى . وكل هذه المسائل تعد مسائل أساسية في منهج البحث ، ومن ثم يمكن القول بأن النصوص السابقة تدل على وجود هذا المنهج عند المؤلفين العرب ومعرفتهم به . هذا المنهج الذي يحتوى - من ضمن ما يحتويه - على هذه المسائل المنهجية المهمة ، التي ان التزم المؤلف بها كان مستحقا لأن يوصف باجادة التأليف ، فان اخل باحدى هذه المسائل أو بمسائل اخرى تعد أساسية في منهج البحث وصف بعدم اجادة التأليف ، كما نرى هذا عند القفطي وهو يتحدث عن عبد اللطيف بن يونس البغدادي : «وكان يدعي تصنيف كتب ما فيها مبتكر ، وانما يقف على تصانيف غيره فاما أن يختصر أو يزيد مالا حاجة اليه وهي في غاية البرودة والركاكة»[٢١]، وواضح أن نقد هذا المؤلف قائم على اساس انعدام صفة الابتكار والجدة في مؤلفاته ، والابتكار اهم سمة من سمات البحث العلمي وأهم ما يجب أن ينوخاه باحث عند اختياره موضوعا معينا .

وفي ثنايا الكتب القديمة نصوص تشير صراحة الى وجود طريقة خاصة للتأليف ، وطريقة التأليف تقابل منهج البحث في المعنى ، ونحسب ان نص المؤلفين على وجود هذه الطريقة الخاصة للتأليف من أقوى الدلائل على وجود منهج للبحث عندهم .

يقول المحسن التنوخي في وصف كتابه نشوار المحاضرة : «هذه ألفاظ تلقّطتها من أفواه الرجال وما دار بينهم في المجالس ... ولعل قارئها والناظر فيها أن يستضعفها اذا وجدها خارجة عن السنن المعروفة في الأخبار والطريق المألوف في الحكايات والآثار الراتبة في الكتب المتداولة بين أهل الأدب»[٢٢] فهو يشير صراحة الى أن ما في كتابه خارج عن الطريقة المعروفة الثابتة عند أهل

---

(٢١) انباه الرواة ١٩٤/٢ - ١٩٥ .

(٢٢) نشوار المحاضرة ١/١ .

الأدب في تأليفهم للحكايات والاخبار ، وهذه الطريقة معروفة منذ القرن الرابع وهو القرن الذي عاش فيه المؤلف ، ويشبه قوله السابق قوله في كتابه الآخر (الفرج بعد الشدة) : «وكنت قد وقفت في بعض محني على خمس أو ست أوراق جمعها أبو الحسن علي بن محمد المدائني وسماها كتاب الفرج بعد الشدة والضيق وذكر فيها أخبارا تدخل جميعها في هذا المعنى فوجدتها حسنة ولكنها لقلتها نموذج صغير ولم يأت بها مؤتلفة ولا سلك بها سبيل الكتب المصنفة»[٢٣]، وواضح ما بعبارته الاخيرة من نص صريح على وجود طريقة خاصة بتأليف الكتب ، نرى النص عليها واضحا أيضا في قول أبي حيان التوحيدي متحدثا عن رسالته في أخلاق الوزيرين : «ولقد اضطرب علي نسج الرسالة على مذهب المصنفين»[٢٤]، وقوله في كتابه الامتاع والمؤانسة : «قد رايت ايها الشيخ ـ حاطك الله ـ عند بلوغي هذا الفصل ان اختم الجزء الاول بما انتهى اليه واشفعه بالجزء الثاني ... غير عائج على ترتيب يحفظ صورة التصنيف على العادة الجارية لاهله ..»[٢٥].

وكل هذه النصوص وما سبقها تدل دلالة قوية على وجود منهج واضح ومعروف في البحث الأدبي عند القدامى ، ومن ثم يمكن القول بأن عملية البحث والتأليف الأدبي عندهم كانت ذات صفة علمية تتمثل في وجود منهج معروف لها سار عليه المؤلفون والتزموا بأصوله وقواعده .

---

(٢٣) الفرج بعد الشدة ٦/١ .

(٢٤) اخلاق الوزيرين ٤٦١ .

(٢٥) الامتاع والمؤانسة ٢٢٦/١

(٢)
صفات الباحث

يقول أبو زكريا النووي متحدثا عن آداب العالم : «وينبغي أن يعتني بالتصنيف اذا تأهل له ... وليحذر كل الحذر أن يشرع في تصنيف ما لم يتأهل له فان ذلك يضره في دينه وعلمه وعرضه ..»[٢٦]. ويقول الشيخ عزالدين الزركشي : «من فروض الكفاية تصنيف الكتب لمن منحه الله فهما واطلاعا ...»[٢٧].

والقولان يعبران عن فكرة واحدة هي وجوب توافر صفات علمية فيمن يروم التأليف ، ذلك أن التاليف ـ كما فهمه القدامى - عمل علمي يتطلب من المتصدى له صفات خاصة تجعله مؤهلا للقيام به . ومن هنا يمكننا أن نلاحظ في ثنايا الكتب الأدبية القديمة كثيرا من الاشارات الى الصفات التى رأى القدامى وجوب توافرها في المؤلفين والعلماء ، وقد ترد هذه الصفات منصوصا عليها احياناً ، او ترد مفهومة من نص وارد في ذم المؤلف أو مدحه . ومن جميع هذه الاشارات والنصوص نستخلص الصفات التالية :

---

(٢٦) التعريف باداب التاليف ٣ .والنووي أبو زكرياء محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، عالم مشارك في كثير من العلوم الاسلامية ، ولد بـ «نوى» من أعمال حوران ، وتوفي بها عام ٦٧٦هـ . (ينظر : البداية والنهاية ٢٧٨/١٣ - ٢٧٩ ، شذرات الذهب ٣٥٤/٥ - ٣٥٦ ، ومعجم المؤلفين ٢٠٢/١٣ في ذكر المصادر الأخرى لترجمته) .

(٢٧) التعريف بآداب التأليف ٢ - ٣ ، والشيخ الزركشي هو أبو عبدالله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله المصري الشافعي ، تركي الأصل ، مصري المولد ، له مشاركة في معظم العلوم الاسلامية ، توفي بالقاهرة عام ٧٩٤هـ . (ينظر : شذرات الذهب ٣٣٥/٦ ، معجم المؤلفين ٣٣٥/٦) .

التحصيـل :

التحصيل لغة يعني الجمع . جاء في لسان العرب : «تحصـل الشيء : تجمع وثبت ...»[٢٨]، وقال التهـانوى : «التحصـيل في اللغـة : الجمع ، وفي العـرف العام : جمع العلم ...»[٢٩].

وورد الاستعمال الاصـطلاحي لهـذه الكلمة في كثير من الكتب القـديمة من مثل قول الخوارزمي في كتابه مفاتيح العلوم : «وقد جمعـت في هذا الكتاب أكثر ما يحتاج اليه من هذا النوع متحـريا للايجـاز والاختصـار ومتوقيا للتطويل والاكثار والغيث المشهور المتعـارف بين الجمهـور وما هو غامض غريب لايكاد يخلو اذا ما ذكر في الكتب من شرح طويل وعنيت بتحصيل الواسطة من هذين الطرفين ... »[٣٠]، وشبيه به مايذكره الثعـالبي متحـدثا عن شـعراء الشـام : «وأخـبرني جماعة من أصـحاب ابي القـاسم اسماعيل بن عباد أنه كان يعجـب بطريقتهم المثلى ... ويحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم»[٣١].

ويدل التحصيل في الكتب القديمة على معنى ثان هو القـدرة على اسـتيعاب النصوص والتمييز بين صحيحها وزائفها ، من مثل قول الجاحظ : «وما هو الا ان ولد أبو مخنف حديثا أو الشرقي بن القطامي أو الكلبي أو ابن الكلبي ... ثم صـوره في كتاب وألقـاه في الوراقين الا رواه من لايحصـل ولا يتثبت ...»[٣٢]. وعدم التحصيل في هذا النص يعني عدم القدرة على التمييز بين صـحيح الأخبار وزائفها ، ولهذا يكون معنى التحصـيل هنا هو القـدرة على الفهـم الصـحيح للنصوص والأخبار وعدم التسليم بصـحة كل ما يقـرأ وينقـل . ويشـبهه في استعمال المصطلح بهذا المعنى أبو الفرج الاصفهاني في قوله متحـدثا عن السـيد الحميري : «وقد روى بعض من لم تصـح روايته أنه رجـع عن مذهبه وقال

---

(٢٨) لسان العرب (حصل) .

(٢٩) كشاف اصطلاحات الفنون ٣٤٦/١ .

(٣٠) مفاتيح العلوم ٤ .

(٣١) يتيمة الدهر ٢٥/١ .

(٣٢) رسائل الجاحظ ٢٢٥/٢ -٢٢٦ .

بمذهب الامامية وله في ذلك :

تجعفرت باسم الله والله اكبر وأيقنت ان الله يعفو ويغفر

وما وجدنا ذلك في رواية محصل ولا شعره أيضا من هذا الجنس»[٣٣].

وبسبب هذه المعاني الاصطلاحية التي رأيناها لكلمة التحصيل وما دل عليه من الوجهة العلمية صار هذا المصطلح صفة لازمة للعلماء مقترنة بهم عند القدامى ، كما نرى هذا في قول السيرافي متحدثا عن المُبَرِّد : «وسمعت نفطويه يقول : ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه ومن أبي العباس بن فرات ، وكذلك أخبرنا أبو بكر بن السراج عن محمد بن خلف وكيع ... وأكثر أهل التحصيل يفضلونه ...»[٣٤]، ولا يخفى أن «أهل التحصيل» هنا هم العلماء البارزون الذين تعتمد آراؤهم في مجال اختصاصاتهم ، وشبيه بهذا النص قول أبي الفرج الأصفهاني : «وممن دونت صنعته من خلفاء بني العباس الواثق بالله ، ولم نعلمه حكي ذلك عن أحد منهم قبله الا ما قدمنا سوء العهدة فيه عن ابن خرداذبة ، فانه حكى أن للسفاح والمنصور وسائرهم ، وأتى فيه بأشياء غثة لا يحسن لمحصل ذكرها ..»[٣٥].

التحقيق :

التحقيق لغة معناه التأكد من صحة الخبر وصدقه . جاء في لسان العرب : «وتحقق عنده الخبر أي صح ، وحقق قوله وظنه تحقيقا أي صدق»[٣٦]. وهو اصطلاحا يعني اثبات المسألة بالدليل . يقول الشريف الجرجاني : «التحقيق : اثبات المسألة بدليلها»[٣٧]، ويقول التهانوى : «التحقيق في عرف أهل العلم :

---

(٣٣) الأغاني ٢٣٥/٧ - ٢٣٦ ، وهناك نصوص أخرى ورد فيها مصطلح التحصيل بمعنى مشابه لما سبق ، ينظر : الحيوان ٩٧/٣ ، نقد الشعر ١٦٦ - ١٦٧ ، آداب المتعلمين ١٤٣ - ١٤٥ .

(٣٤) أخبار النحويين البصريين ٧٧ .

(٣٥) الأغاني ٢٧٦/٩ .

(٣٦) لسان العرب (حقق) .

(٣٧) التعريفات ٥٥ .

اثبات المسألة بالدليل»[٣٨].

وفي الكتب الأدبية القديمة تستعمل هذه اللفظة بمعنييها اللغوي والاصطلاحي ، فمن أمثلة استعمالها بالمعنى اللغوي ما ورد عند ابن المعتز بعد أن اورد عدة روايات في سبب مقتل صالح بن عبدالقدوس ، لم يستطع ترجيح احداها ، فقال بعدها : «والله أعلم بتحقيق ذلك»[٣٩]. وقوله هذا يدل على أنه لم يستطع التأكد من صحة رواية من هذه الروايات التي يوردها .

واستعمل الحريري «التحقيق» بمعناه الاصطلاحي في قوله: «فأما قول الشاعر:

وعدت فكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه بيترب

فأكثر الرواة يروونه (بيثرب) ويعنون به المدينة ، وانكر ابن الكلبي ذلك وحقق ان الرواية : (بيترب) بتاء معجمة ... واحتج في ذلك بأن عرقوبا كان من العمالقة الذين لم ينزلوا بالمدينة ..»[٤٠]، وواضح أن ترجيح ابن لكلبي لرواية لفظة معينة في البيت المتقدم كان مستندا الى دليل ، ولهذا أطلق الحريري على هذا الترجيح اسم التحقيق مشيرا به الى المعنى الاصطلاحي للكلمة[٤١].

ولما كان التحقيق بهذا المعنى صار صفة من صفات العلماء في كل مجال من مجالات العربية ، فللبيان علماء محققون كما يظهر في قول ابن الأثير : «وأورده جماعة من العلماء مثل قدامة والجاحظ وأبي هلال العسكري والغانمي ... في تصانيفهم في باب الاستعارة ولم يذكروا أن الأصل فيه تشبيه بليغ ، فما اعلم هل ذلك لخفائه عليهم أو أنهم عرفوه ولم يذكروه ، وهو الأصل المقيس عليه في

---

(٣٨) كشاف اصطلاحات الفنون ٣٣٦/١ .

(٣٩) طبقات الشعراء ٩١ .

(٤٠) درة الغواص ٦٦ - ٦٧ .

(٤١) وورد استعمال التحقيق بهذا المعنى في الكتب التالية : أسرار البلاغة ٢٦ . ٨٨ . دلائل الاعجاز ١١٨ . سر الفصاحة ٢٧ - ٢٨ . ذم الهوى ٥ . منهاج البلغاء ١٣٣ - ١٣٤ .

التشبيه الذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان ..»[42] وللأدب أيضا علماء محققون به كما نرى هذا في قول السيوطي : « ... كان أحد أفراد أهل الأدب والمحققين به»[43]، وللعربية على وجه العموم علماء محققون بها كما يظهر في قول الفيروزابادي : «محمد بن طلحة ... النحوى ، أمام في العربية ... غلب عليه تحقيق العربية والقيام عليها ...»[44].

التمييز :

التميز لغة هو العزل والفرز بين الأشياء[45]، أما اصطلاحا فنستطيع أن نتبين مما جاء في الكتب الأدبية القديمة أنه يعني قدرة المؤلف على الفصل بين المتشابهات من النصوص والأخبار التي يدرسها ، أي أن المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة لايختلف بشيء عن معناها اللغوى عند المؤلفين في الأدب ، فالمُبَرِّد مثلا يقول في كتابه الفاضل : «ونقدم العذر في تقصير ان وقع أو خلل ان لزمه فانا ألفناه من غير خلوة به ولا تمييز لما تضمنه»[46]. ومن الواضح أنه في اعتذاره هذا يستند الى أنه كان عجلا في تأليف الكتاب بشكل لم يتح له دراسة نصوصه دراسة متأنية ، ومن ثم اختلطت النصوص ببعضها ففقد المؤلف صفة التميز فيما بينها ، وهذا ما يفهم من قوله «ولا تمييز لما تضمنه» .

وغير خفي أن صفة الفرز والعزل بين المتشابهات من النصوص والأخبار تستدعي الفطنة والذكاء ، ولهذا كان مصطلح التميز مقترنا بالعلم والذكاء مرادفا لهما في بعض النصوص التي تصادفنا في الكتب الأدبية من مثل قول القاضي الجرجاني : «وقد يخلط من يقصر علمه ويسوء تمييزه بالمطابق ما ليس منه كقول كعب بن سعد :

---

(٤٢) الجامع الكبير ٨٢ - ٨٣ . ووردت عبارة «المحققون من علماء البيان» عند ابن أبي الاصبع المصري أيضاً في كتابه : بديع القرآن ٢٧ .

(٤٣) بغية الوعاة ٢٤١/٢ .

(٤٤) البلغة ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٤٥) لسان العرب (ميز) .

(٤٦) الفاضل ٨ .

لقد كان أمّا حلمُهُ فمُرَوِّحٌ علينا وأمّا جَهْلُهُ فعزيب

لما رأى الحلم والجهل ومروحا وعزيبا جعلهما في هذه الجملة ..»[47]. وشبيه به قول ابي الوليد الحميري : «وتأمل ايها الناظر في كتابي هذا تأمل اليقظ المتقد والمميز المنتقد تر أغرب التشبيهات ...»[48]، واقتران التمييز بالانتقاد واليقظة في النص يعني اقترانه بالذكاء والفطنة .

ولا يخفى أن هذا المصطلح بما دل عليه من ذكاء وفطنة وقدرة على الفصل بين المتشابهات يعد صفة أساسية من صفات الباحثين والعلماء ، ولهذا أطلقه القدامى صفة على المؤلفين والعلماء من مثل قول أبي هلال العسكرى : «وقال ابن المقفع : البلاغة كشف ما غمض من الحق ، وتصوير الحق في صورة الباطل ، والذي قاله أمر صحيح لايخفى موضع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز والتحصيل ...»[49]، وقول عبدالواحد المراكشي في ترجمة المعتمد بن عباد : «وله رحمه الله شعر كثير برز في أكثره وأجاد ما أراد ، وسيمر منه في أضعاف أخباره ما يشهد له بالتبريز عند ذوي التمييز ..»[50].

التثبت :

جاء في لسان العرب : «وتثبت في الأمر والرأي واستثبت : تأنى فيه ولم يعجل ، واستثبت في أمره اذا شاور وفحص عنه ...»[51]، وهذا المدلول اللغوى لكلمة التثبت شبيه بمدلولها الاصطلاحي عند المؤلفين كما يظهر في كثير من النصوص الواردة في الكتب الأدبية القديمة من مثل قول الجاحظ : «وكانوا يأمرون بالتبين والتثبت وبالتحرز من زلل الكلام ومن زلل الرأي ومن الرأي الدبري ، والرأي الدبري هو الذي يعرض من الصواب بعد مضي الرأي

---

(٤٧) الوساطه ٤٥ - ٤٦ .

(٤٨) البديع في وصف الربيع ٣ .

(٤٩) الصناعتين ٥٣ .

(٥٠) المعجب ٧٢ .

(٥١) لسان العرب (ثبت) .

الأول وفوت استدراكه ...»[٥٢]. والتثبت كما يتضح من هذا النص يعني وجوب تأني العالم وعدم عجلته في ابداء رأي معين الا بعد التأكد من صحته ، وهذا هو المدلول اللغوي نفسه ، واتجاه العالم هذا الاتجاه من الدقة والتحرز من العجلة يجعل ما يصدر عنه من آراء وما ينقله من نصوص صحيحا موثوقا به ، ولهذا نجد القدامى يربطون بين التثبت والابتعاد عن الخطأ من مثل قول الخطيب البغدادي : «ذكر أبو زكريا أبا عبيدة الحداد فقال : كان من المتثبتين ما اعلم أنا أخذنا عليه خطأ البتة ..»[٥٣].

ولهذا كانت هذه الصفة من الصفات التي اشترطوا وجوب توافرها في العلماء والدارسين ، فالجاحظ يراها مما يمتاز به الانسان العاقل من غيره في قوله : «واذا كانت البهيمة اذا أحست شيئا من أسباب القانص أحدّت نظرها واستفرغت قواها في الاسترواح وجمعت بالها للتسمع ... كان الانسان العاقل أولى بالتثبت وأحق بالتعرف ..»[٥٤]، والقاضي الجرجاني يجعل هذه الصفة قرينة لصفة العدالة والانصاف في قوله : «وليس يجب اذا رأيتني أمدح محدثا أو أذكر محاسن حضري أن تظن بي الانحراف عن متقدم ... بل يجب أن تنظر مغزاي فيه وأن تكشف عن مقصدي منه ثم تحكم علي حكم المنصف المتثبت وتقضي قضاء المقسط المتوقف ...»[٥٥]

التواضع :

للمؤلفين القدامى كثير من النصوص الدالة على اشتراط توافر هذه الصفة في العلماء ، منها ما جاء على شكل وصايا وآراء عامة ، ومنها ما جاء على شكل أحكام وأقوال تستوجب وجود هذه الصفة وتحبذها .

يقول الجاحظ : «وقال عمر بن عبدالعزيز : من قال لا أدري فقد أحرز

---

(٥٢) البيان والتبيين ١٩٧/١

(٥٣) تاريخ بغداد ٤/١١ .

(٥٤) البيان والتبيين ٤٢/٢ .

(٥٥) الوساطة ١٥

نصف العلم»[٥٦]، ويقول ايضا : «وكانوا يستحبون ألا يجيبوا في كل ما سئلوا عنه»[٥٧]. وهذان القولان يدوران حول فكرة واحدة هي وجوب اعتراف العالم بعدم معرفته لشيء يجهله ووجوب عدم اجابته عن كل شيء يسأل عنه ، هذه الفكرة التي تشير بوضوح الى وجوب ابتعاد العالم عن الادعاء والمكابرة ومحاولة الظهور بمظهر من يعرف كل شيء ، والتي نراها واضحة أيضا في قول ابن قتيبة : «وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي أنه قال : سألت عيسى بن عمر عن قول أمية بن أبي الصلت :

والأرض نوخها الآله طروقة للماء حتى كل زند مسفد

فقال : لا اعرفه ، وقد سألت عنه فلم أجد من يعرفه . فهذا الأصمعي وعيسى بن عمر ، ومن سأله عيسى من أهل اللغة لم يعرفوا هذا البيت وفسره من دونهم فقال ...»[٥٨]. ولا يخفى ما بتعليق ابن قتيبة هذا من امتداح للأصمعي وعيسى بن عمر ، وما فيه من تجريح لمن فسر هذا البيت من بعدهما ، يظهر في قول ابن قتيبة : «وفسره من دونهم» ، مما يشير صراحة الى امتداح صفة التواضع في العلماء وجعل ما هو ضد لها صفة لمن هو دونهم في العلم والمعرفة .

ويظهر الالتزام بالتواضع عند القدامى أيضا في كثير مما قالوه من كلمات اعتذارية في كتبهم ، من ذلك قول ابن المعتز في كتابه البديع : «ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر ، ومحاسنها كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدعي الاحاطة بها ...»[٥٩] وواضح ان المؤلف لم يشأ الادعاء بأنه استوعب كل ما كان ذا علاقة بموضوعه ، وجعل مثل هذا الإعتراف بعدم الاحاطة صفة للعالم ، وشبيه به قول الثعالبي : «وفيما لم يقع الي من جنس هذا الكتاب كثرة ولعله يزيد على ما حصل لدى ومن يقدر على حصر بنات الأفكار ...»[٦٠] وهو

---

(٥٦) البيان والتبيين ١/٩٨ ٣

(٥٧) نفسه ٢/٩٠ .

(٥٨) تأويل مشكل القرآن ٦٨ - ٦٩ .

(٥٩) البديع ٥٨ .

(٦٠) يتيمة الدهر ١/٢٢ .

يعترف بتواضع هنا أن ما فاته من مواد الكتاب قد يكون أكثر مما أثبته ، ولو لم تكن صفة التواضع ماثلة أمام عنيه لما اعترف بهذا ولأدعى الاحاطة والاستيعاب .

وفيما قالوه من ذم للمتعالمين ، ولمن يرون أنفسهم أكثر مما يستحقون دليل اخر على أن هذه الصفة كانت من الصفات المهمة عندهم ، فقد نقل عن ثعلب قوله متحدثا عن الرياشي : «فقلت له : وجالست الأخفش؟ قال : نعم ، وأنا أرى أني أعلم منه ، فما أعجبتني هذه الكلمة منه لأني وجدته أفرط فيها ..»[٦١] ويقول ابو الطيب اللغوي ناقدا بعض أهل عصره : «يتقلد كل علم ويدعيه ويركب كل افك ويحكيه ، يجهل ويرى نفسه عالما ، ويعيب من كان من العيب سالما ، ثم لايرضى بهذا حتى يعتقد أنه أعلم الناس ..»[٦٢].

البعد عن الهوى والعصبية :

يقول الجاحظ بعد ان يورد بعض الابيات من ارجوزة لابي نوّاس : «وانا كتبت لك رجزه في هذا الباب لانه كان عالماً راوية ، وكان قد لعب بالكلاب زمانا وعرف منها ما لا تعرفه الاعراب ، وذلك موجود في شعره ... واذا تأملت شعره فضلته الا ان تعترض عليك فيه العصبية او ترى ان اهل البدو ابد أشعر ... فان اعترض هذا الباب عليك فانك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوباً ...»[٦٣] والذي يبدو واضحاً من قول الجاحظ هذا انه يرى في التعصب ستارا يحجب الحقيقة ويقف حائلا دون التمييز بين الحق والباطل ، ومثل هذه النظرة تدل على تفهم علمي للأثر السيء الذي تتركه العصبية على أصحابها وما يصدرونه من أحكام ويؤمنون به من آراء .

وللمؤلفين القدامى كثير من النصوص التي تدل على مثل هذا الفهم العلمي لاثر التعصب في صاحبه . فقد انتقدوا المتعصبين وسفهوا احكامهم من مثل قول الصولي بعد أن يورد بعض الأخبار التي تدل على تعصب ابن

---

(٦١) مجالس العلماء ٦٠ .

(٦٢) مراتب النحويين ٣ .

(٦٣) الحيوان ٢٦/٢ - ٢٧ .

الأعرابي على المحدثين : «ومثل هذا من نقص ذوي الفضل والمتقدمين في الصنائع من جميع الناس قبيح ، وهو من العلماء أقبح ، نعوذ بالله من اتباع الهوى ونصر الخطأ ... واللجاج والعصبية ..»[٦٤] .

وقد شملت هذه النظرة عندهم الكتب التي يظهر فيها أثر للتعصب فوقفوا منها موقف الناقد منبهين على عدم فائدتها وجدواها من مثل قول المرزباني : «تحامل الزبير بن بكار على كُثَيِّر - فيما جمعه من أخباره وبين عليه من سرقاته - ظاهر ، وهو خصم لا يقبل قوله على كثير لهجاء كثير لولد عبدالله بن الزبير»[٦٥]، وقول ابن الأثير متحدثا عن كتاب ابن الدهان الموسوم بالمآخذ الكندية : « فهذه عيوب خمسة وجدتها في الكتاب المشار اليه ، واذا كان بهذه الصورة فلم تكن بذلك الرجل العالم حاجة الى تأليفه لأنه عليه لا لَهُ ، وجملته وتفصيله ينطقان بالتعصب على المتنبي والغض منه»[٦٦]. ولهذا نرى بعضهم يعلن في مقدمة كتابه عن ابتعاده عن التعصب فيما يؤلف وكأنه بهذا يريد ابعاد ما يطعن على الكتاب ابتداء ، من مثل قول حمزة الأصفهاني مخاطبا من ألف له كتابه التنبيه على حدوث التصحيف : «وأنا أجيبك عما سألت عنه سالكا طريق الانصاف ، وتاركا سبيل العناد وملتمسا النجاة من ركوب العصبية أو الركون الى الفساد واللجاج وحمية الجاهلية..»[٦٧].

ولهذا كانت صفة البعد عن الهوى والعصبية من الصفات المهمة التي راوا وجوب اتصاف العلماء بها ، وقد نصوا على هذا في كثير من النصوص الواردة في كتبهم من مثل قول الصاحب بن عباد : «وليس من الحزم أن يزرى العالم على نفسه بالعصبية ويضع من علمه بالحمية ، فالناس مع اختلافهم وتباين أصنافهم متفقون على أن تغلب الأهواء يطمس أعين الآراء ، وأن الميل عن

---

(٦٤) اخبار أبي تمام ١٨١ .

(٦٥) الموشح ٢٤٥ .

(٦٦) الاستدراك ٣ .

(٦٧) التنبيه على حدوث التصحيف ٥٦ .

الحق يبهم سبيل الصدق ..»[٦٨]، وقول ابي احمد العسكري : «وقد كان بعض شيوخ بغداد ، ممن يتعصب على علماء الكوفيين ويفرط فيه ، عمل كتابا جمع فيه تصحيفات علماء الكوفة واستقصاها وأضرب عما روى من أوهام العلماء البصريين تعصبا ، فلم أر ذلك منه انصافا ولا مشاكلا لأخلاق العلماء ..»[٦٩].

الاجتهاد والبعد عن التقليد :

الاجتهاد لغة : بذل الوسع والمجهود[٧٠]، وهو في اصطلاح الأصوليين : استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي[٧١]، أو هو رد القضية التي تعرض للحاكم من طريق القياس الى الكتاب والسنة[٧٢].

وبين هذين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لكلمة الاجتهاد علاقة وطيدة ، اذ ان اجتهاد الحاكم في اصدار حكم عن طريق القياس يقتضي منه اللجوء الى التفكير وبذل الجهد في سبيل التوصل الى هذا الحكم .

ويناقض مصطلح الاجتهاد من حيث المدلول مصطلحا آخر هو التقليد ، اذ ان التقليد اصطلاحا هو العمل بقول الغير من غير حجة[٧٣]، ومعنى هذا ان عدم التقليد معناه الابتعاد عن متابعة الآخرين في آرائهم وأحكامهم ومحاولة العالم أو المؤلف التوصل الى رأى معين باللجوء الى التفكير العقلي والاستناد الى الدلائل والحجج ، ومن هنا يلتقي الاجتهاد بعدم التقليد عند المؤلفين القدامى في الأدب ، وكأنهما شيء واحد ، كما نرى هذا في قول ابن الأثير : «والذي أداني اليه نظر الاجتهاد دون التقليد أن جريرا والفرزدق والأخطل أشعر ممن تقدم من شعراء الجاهلية وبينهم وبين اولئك فرق بعيد واذا استفتيت قلت : ان أبا تمام والبحتري والمتنبي أشعر من الثلاثة المذكورين وليس عندي أشعر منهم في جاهلية ولا اسلام ، لأن أبا تمام والمتنبي غاصا على المعاني فتعمقا

---

(٦٨) الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ٢٩ .

(٦٩) شرح ما يقع فيه التصحيف ٦ - ٧ .

(٧٠) لسان العرب (جهد) .

(٧١) كشاف اصطلاحات الفنون ١٩٨١ .

(٧٢) لسان العرب (جهد) .

(٧٣) كشاف اصطلاحات الفنون ١١٧٨٣

ودققا وأتيا بكل غريبة ، وأما البحتري فإنه فاز بديباجة السبك التي ليست لغيره ..»[٧٤].

ويلاحظ في هذا النص أن الاجتهاد مقترن بعدم التقليد ومرتبط به مدلولا والذي يدل عليه كلاهما هو وصول المؤلف الى نتيجة معينة وأصدار رأي معين مع تقديم الدليل والبرهان على ما يقول ، وهذا واضح جلي في كلام ابن الأثير السابق اذ يتوصل الى تفضيل بعض الشعراء العباسيين على شعراء العربية كافة معللا رأيه هذا ، وكأنه يقدم الدليل العلمي على ما يقول ، ويشبهه في هذا القلقشندي في قوله : « .. وكيفما كان فالاقتصار على معرفة المصطلح والاضراب عن تعرف أصول الصنعة ضعف همة وفتور ، والمقلد لا يوصف بالاجتهاد ، وشتان بين من يعرف الحكم عن دليل ومن جمد على التقليد مع جزم الاعتقاد»[٧٥].

ونراهم يشيرون كثيرا الى أن صفة التقليد ترتبط بقلة المعرفة وقلة الفهم ، ومن أمثلة هذا ما نراه في قول العميدي : «انما يذهب في مدح الكتاب والشعراء مذهب التقليد من يكون في علومه خفيف البضاعة قليل الصناعة ، صفر وطاب الأدب ... قصير باع الفهم جديب رباع العقل ...»[٧٦]، وأكدوا أن التقليد يحول دون التأمل والتفكير العلمي الصحيح ، كما نرى هذا في قول ابن سنان الخفاجي بعد أن يذكر رأيا لأبي القاسم الآمدى : « .. وهذا الذي قاله ابو القاسم لا أرضى به غاية الرضا ، ولو كنت اسكن الى تقليد أحد من العلماء بهذه الصناعة أو أجنح الى اتباع مذهبه من غير نظر وتأمل لم أعدل عما يقوله أبو القاسم لصحة فكره وسلامة نظره ..»[٧٧].

وقد توصلوا نتيجة اشتراطهم الاجتهاد واستهجانهم التقليد ، الى أن العقل هو الحجة وهو المرجع في الحكم على الأمور ، وفي هذا يقول الجاحظ : «وللأمور حكمان : حكم ظاهر للحواس ، وحكم باطن للعقول ، والعقل هو

---

(٧٤) الاستدراك ٢٥ .

(٧٥) صبح الأعشى ٨/١ .

(٧٦) الابانة ٢٠ .

(٧٧) سر الفصاحة ١١٢ .

الحجة ...»[٧٨]، وتوصلوا أيضا الى أن الحقيقة العلمية يجب ان تكون رائد العالم سواء أوافقت معتقداته وآراءه أم لم توافق . وفي هذا يقول الجاحظ : « والحق الذي أمر الله تعالى به ورغب فيه وحث عليه أن ننكر من الخبر ضربين ، أحدهما ما تناقض واستحال ، والآخر ما امتنع في الطبيعة ، فاذا خرج الخبر عن هذين البابين وجرى عليه حكم الجواز فالتدبير في ذلك التثبت ، وأن يكون الحق في ذلك هو ضالتك والصدق هو بغيتك كائنا ما كان ، وقع منك بالموافقة أم وقع منك بالمكروه ...»[٧٩]. وشبيه به قول علي بن حمزة البصرى بعد أن يشرح المقصود بكلمة المسكين : «وهذا الذي ذهبنا اليه وأوضحنا صحته هو مذهب محمد بن ادريس الشافعي الفقيه ، والفقهاء له منكرون ، وهو فيه المصيب وهم المخطئون ولسنا مع هذا على مذهبه ولكن الحق حيث كان فنحن له متبعون ...»[٨٠]. ولا يخفى ما بهذين القولين من دلالة على تفكير علمي دقيق اذ تصبح الحقيقة العلمية هدف المؤلف وغايته ، وبهذا يتوصل بعض المؤلفين القدامى الى فكرة علمية لا نظن أن المفكرين المحدثين يستطيعون أن يضيفوا إليها شيئا .

العلم بالشعر والتخصص :

تكثر الاشارات في الكتب القديمة الى صفة علمية تطلق على بعض علماء العربية وهي العلم بالشعر . وقد يأتي الوصف بهذه الصفة في بعض النصوص عاماً كما نرى هذا في قول ابن هشام بعد أن أورد قصيدة لعبدالله بن الزبعري : «تركنا منها بيتا واحدا واكثر اهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابن الزبعري ..»[٨١]، وشبيه بهذا ما يقوله أبو حاتم السجستاني عن الأصمعي : «وسأله رجل : أي الناس طراً أشعر ؟ قال : النابغة ، قال : تقدم عليه أحدا ؟ قال :لا ، ولا أدركت العلماء بالشعر يفضلون عليه

(٧٨) الحيوان ٢٠٧/١ .

(٧٩) نفسه ٢٣٨/٣ - ٢٣٩ .

(٨٠) التنبيهات على أغاليط الرواة ٣١٩ .

(٨١) سيرة ابن هشام ٢٢٧/٢ - ٢٢٩ . وبكثر ورود عبارة «العلم بالشعر» عند ابن هشام في كتابه هذا .

أحدا ...»[٨٢]. كما يأتي الوصف بهذه الصفة أحيانا مقتصرا على عالم مشهور مع تبيان وتفصيل لنوعية العلوم التي يتقنها ، وكأنهم بهذا يوضحون لنا ماهية هذه الصفة العلمية ، وهي العلم بالشعر ، من مثل قول ابن قتيبة في خلف الاحمر : «هو خلف بن حيان أبو محرز ، كان عالما بالغريب والنحو والنسب والأخبار شاعرا كثير الشعر جيده ، ولم يكن في نظرائه من أهل العلم أكثر شعرا منه ..»[٨٣].

والعلم بالشعر كما يفهم من أقوالهم في هذه النصوص يعني التمكن من فهم الشعر ومعرفة لغته وأساليبه بوساطة ما يمتلكه العالم من ثقافة في العربية تؤهله للوصول الى هذه المعرفة ، وتوافر هذه المعرفة عنده يؤهله للتمييز بين صحيح الأشعار وموضوعها ، ولهذا كثرت النصوص الدالة على رفض المنحول والمصنوع من الأشعار والتنبيه عليها منسوبة الى من سمّوهم بالعلماء بالشعر ، من مثل قول ابن هشام بعد أن أورد قصيدة لأبي طالب : «هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها»[٨٤]، وقول الصولي : «واعلم - أعزك الله - أن أبا نواس أشد الناس اختصارا للفظ وأبلغهم في شعره وأبعد أهل طبقته أن يقع عليه تدليس في شعره أو تشبيه كلامه بكلامه ، ولو لم يكن كذلك لما ذهب أيضا على العلماء بالشعر ولا يخفى عليهم صحيحه من سقيمه ...»[٨٥]

وكان اتصاف العالم بهذه الصفة يحله عندهم منزلة العالم الموثق الذي يؤخذ بقوله في كل شيء ، كما نرى هذا في قول ابن سلام الجمحي عن خلف الأحمر : «اجتمع اصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر وأصدقه لسانا ، كنا لا نبالي اذا اخذنا عنه خبرا أو انشدنا شعرا ألا نسمعه من صاحبه ..»[٨٦]

---

(٨٢) فحولة الشعراء ٩ .

(٨٣) الشعر والشعراء ٦٧٣/٢ .

(٨٤) سيرة ابن هشام ٢٩٨/١ . وشبيه بهذا النص ما ورد من تعليقات عديدة لابن هشام على بعض الأشعار . ينظر : السيرة ٢٢٥/٢ ، ٢٢٧ - ٢٢٩ ، ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٨٥) ديوان ابي نؤاس ١٣أ .

(٨٦) طبقات فحول الشعراء ٢٣/١ .

ونستطيع ان نتبين في جملة النصوص والاشارات العديدة الواردة في كتبهم أنهم كانوا يرون أن هذه الصفة لا تتوافر الا لمن اتجه الى التخصص وابتعد عن محاولة المشاركة في العلوم كافة ، ومن ثم فرقوا بين العالم والأديب في هذا المجال فقالوا : «اذا اردت أن تكون عالما فاقصد لفن واحد من العلم ، واذا اردت أن تكون أديبا فخذ من كل شيء أحسنه»[٨٧]. وواضح أن المقصود بالعالم هنا هو المؤلف في الأدب أو غيره ، لا الأديب المنشيء ، ولهذا نراهم يجعلون ميدان هذا العلم بالأدب ذا مجال خاص به وينتقدون من يؤلف فيه من العلماء الآخرين ، وتتضح مثل هذه النظرة في قول ابن سنان الخفاجي ناقدا كتاب المسائل البغداديات لأبي هاشم عبدالسلام بن محمد : «وأبو هاشم وان كان العالم المتقدم في صناعة الكلام ، فليس معرفته بالجواهر والاعراض وكلامه في العدل والألطاف مما يفيده العلم بصناعة نقد الكلام المؤلف وفهم النظم والنثر ..»[٨٨]. ويتصل بهذه النظرة ما قالوه في نقد المؤلفين الذين يؤلفون في الموضوعات المختلفة ، من مثل قول أبي الطيب اللغوى في ابن قتيبة : «وكان يتسرع في أشياء لا يقوم بها نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو وكتابه في تعبير الرؤيا وكتابه في معجزات النبي ﷺ ، وعيون الأخبار والمعارف والشعراء ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء وان كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له ...»[٨٩]. وقول أبي الطيب هذا في ابن قتيبة دليل واضح على أنهم نظروا الى صفة التخصص نظرة علمية تتمثل في وجوب انصراف العالم الى نوع واحد من انواع العلوم .

هذه هي صفات الباحث التي يمكن أن نستنبطها مما ورد في كتُبهم من نصوص واشارات ، وهي في مجموعها لاتكاد تختلف عما ذكره الدارسون المحدثون لمنهج البحث من صفات رأوا وجوب اتصاف الباحث بها[٩٠]. فصفة

---

(٨٧) عيون الاخبار ٢ ١٢٩

(٨٨) سر الفصاحة ١٧٢

(٨٩) مراتب النحويين ٨٥ .

(٩٠) للتفصيل في ذكر صفات الباحث عند المحدثين ، ينظر : منهج البحث الادبي ٣٨ - ٤٧ . منهج البحث التاريخي ١٨ - ٢٠ . طرق البحث ١٢٩ - ١٣١ .

التحصيل عند القدامى بما اشتملت عليه من مفاهيم يمكن أن تقابل عند المحدثين ما نصوا عليه من وجوب اتصاف الباحث بالتتبع الكثير وبذل الجهود في سبيل اعداد البحث ، وصفتا التحقيق والتمييز يمكن أن تقابلا عند المحدثين ما أشاروا اليه من وجوب اتصاف الباحث بالدقة والذكاء والموهبة ، والتثبت صفة أكد الدارسون المحدثون على وجوب توافرها في الباحث وقد رأينا أن القدامى نصوا على وجوب اتصاف العلماء بها ، كما أن صفة الاجتهاد والبعد عن التقليد يمكن أن تقابل عند المحدثين ما ذكروه من وجوب توفر ملكة النقد عند الباحث وعدم قبوله لكل رأي دون دراسته وفحصه ونقده ، أما صفة البعد عن الهوى والعصبية فمن الواضح أنها تقابل صفة الانصاف والموضوعية التي نص الدارسون المحدثون على وجوب اتصاف الباحث بها ، وكذلك الحال بالنسبة الى صفة العلم بالشعر والتخصص فهي صفة أكد الدارسون المحدثون على ضرورة توافرها في الباحث فيما ذكره من وجوب تخصص الباحث بموضوع معين .

ونحسب أن هذه الصفات كافة يمكن أن تكون دليلا آخر يدعم الأدلة التي قدمناها في القسم الأول من هذا الفصل والتي تثبت كلها وجود منهج للبحث متعارف عليه عند المؤلفين القدامى في الأدب ، ذلك أن اشتراطهم وجوب توافر صفات علمية في المؤلف دليل على أن التأليف عندهم كان عملا علميا يسير وفق منهج معين ، ولو لم يكن كذلك لما اشترطوا وجود مثل هذه الصفات فيمن يروم التأليف .

الفصل الثاني

دواعي التأليف
(اختيار الموضوع وتحديده)

(١)
اختيار الموضوع

يقول الجاحظ : «ان لكل شيء من العلم ونوع من الحكمة وصنف من الأدب سبباً يدعو الى تأليف ما كان فيه مشتتا ومعنى يحدو على جمع ما كان منه متفرقا ومتى أغفل حملة الأدب وأهل المعرفة تمييز الأخبار واستنباط الآثار وضم كل جوهر نفيس الى شكله ... بطلت الحكمة وضاع العلم وأميت الأدب»[1].

وهو في قوله هذا ينص صراحة على أن لكل مؤلف سببا يدعوه الى التأليف ، وطبيعي ألا يكون هذا السبب الداعي الى التأليف واحدا لدى المؤلفين جميعا فلكل منهم ميوله العلمية ودراساته الخاصة التي تفرض عليه التفكير بشكل قد يخالف فيه المؤلف الآخر ويصدر عن سبب لا يشبه السبب الذي دعا غيره من المؤلفين الى الكتابة والتأليف ، ومن ثم تكون دواعي التأليف عديدة متنوعة مستمرة ما دامت الحياة الفكرية مستمرة غير متوقفة ،

---

(١) رسائل الجاحظ ٣٨٣/٢ .

وفي هذا يقول مجد الدين بن الاثير : «أما بعد ، فان العلماء في سالف الدهر وآنفه ما زالوا مختلفي الأغراض فيما ألفوه ، متبايني المقاصد فيما صنفوه من أنواع العلوم على كثرتها وفنون المعارف على سعتها ، لايكاد يحوى أغراضهم حد ولا يجمع أفرادها عد لكثرة المطالب الباعثة عليها وسعة المباغي الداعية اليها ، وما من أحد حاول تصنيف كتاب الا وقد خصه بوصف يغلب على ظنه أنه لم يسبق اليه ... ومع هذا فان دواعي التأليف لا تنقطع والهمم فيه دائما لا تمتنع»[٢].

ونستطيع القول من خلال استقراء النصوص العديدة التي وردت عن القدامى في هذا الموضوع بأن اختيار المؤلفين القدامى لموضوعاتهم سار في أربعة اتجاهات يمكن تحديدها بما يلي :

دراسة موضوع لم يدرس :

لما كان التأليف خدمة ثقافية وعلمية ، كان من أهم البواعث التي تدعو المؤلف اليه كون الموضوع الذي يفكر في دراسته جديدا لم يسبقه أحد من المؤلفين الى دراسته ،وهو في تقديمه هذا الجديد انما يقدم اضافة علمية لطلاب الثقافة والمعرفة لم تتهيأ لهم معرفتها فيما وضع من مؤلفات سابقة . وللقدامى نصوص كثيرة تدل على تفهم هذه الفكرة وقصدهم لها في اختيارهم للموضوعات التي يؤلفون فيها ، فقد هاجموا المؤلفين المؤمنين بالفكرة القائلة «ما ترك الأول للآخر شيئاً» لأنها تقف حائلا دون بذل الجهود العلمية باستمرار ، وتميت النشاط الثقافي والعلمي . يقول أبو عبد الله النمري : «ويقال ان قول علي بن أبي طالب (قيمة كل امرىء ما يحسن) لم يسبقه اليه احد وقالوا : ليس كلمة أحض على طلب العلم منها ، قالوا : ولا كلمة أضر بالعلم والعلماء والمتعلمين من قول القائل : ما ترك الأول للآخر شيئا»[٣]، وشبيه بهذا النص

---

(٢) المرصع ٣٢ - ٣٣ .

(٣) جامع بيان العلم ١١٩/١ .

رسالة كتبها ابن فارس اللغوي ردا على أحد معاصريه لانكاره تأليف أحد الأدباء المعاصرين كتاباً في الحماسة[4] ، وما ورد في بعض الكتب من أقوال تنص على ضرورة استمرار التأليف في كل عصر[5] .

ومعروف أن توصّل المؤلف الى اختيار موضوع جديد لم يدرس من قبل يكون نتيجة لمطالعاته الكثيرة في ميدان اختصاصه مما يهيىء له معرفة ما درس من موضوعات وما لم يدرس ، وهذا ما فعله المؤلفون القدامى ، اذ أنهم في حديثهم عن موضوعاتهم التي يرونها جديدة تكثر اشاراتهم الى علاقتهم المستمرة بدراسة الأدب ونقده ، مما هيأ لهم العثور بهذه الموضوعات التي يكتبون فيها . يقول قدامة بن جعفر : «العلم بالشعر ينقسم أقساما ، فقسم ينسب الى علم عروضه ووزنه ، وقسم ينسب الى علم قوافيه ومقاطعه ، وقسم ينسب الى علم غريبه ولغته ، وقسم ينسب الى علم معانيه والمقصد به ، وقسم ينسب الى علم جيده ورديئه ، وقد عني الناس بوضع الكتب في القسم الأول وما يليه الى الرابع عناية تامة ... ولم أجد أحدا وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا ، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المعدودة ... ولما وجدت الأمر على ذلك وتبينت أن هذا الأمر أخص بالشعر ... رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع ..»[6] ، والذي يلاحظ في قوله هذا أنه يشير الى أنه لم يعثر بدراسة متعلقة بهذا الموضوع الذي يدرسه على الرغم من أهميته ، ولهذا عمد الى وضع كتاب في هذا الموضوع بعد أن لاحظ ندرة وضع الكتب فيه . وشبيه به قول ابن الأثير متحدثاً عن سبب تأليف كتابه الجامع الكبير : « .. فلما كان تأليف الكلام مما لا يوقف على غوره ، ولا يعرف كنه أمره الا بالاطلاع على علم البيان ... احتجت حين شدنت نبذة يسيرة من الكلام المنثور الى معرفة هذا المذكور فشرعت عند ذلك في تطلبه والبحث عن تصانيفه وكتبه ، فلم أترك في تحصيله سبيلاً الا نهجته ولا غادرت في ادراكه باباً الا ولجته حتى اتضح عندي باديه وخافيه .... ثم لما مضى على ذلك ملاوة

من الدهر ... لمحت في اثناء القرآن الكريم من هذا النحو أشياء طريفة ... فعرضتها عند ذلك على الأقسام التي ذكرها هؤلاء العلماء وشرحوها ... فالفيتهم قد غفلوا عنها ... وكان ذلك باعثا لي على تصفح آيات القرآن العزيز والكشف عن سره المكنون ... فحيث أحرزت هذه الفضيلة ... أحببت أن أفرد لها كتابا ..»[٧].

ولم تكن الكتابة في موضوع جديد لتقتصر عند القدامى على هذا الجانب ، بل اتجه كثير منهم الى دراسة أدب معاصريهم أو أدب المحدثين كما سموه ، وكان اتجاههم هذا منطلقا من نظرة خاصة ترمي الى تقديم الجديد الى القارىء بعد أن مل أخبار القدامى وحكاياتهم ، ونرى هذا الاتجاه واضحا عند المؤلفين القدامى منذ القرن الثالث ، اذ صنف أبو عبد الله هارون بن علي المعروف بابن المنجم كتابه «البارع» خاصا باشعار المحدثين[٨]، واعقبه ابن المعتز فألف كتابه طبقات الشعراء ، وكان كثيراً ما يثيره الى هذه الفكرة في ثنايا تراجم كتابه ، فينص على انه في ترجمته لهؤلاء الشعراء المحدثين يتوخى تقديم الجديد الى القارىء بعد أن مل الناس أخبار القدامى وأشعارهم لكثرة رواياتهم لها [٩].

ويشبهه في هذا الثعالبي اذ يقول في سبب تأليف كتابه اليتيمة : «وقد سبق مؤلفو الكتب الى ترتيب المتقدمين من الشعراء وذكر طبقاتهم ودرجاتهم وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه الآن الا نبو العين من اخلاق جدته وبلى بردته ، ومج السمع لمرداته وملالة القلب من مكرراته ، وبقيت محاسن اهل العصر التي معها رواء الحداثة ولذة الجدة ، ... غير محصورة بكتاب يضم نشرها وينظم شذرها ... ولا مجموعة في مصنف يقيد شواردها ويخلد

---

(٧) الجامع الكبير ١ - ٣ . وشبيه به ما ذكره النويري في سبب تأليف كتابه نهاية الأرب اذ يذكر أن كتابه هذا كان نتيجة مطالعاته الكثيرة في علم الادب ، تلك المطالعات التي بينت له موضوعات الادب وخفاياه . ومن ثم عمد الى وضع كتاب فيه (ينظر : نهاية الأرب ٢/١ - ٣) .

(٨) ينظر : الفهرست ١٦١ .

(٩) ينظر : طبقات الشعراء ٨٧ .

فوائدها ..»[10]. ويشبهه في هذا ابن بسام الشنتريني اذ يذكر أنه أورد في كتابه الذخيرة ما كان خاصا بأهل عصره لأن «كل مردد ثقيل وكل متكرر مملول»[11]. ويمكننا أن نعد في هذا المجال الكتب التي خصصت لتراجم المحدثين فقط والتي وضعت تكملة وتذييلا لليتيمة ، اذ انها جميعا لاتخرج عن هذه الفكرة في سبب تأليفها .

ويمكننا القول بأن دراسة الموضوع الجديد كانت من البواعث المهمة لاختيار الموضوع عند القدامى ، ولهذا نرى كثيرا منهم يفتخرون بموضوعاتهم وينوهون بها لكونها جديدة مبتكرة لم يسبقهم أحد الى دراستها ، من مثل قول ابي العباس الجرجاني في كتابه المنتخب من كنايات الأدباء : «ومما يبعث على الشغف به أنه من التصانيف مبتكر ومخترع وطريقة لم اسبق اليها ولم أزاحم من قبلي عليها ..»[12]. ومثل هذا الافتخار والاعتزاز بالموضوع الجديد المبتكر يدل دلالة قاطعة على ان الكتابة في هذا النوع من الموضوعات كانت من الدواعي المهمة للتأليف عندهم ، والا لما افتخر المؤلفون بها مثل هذا الافتخار ونوهوا بموضوعاتهم الجديدة مثل هذا التنويه . ومما يؤيد هذا ايضا أننا نرى هذه الفكرة تسبح قاعدة مسلما بها عند المؤلفين حينما يتحدثون عن أصول التأليف ، فأبو الوليد الحميري يقول في كتابه البديع في وصف الربيع : «فان احق الاشياء بالتأليف وأولاها بالتصنيف ما غفل عنه المؤلفون ولم يعن به المصنفون مما تأنس النفوس اليه وتلقاه بالحرص عليه»[13]، وشبيه به ما يقوله ابن جماعة فيما يذكره من وصايا للعلماء : «والأولى أن يعتني بما يعم نفعه وتكثر الحاجة اليه وليكن اعتناؤه بما لم يسبق الى تصنيفه»[14].

---

(١٠) يتيمة الدهر ١٧:١ . وشبيه بهذا ما ذكره في كتابه سحر البلاغة من أنه اقتصر فيه على الاستشهاد بأدب المحدثين من أهل العصر(سحر البلاغة ٥) . وما ذكره الحميري في كتابه البديع في وصف الربيع ٢ . وابن حزم الظاهري في : طوق الحمامة ٣ .

(١١) الذخيرة ٢:١:١ .

(١٢) المنتخب من كنايات الأدباء ٣ .

(١٣) البديع في وصف الربيع ١

(١٤) تذكرة السامع والمتكلم ٣٠ . وواضح أن القدامى في اعتمادهم هذا الدافع لاختيار الموضوع يسبقون

←

دراسة موضوع مدروس من قبل :

اتجه كثير من المؤلفين القدامى الى دراسة موضوعات سبق لغيرهم من المتقدمين دراستها ، واتجاههم هذا يستند الى أسس ومبادىء تتصل بنظرتهم العلمية الى التأليف وضرورته وما يقدمه من خدمة علمية وثقافية . فقد رأوا أن المؤلف المتأخر يكون أحسن من المؤلف المتقدم بحكم كثرة التجارب وتراكمها في مجال التأليف ، ومن النصوص الدالة على هذه الفكرة قول ابن عبد ربه : «وبعد ، فان اهل كل طبقة وجهاذبة كل أمة قد تكلموا في الأدب وتفلسفوا في العلوم على كل لسان ومع كل زمان وان كل متكلم منهم قد استفرغ غايته وبذل مجهوده ... ثم اني رأيت آخر كل طبقة وواضعي كل حكمة ومؤلفي كل أدب أعذب ألفاظا وأسهل بنية وأحكم مذهبا وأوضح طريقة من الأول ، لأنه ناكص متعقب والأول بادىء متقدم»[١٥]، وقول المسعودي : «ونحن وان كان عصرنا متأخرا عن عصر من كان قبلنا من المؤلفين ... فنرجو ألا نقصر عنهم في تصنيف نقصده وغرض نؤمه ... وقد تشترك الخواطر وتتفق الضمائر ، وربما كان الآخر أحسن تأليفا وأتقن تصنيفا لحنكة التجارب وخشية التتبع والاحتراس من مواقع الخطأ ، ومن هنا صارت العلوم نامية غير متناهية لوجود الآخر ما لا يجده الأول ، وذلك الى غير غاية محصورة ولا نهاية محدودة ...»[١٦].

ولما كان المؤلف المتأخر متعقبا دائما ، كما يقول ابن عبد ربه ، ومستفيدا من خبرات التأليف وتجاربه المستمرة كما يقول المسعودي ، كان بالضرورة أقل خطأ من المؤلف المتقدم وأوسع نظرة منه مما يهيىء له اكتشاف النواقص في المؤلفات السابقة ، ومن ثم دراسة الموضوعات السابقة دراسة جديدة تأتي إلى تلك النواقص فتكملها ، وتنتبه الى الأخطاء السابقة فتصححها ولهذا كثرت

الدارسين المحدثين . اذ يشترط كثير من الاساتذة على طلبتهم في الدراسات العليا وجوب كون الموضوع الذي يفكرون في دراسته جديداً لم يسبق لغيرهم دراسته .

(١٥) العقد الفريد ١/١ ـ ٢ .

(١٦) التنبيه والاشراف ٧٦ .

الاشارات والنصوص التي تشير الى الأسباب التي حملت المؤلفين القدامى على التأليف في موضوع سبقت دراسته ، ونستطيع القول من خلال استقراء هذه النصوص والاشارات ان دراسة الموضوع الذي سبقت دراسته يمكن أن ترد الى أربعة أسباب :

الأول منها كون الدراسات السابقة غير مستوفية لجوانب الموضوع وتفصيلاته كافة ، ومن النصوص التي تشير الى هذا قول ابن قتيبة في كتابة الميسر والقداح :«أما بعد ، فانك كتبت تعلمني تعلق قلبك بالميسر وكيفيته والقداح وحظوظها والياسرين واحوالهم ، ومعرفة ما في الميسر من النفع الذي ذكره الله في القرآن وانك لم تجد فيه لاحد من علماء اللغة مقالا كافيا . ولا قرأت فيه لمتقدم من السلف خبرا شافيا ، وتسأل ان اكتب اليك بذلك كتاباً يوضحه لك ويسهله عليك ...»[١٧]. وواضح ان صديقا للمؤلف يطلب منه تأليف كتاب في موضوع معين بعد ان رأى ان ما قيل في هذا الموضوع غير كاف .

غير مستوف له من جوانبه كافة مما يدل على ان فكرة اعادة الكتابة في الموضوع المدروس سابقاً كانت معروفة شائعة بين المؤلفين والعلماء في حالة عدم استيفاء الدراسات السابقة للموضوع . وشبيه بهذا ما نراه في قول ابن عبد ربه مبينا سبب تأليفه كتاب العقد الفريد : «وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متصرفة في فنون الاخبار ولا جامعة لجمل الآثار فجعلت هذا الكتاب كافيا شافيا جامعا لأكثر المعاني التي تجري على افواه العامة والخاصة وتدور على السنة الملوك والسوقة ..»[١٨]. وهو في قوله هذا يشير صراحة الى ان الدافع الرئيس لاختياره الكتابة في هذا الموضوع الذي سبق لغيره دراسته هو كون المؤلفات السابقة غير شاملة ومستوفية للموضوع نفسه . وهناك كثير من النصوص التي تدور حول هذه الفكرة نفسها والتي يؤكد فيها اصحابها ان اتجاههم الى التأليف في موضوعاتهم هذه كان بسبب عدم استيفاء

---

(١٧) الميسر والقداح ٢٦ .

(١٨) العقد الفريد ١ : ٤ .

المؤلفات السابقة لموضوعها[١٩].

وسبب ثان دفع بالمؤلفين القدامى الى الكتابة في موضوع سبقت دراسته يتمثل في كون الدراسات السابقة غير مبوبة وغير منسقة مما يجعل المواد الاساسية للموضوع مختلطة بغيرها من المواد الأخرى التي لا علاقة لها بموضوع الكتاب بشكل يضيع على القارىء سبيل الافادة منها ، ومن ثم يكون لبعض المؤلفين العذر في تأليف كتاب جديد في الموضوع نفسه ، يجمع فيه ما فرق المؤلف السابق وينسق ما بعثره ويعرضه بنظام جديد ، وهذا العمل من المؤلف اللاحق يعد مسوغا كافيا للكتابة في موضوع مطروق قبله .

يقول ابو هلال العسكري مبينا سبب تأليف كتابه (الصناعتين) : « ... فلما رأيت تخليط هؤلاء الاعلام فيما راموه من اختيار الكلام ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل ومكانه من الشرف والنبل ووجدت الحاجة اليه ماسة والكتب المصنفة فيه قليلة ، وكان اكبرها واشهرها كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وهو لعمرى كثير الفوائد جم المنافع لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة والفقر اللطيفة والخطب الرائعة ... الا أن الابانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ومنتشرة في أثنائه ، فهي ضالة بين الأمثلة لا توجد الا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير ، فرأيت أن اعمل كتابي هذا مشتملا على ما يحتاج اليه في صنعة الكلام»[٢٠].وهو في قوله هذا ينص على ان سبب تأليفه في هذا الموضوع هو كون اهم الكتب التي درست الموضوع نفسه غير مبوبة ولا منسقة بشكل تضيع فيه معالم الموضوع وملامحه الاساسية .

واستنادا الى هذا السبب وُجِدتْ كثير من الكتب التي كان جل اهتمام مؤلفيها منصبا على عرض المادة المدروسة سابقا بشكل جديد يعتمد على التبويب والتنسيق للمواد السابقة . ومن امثلة هذا ما نراه في قول ابن أبي عون : «سألتني اعزك الله أن اثبت لك أبياتا من تشبيهات الشعراء الواقعة

---

(١٩) ينظر على سبيل المثال : أدب الكتاب ٢٠ - ٢١ . البرهان في وجوه البيان ٥١ - ٥٢ . معجم الادباء ٣/١ - ٤ . صبح الاعشى ٧/١ -٨ .

٢٠ الصناعتين ٤ - ٥ .

وبداتعهم فيها الظريفة ، وقد تقدم الناس - أعزك الله - في اختيار الشعر وتمييزه غير أنهم لم يصنفوه أبوابا ...»[٢١] وهو في كلامه هذا الذي يوجهه الى من ألف له الكتاب يشير الى ان ما سبقه من اختيارات في هذا الموضوع لم يكن مبوبا ، مما يشعر بأن السبب الذي شجعه على القيام بتأليف هذا الكتاب هو محاولة تبويب الاختيارات الواردة في هذا الموضوع ، وإذن فلا ضير عليه في أن يؤلف في موضوع مطروق قبله ما دام سيعمد الى تبويب مادته تبويبا جديدا[٢٢].

وثالث الأسباب التي حملت المؤلفين القدامى على التأليف في موضوعات سبقت دراستها ، هو أن الموضوعات السابقة - على كثرتها - لم تتوصل الى البت في مسألة مهمة ألفت من أجلها ولم تستطع ايضاحها واصدار حكم نهائي فيها .

يقول الباقلاني في سبب تأليفه كتابه «اعجاز القرآن» : «وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتابا لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى ، وسألنا سائل أن نذكر جملة من القول جامعة تسقط الشبهات وتزيل الشكوك ... فأجبناه الى ذلك متقربين الى الله عز وجل»[٢٣]. وبالسبب نفسه يواجهنا ابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة اذ يذكر أن ما الف قبله لم يفصل القول في مسألة الفصاحة ولم يبين اقسامها بوضوح[٢٤].

والسبب الرابع الذي استند اليه المؤلفون القدامى في الكتابة في موضوعات سبقت دراستها هو كون الدراسات السابقة حاملة كثيرا من الأخطاء مما يدفع ببعض المؤلفين الى اعادة التأليف في موضوعها نفسه لكشف أخطاء هذه الدراسات والتنبيه عليها ، ومن أمثلة هذا ما يذكره أبو القاسم الأصفهاني في سبب تأليف كتابه «الواضح في مشكلات شعر المتنبي» اذ يقول انه وقف على

---

(٢١) التنبيهات ١ - ٢ .

(٢٢) وشبيه به ما قاله صاحب الحماسة البصرية في سبب تأليفه كتابه ، تنظر : الحماسة البصرية ١/١ - ٢ .

(٢٣) اعجاز القرآن ٧ .

(٢٤) ينظر : سر الفصاحة ٣ - ٥ .

كتاب لابن جني في هذا الموضوع فوجد فيه صوابا وخطأ مما حمله على التأليف في الموضوع نفسه[٢٥]، ومن ذلك ما يذكره ابو هلال العسكري في كتابه جمهرة الأمثال اذ يقول انه ألف كتابه هذا وميز فيه الأمثال العربية الفصيحة من الأمثال المولدة ليسلم كتابه من الخطأ الذي وقع فيه حمزة الاصفهاني اذ جمع بين هذه الأمثال دون تمييز [٢٦]، وكذلك الحال بالنسبة الى ابن الابير وكتابه الاستدراك اذ انه ألف هذا الكتاب منبها فيه على الأخطاء التي وقع فيها ابن الدهان في كتابه الموسوم بالمآخذ الكندية ومستدركا عليه ما فاته من نماذج السرقات .

التذييل والتكملة :

توضع بعض الكتب في حقبة زمنية متقدمة في موضوع معين ، ولأهمية موضوعها أو ضرورته توضع فيه كتب أخرى في حقب تالية ، تبدأ من حيث انتهت الكتب السابقة عارضة لموضوعات مشابهة لما سبقها ، ويتوالى وضع الكتب على هذا المنوال حتى تكون هنالك سلسلة متصلة من الكتب التي تتناول موضوعا واحدا خلال حقبة طويلة من الزمن ، ويعد كل منها تكملة للكتاب الآخر ، والكتب الموضوعة بهذا الشكل عند القدامى كثيرة متنوعة ، ومنها كتاب الفرج بعد الشدة للمحسن التنوخي الذي يتحدث لنا في مقدمته عن سبب تأليفه فيقول : «وكنت قد وقفت في بعض محني على خمس أو ست أوراق جمعها أبو الحسن علي بن محمد المدائني وسماها كتاب الفرج بعد الشدة والضيق ، وذكر فيها اخبارا تدخل جميعها في هذا المعنى ، فوجدتها حسنة ، ولكنها لقلتها نموذج صغير ... ووقع الي كتاب لأبي عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قد سماه كتاب الفرج بعد الشدة في نحو عشرين ورقة ... وقرأت أيضا كتابا للقاضي أبي الحسين عمر بن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف القاضي رحمهم الله في مقدار خمسين ورقة سماه (كتاب الفرج بعد الشدة) ، أودعه أكثر مما رواه المدائني وأضاف اليه أخبارا أُخَر أكثرها حسنة ... فكان هذا من

(٢٥) ينظر : الواضح في مشكلات شعر المتنبي ٥ .

(٢٦) تنظر : جمهرة الامثال ٦/١ .

أسباب نشاطي لتأليف كتاب يحتوي من هذا الفن على اكثر ما جمعه القوم وأبين للمعنى وأكشف وأوضح وان خالف مذهبهم في التصنيف وعدل عن طريقهم في الجمع والتأليف ...»[٢٧].

ويلاحظ واضحا في هذا النص أن هناك عديداً من الكتب وضعت في موضوع واحد ، وكان كل واحد منها يضيف على ما تقدمه أخبارا ونصوصا ، حتى كان كتاب القاضي التنوخي هذا آخر حلقة في هذه السلسلة ومكملا لتلك الكتب في الموضوع نفسه ، مما يدل على أن مؤلفي هذه الكتب شعروا بأهمية استقصاء الموضوع الواحد واضافة كل ما يجد فيه عبر الزمن ليتكون من مجموع هذه الكتب الموضوعة فيه ما يكون نظرة متكاملة شاملة للموضوع الواحد . وشبيه بهذا ما يقوله النيسابوري في كتابه عقلاء المجانين : «وكنت في حداثة سني سمعت كتبا في هذا الباب مثل كتاب الحافظ وكتاب ابن ابي الدنيا وأحمد بن لقمان وأبي علي سهل بن علي البغدادي رحمهم الله فوقع كل كتاب منها في جزء أو ما يقارب جزءا تتبعتها وتيقنتها وضممت اليها قرائنها وعزوتها الى أصحابها وألفت هذا الكتاب على غير سمت تلك الكتب»[٢٨].

ولم يكن هذا الاتجاه في التأليف ليقتصر على مثل هذه الموضوعات المحددة بل امتد الى الموضوعات الأدبية كافة فشمل كتب التراجم الأدبية ، حتى وجد في هذا المجال كتب عديدة في تراجم الأدباء يبدأ كل منها من حيث انتهى المؤلف السابق له ، ويكاد هذا الأمر يقتصر على الكتب التي أُلِّفَتْ في تراجم الأدباء المعاصرين أو قريبي العصر بالمؤلف ، وقد كان كتاب البارع لابن المنجم من اوائل هذه الكتب[٢٩]. ثم وضعت سلسلة من التكملات له ، كان أولها كتاب يتيمة الدهر للثعالبي ، الذي اعقبه المؤلف نفسه بوضع تكملة له سماها تتمة اليتيمة ، ثم وضعت لليتيمة تكملات وذيول عديدة ، أعقبت بوضع تكملات

---

(٢٧) الفرج بعد الشدة ٦/١ -٧ .

(٢٨) عقلاء المجانين ١٢ .

(٢٩) ذكر هذا ابن خلكان ، وعدد الكتب التي وضعت تذييلاً لهذا الكتاب ، ينظر : وفيات الأعيان ١٤٩/٥ - ١٥٠ .

لها في الحقب المتتالية ، حتى تكونت مجموعة من كتب تراجم المعاصرين يختص كل منها بالعصر الذي وجد فيه مؤلفه ، ومن هذه الكتب ، كتاب دمية القصر للباخرزي ، وكتاب ذيل يتيمة الدهر لأسامة بن منقذ[٣٠]، وكتاب زينة الدهر لأبي المعالي الحظيري ، وكتاب خريدة القصر للعماد الأصفهاني ، وكتاب المغرب في حلى المغرب الذي أتمه وأخرجه ابن سعيد المغربي .

ومن المعروف أن هذه الكتب جميعاً قدمت لنا مادة قيّمة من الأخبار والنصوص الأدبية عن الأدباء القدامى في حقبة طويلة من الزمن ، ولولا تفكير مؤلفيها بالتكملة لما سبقهم من مؤلفات في هذا المجال لأصبحت بعض حقب الحياة الأدبية مجهولة غير معروفة . ويبدو أن مؤلفي هذه الكتب أنفسهم كانوا ينطلقون من هذه الفكرة ، فما كان تأليفهم لهذه التكملات والذيول الا حرصاً منهم على تقديم صورة متكاملة للتأريخ الأدبي في تلك العصور ، ونستطيع أن نتبين هذا في قول العماد الاصفهاني : «وكنت قد طالعت كتابي يتيمة الدهر ودمية القصر للثعالبي والباخرزي في محاسن أهل عصريهما الشعراء ، وقد بلغا الجهد في اظهار اجتهاد البلغاء ، وما وجدت بعد ذلك من عني بذلك كعنايتهما ولا من حدث نفسه أنه يبلغ الى غايتهما ، فصنفت هذا الكتاب وألفته ورقمت هذا الوشي وفوفته وسميته خريدة القصر وجريدة العصر ...»[٣١].

واتجاه المؤلفين القدامى هذا كان له مظهر آخر يتمثل في قيام المؤلف نفسه بتكملة كتب سبق له تأليفها ، فالقالي بعد أن يتم كتابه الأمالي يضع ذيلاً عليه ، والمرزباني يضع كتباً عديدة في الشعراء ثم يضع كتابه الموشح لتبيان ما عابه العلماء على الشعراء ويقول في هذا : « .. وغير ذلك من سائر ما عيب

---

(٣٠) ذكره ياقوت في معجم الأدباء ١٨١/٢ - ١٨٢ .

(٣١) خريدة القصر (عراق) ٥/١ -٦ . وفي مجال التاريخ وجد مثل هذا النمط من التأليف . فتاريخ بغداد وضعت عليه كثير من الذيول والتكملات . وتاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي وضعت عليه كثير من التكملات ايضاً . منها كتاب الصلة لابن بشكوال الذي ينص في مقدمته على أنه ألفه تكملة لتاريخ ابن الفرضي (ينظر : الصلة ٧/١) . وكتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار الذي يذكر أنه ألفه تكملة للكتاب السابق (ينظر : التكملة الصلة ٣/١) .

على الشعراء قديمهم ومحدثهم في أشعارهم خاصة ، سوى عيوبهم في أنفسهم وأجسامهم وأخلاقهم وطبائعهم وأنسابهم وديانتهم وغير هذه الخصال من معايبهم فانا قد استقصيناه في كتابنا الذي لقبناه بالمفيد وغيره من كتبنا التي جمعناها في أخبار الشعراء وشرحنا فيها أحوالهم ، وسوى سرقات معاني الشعر فانها أحد عيوبه ... فانا قد أتينا بكثير من ذلك في كتاب الشعر ..»[٣٢]، وواضح أن المؤلف وضع كتبا عديدة في الشعراء تناول في كل واحد منها ناحية معينة ثم كان كتابه الموشح هذا آخر هذه الكتب ومكملا لكتبه الأخرى في الحديث عن الشعراء . ويذكر ابن ابي الاصبع المصري أن كتابه بديع القرآن هو تتمة لكتاب له آخر سماه بيان البرهان[٣٣]، مما يشير الى انه ألّف هذا الكتاب متناولاً فيه مسائل فاته ذكرها في كتابه السابق مما يتعلق بالقرآن واعجازه . وكل هذا وما سبقه يدل بوضوح على أن اتجاه القدامى الى وضع الكتب تكملة لكتب أخرى سابقة كان بدافع حرصهم على استكمال موضوعات معينة واشباعها بحثاً ، وهم بهذا يقدمون الينا فهماً علميا قيماً لضرورة التأليف ودواعيه .

الخدمة التعليمية :

وضع القدامى كثيراً من الكتب باتجاهات مختلفة تلتقي كلها في هدف واحد هو تقديم الثقافة العامة لطوائف الأدباء والمثقفين عموما . فهناك عديد من الكتب التي جمعت طائفة كبيرة من المعلومات في موضوعات مختلفة لتقدم بهذا ما يحتاج اليه الأدباء والكتاب بصورة خاصة من معلومات متنوعة . وهناك أيضا كتب عديدة عنيت بتبيان صور الأخطاء التي يمكن أن تحدث عند التأليف ونقل المعلومات عن المصادر ، هادفة من هذا الى ابعاد المؤلفين عما قد يقعون فيه من أخطاء أثناء التأليف ، والى جانب هذا وجدت كتب عديدة كان الغرض منها تسهيل الدراسة وتيسيرها على الطلاب والراغبين في المعرفة بوجه عام ، وأكثر ما يتمثل هذا النوع من الكتب في الشروح والمختصرات التي تتناول الكتب المشهورة في مجالات التعليم والدرس .

---

(٣٢) الموشح ١ .

(٣٣) بديع القرآن ٣ .

ومن الواضح أن هذه الكتب جميعاً لم توضع لتقديم موضوع جديد او اثارة موضوعات غفل عنها الدارسون السابقون او تكملة لبحوث سابقة كما هو الحال في الكتب التي ألفت بدوافع سبقت الاشارة اليها . فكل ما تقدمه من معلومات وما تثيره من موضوعات كان معروفاً متداولاً ، الا انه متفرق في كثير من الكتب ، وفضل المؤلف في هذا المجال هو جمع هذه المعلومات واجمالها وتيسير سبل الافادة منها .

ومن مظاهر هذا النوع من الكتب ما وضعه بعض المؤلفين لخدمة طائفة الكتاب التي كانت بحكم وظيفتها تحتاج الى مجموعة كبيرة من المعلومات في موضوعات متنوعة ، وأشهر المؤلفين الذين اتجهوا هذا الاتجاه ابن قتيبة الدينوري اذ ينص في مقدمة كتابه عيون الأخبار على أنه ألفه لهذا الغرض فيقول : «واني كنت تكلفت لمغفل التأدب من الكتاب كتاباً في المعرفة وفي تقويم اللسان واليد حين تبينت شمول النقص ودروس العلم وشغل السلطان عن اقامة سوق الأدب حتى عفا ودرس ، بلغت به فيه همة النفس وثلج الفؤاد ... ولما تقلدت له القيام ببعض آلته دعتني الهمة الى كفايته ... فأكملت له ما ابتدأت وشيدت ما أسست ... وهذه عيون الأخبار نظمتها لمغفل التأدب تبصرة ولأهل العلم تذكرة ...»[٣٤].

وعنيت مؤلفات أخرى بجمع ما يحتاجه الأدباء في مكاتباتهم ومجالسهم من نماذج أدبية ، وأكثر ما يظهر هذا في الكتب المؤلفة في الامثال ككتاب جمهرة الأمثال للعسكري الذي يقول في مقدمته شارحاً السبب في تأليفه : «ثم اني ما رأيت حاجة الشريف الى شيء من أدب اللسان ، بعد سلامته من اللحن ، كحاجته الى الشاهد والمثل والشذرة والكلمة السائرة ، فان ذلك يزيد في المنطق تفخيماً ويكسبه قبولاً ويجعل له قدرا في النفوس ... ويأخذها باستعداده لأوقات

---

(٣٤) وشبيه بهذا ما يقوله في مقدمة كتابه أدب كتابه الكاتب ص٩ . وما يقوله الصولي في كتابه أدب الكتاب ص٢٠ . وابن درستويه في كتاب الكتاب ص٦ . وكل هذه الكتب كما هو واضح من موضوعاتها وضعت لخدمة الكتاب على مر العصور حتى كان كتاب صبح الأعشى للقلقشندي آخر هذه الكتب وأوسعها . وقد صرح بالسبب الذي دعاه الى تأليفه في مقدمته . ينظر : صبح الأعشى ١/٨ - ١٠ .

المذاكرة والاستظهار ... ولما رأيت الحاجة اليها هذه الحاجة عزمت على تقريب سبلها وتلخيص مشكلها وذكر اصولها وأخبارها ... فعملت كتابي هذا مشتملا على ما لم يشتمل عليه كتاب اعرفه ..»[٣٥]. وشبيه به ما يقوله الثعالبي في كتابه سحر البلاغة : « .. فمن مرافق هذا الكتاب قرب متناوله على بلغاء العصر اذا طرزوا ديباجة كلامهم بما يقتبسونه من نوره ...»[٣٦].

ونستطيع أن نعد في هذا الاتجاه التعليمي من التأليف ما ألف من كتب في التصحيف والتحريف ، والمؤتلف والمختلف من الأسماء والألقاب ، زيادة على ما وضع من كتب لتبيان أخطاء العلماء والمؤلفين السابقين ، وقد صرح مؤلفو هذه الكتب بهذا الدافع الذي دفعهم الى الكتابة في هذه الموضوعات ، ومنهم الآمدي الذي يقول في كتابه المؤتلف والمختلف : «هذا كتاب ذكرت فيه المؤتلف والمختلف والمتقارب في اللفظ والمعنى والمتشابه الحروف في الكتاب من أسماء الشعراء وأسماء آبائهم وأمهاتهم وألقابهم مما يفصل بينه الشكل والنقط واختلاف الأبنية ، وانما ذكرت من الأسماء والألقاب ما كانت له نباهة وغرابة وكان قليلا في تسميتهم وتلقيبهم ، وكانوا اذا ذكروه ذكروه مفردا عن اسم الأب والقبيلة لشهرته ولم اتعدَّ هذا الجنس لقلة الاشتراك فيه ولأن الغلط يقع في مثله ... ويجري اللبس فيه على من لم يتمهر في معرفة الشعر والشعراء دائما»[٣٧]، ويقول الحريري في كتابه درة الغواص : « ... فاني رأيت كثيرا ممن تسنموا أسنمة الرتب وتوسموا بسمة الأدب قد ظاهوا العامة في بعض ما يفرط من كلامهم وترعف به مراعف أقلامهم ، فألفت هذا الكتاب تبصرة لمن تبصر وتذكرة لمن تذكر ...»[٣٨]، وهو في كلامه هذا يؤكد أن الدافع الذي حمله على تأليف الكتاب هو رغبته في تصحيح الأخطاء التي تشيع حتى عند العلماء مما يشير الى ان كتابه هذا وضع بدافع تعليمي إذ ان الغرض منه التنبيه على الأخطاء لتحاشيها في المستقبل .

---

(٣٥) جمهرة الأمثال ١/٤ - ٦ .

(٣٦) سحر البلاغة ٥ - ٦ .

(٣٧) المؤتلف والمختلف ٣ .

(٣٨) درة الغواص ٢ - ٣ .

ويتصل بهذا الدافع ما وضع من شروح ومختصرات كثيرة للكتب الأدبية أو النصوص ذات الطابع اللغوى مما كان يدرس في حلقات الدرس في تلك العصور . وواضح أن الشروح التي وضعت في هذا المجال كان يضعها الشيوخ والعلماء الذين يقومون بتدريس هذه النصوص والكتب ، وكانت طبيعة عملهم تفرض عليهم هذا ، اذ كانوا ملزمين في احيان كثيرة بالتعليق على الكتب التي يقومون بتدريسها وشرح ما يرونه مستبهما غامضا فيها ، وكثيرا ما كانوا يملون هذه الشروح حتى يتكون من مجموع هذه الأمالي كتاب موسع يفيد منه الطلاب . ومن نماذج هذا النوع من الكتب شرح المفصل لابن يعيش الحلبي الذي يقول في مقدمته : «وبعد ، فلما كان الكتاب الموسوم بالمفصل من تأليف الامام العلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري رحمه الله جليلا قدره نابها ذكره ، قد جمعت اصول هذا العلم فصوله وأوجز لفظه فتيسر على الطالب تحصيله ، الا انه مشتمل على ضروب منها : لفظ أغربت عبارته فأشكل ، ولفظ تتجاذبه معانٍ فهو مجمل ومنها ما هو باد للأفهام الا أنه خال من الدليل مهمل استخرت الله تعالى في املاء كتاب أشرح فيه مشكله وأوضح مجمله وأتبع كل حكم منه حججه وعلله ..»[٣٩]، وواضح من قوله هذا أنه أنشأ هذا الشرح لغرض تعليمي اذ وضح ما كان من كتاب المفصل غامضا مستبهما ، وأملى شروحه هذه املاء مما يدل على أن الحاجة التعليمية هي التي دفعته الى هذا العمل . وشروح الكتب القديمة كثيرة في مختلف مجالات التأليف وهي في مجموعها لا تخرج عن هذه الفكرة التي نرى ابن يعيش يعرب في قوله السابق .

وشبيه بعملية الشرح هذه من الوجهة التعليمية عملية الاختصار اذ وجدت كثير من الكتب التي تناولت كتبا سابقة بالاختصار والتهذيب ، والغرض من هذه المختصرات هو تقريب الكتب الموسعة لأذهان الطلاب والقراء عموما ، وتسهيل حفظها والالمام بها . ومن أمثلة هذه المختصرات ما وضعه الزبيدي من

---

٣٩. شرح المفصل ٢١ .

مختصر لكتاب العين ، فهو يصرح بالغرض التعليمي منه اذ يقول في مقدمة الكتاب : «هذا كتاب أمر بجمعه أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله أطال الله بقاءه ، عناية منه بالعلم وتهمما به ورغبة في نشره والانتفاع بفائدته ، وذهب فيه الى اختصار الكتاب المعروف بكتاب العين المنسوب الى الخليل بن أحمد الفراهيدي ، بأن تؤخذ عيونه ، ويلخص لفظه ويحذف حشوه وتسقط فصول الكلام المتكررة فيه لتقرب بذلك فائدته وليسهل حفظه ويخف على الطالب جمعه ...»[٤٠].

هذه هي اهم الاسباب التي حملت المؤلفين القدامى على اختيار موضوعات كتبهم منذ بداية عصر التأليف ، وقد ظلت هذه الدوافع رائد المؤلفين حتى استقرت عند المتأخرين منهم قاعدة من القواعد واصبحت في حملة الاسس التي تكون المنهج العام للبحث والتأليف عند المؤلف القدامى ، اذ قلما يخلو كتاب تطرق الى قضايا التأليف من ذكر هذه الدوافع مجملة او مفصلة ، من مثل قول الكلاعي في الفصل الذي خصصه للتأليف : «والتواليف تنقسم على اقسام ، منها ما اقل فضيلته حسن الاختيار الذي عليه المدار ... ومنها ما فضيلته جمع ما افترق ... ومنها اختصار الطويل في اللفظ القليل ، ومنها رد القصير في معرض الطويل الكثير ، ومنها ما يعتمد فيها المؤلف على فكره ويغترفه من بحره ..»[٤١]. وفي كتاب المعيد للعلموي نلاحظ هذه الدوافع بصورة أوضح وأكثر تفصيلا ، اذ ينقل عن أحد المؤلفين السابقين قوله عن مراتب التأليف بأنها سبع وهي : «استخراج ما لم يسبق الى استخراجه ، وناقص في الوضع يتمم نقصه ، وخطأ يصحح الحكم فيه ، ومستغلق باجحاف الاختصار يشرح أو يتمم بما يوضح استغلاقه ، وطويل يبدد الذهن طوله يختصر من غير اغلاق ولا حذف لما يخل حذفه بغرض المصنف الأول ، ومتفرق يجمع اشتات تبدده على أسلوب صحيح قريب ومنثور غير مرتب يرتب ترتيبا يشهد صحيح النظر أنه أولى في تقريب العلم للمتعلمين من الذي تقدم في حسن وضعه وترتيبه

(٤٠) مختصر العين ٧/١ - ٨ .

(٤١) احكام صنعة الكلام ٢٣٠ - ٢٣١ .

وتبويبه ..»[٤٢]. ويلاحظ أن كل ما ورد ذكره في هذا النص سبق أن رأيناه فيما استعرضناه من دوافع للتأليف استقرأناها من كتب المؤلفين القدامى .

واذا كان في هذا الذي قدمناه ما يدل على تفكير منهجي سديد وتفكير علمي بضرورة التأليف وقيمته ، فان هذا لايعني أن المؤلفين القدامى كانوا جميعا في مثل هذا المستوى العلمي والتفكير المنهجي السليم في اختيارهم موضوعات كتبهم . فقد وجد فيهم بعض المؤلفين الذين يكررون ما كتبوه سابقا دونما تجديد واضافة ، ولعل أبا منصور الثعالبي كان خير مثال لهذا النوع من المؤلفين ، اذ إننا نكاد لا نجد في مؤلفاته العديدة التي وصلت الينا غير تكرار في المعلومات والاختيارات ، بشكل يجيز لنا القول بأن الثعالبي لم يؤلف في ميدان الأدب غير كتب ثلاثة هي اليتيمة وثمار القلوب والتمثيل والمحاضرة ، وما سواها من الكتب نقل واعادة لما في هذه الكتب من المعلومات بترتيب يختلف في كتاب عنه في كتاب آخر . وقد انتبه القدامى أنفسهم الى أن كتب الثعالبي لا فائدة في معظمها فوصفوها بقلة الجدوى وقلة الفائدة العلمية منها ، وفي هذا يقول ياقوت الحموي في ترجمة الأسعد بن المهذب بن مماتي : «وله تصانيف كثيرة يقصد بها قصد التأدب ، وفي معرض وقائع تجرى ، ويعرضها على الأكابر ، لم تكن مفيدة افادة علمية انما كانت شبيهة بتصانيف الثعالبي وأضرابه ..»[٤٣]، كما وجد فيهم مؤلفون لايضيفون شيئا جديدا الى ما يؤلفون بل يكررون أقوال سابقيهم بزيادة أو بنقصان ، ومن نماذج هذا النوع ما نراه في قول القفطي متحدثا عن عبد اللطيف بن يونس البغدادي : «وكان يدعي تصنيف كتب ما فيها مبتكر ، وانما يقف على تصانيف غيره فاما أن يختصر أو يزيد ما لا حاجة اليه ، وهي في غاية البرودة والركاكة .. »[٤٤].

---

٤٢) نفسه ٨٠

٤٣) معجم الأدباء ٢٥١/٢

٤٤) انباه الرواة ١٩٤/٢ - ١٩٥ . ولا بد لنا هنا من الاشارة الى أن هذه الدوافع التي ذكرناها سابقاً يمكن أن يلتقي اثنان منها أو أكثر في كتاب واحد . كما يمكن أن يكون واحد منها فقط هو الداعي الى اختيار الموضوع .

(٢)

تحديد الموضوع

يرتبط اختيار الموضوع بتحديده ، ويكاد الأمران يكونان متلازمين لافاصل بينهما ، ومرحلة واحدة لاتحتمل التجزئة والفصل ، اذ من الواضح أن التفكير في اختيار موضوع معين يصحبه التفكير في تحديد ذلك الموضوع حدوداً معينة ليتمكن المؤلف من جمع مادته فيما بعد على أساس هذا التحديد .

وتحديد الموضوع عند المؤلفين القدامى يجمع الى جانب عموميته واتساعه معالم واضحة الدلالة على تفكير علمي دقيق في تحديد الموضوعات ، فكثير من المؤلفات الأدبية القديمة لم تعرف التحديد الدقيق واكثر ما يظهر هذا في كتب الأدب الجامعة . ولئن دل هذا على فقدان المنهجية عند مؤلفي هذه الكتب ، الا انه يمكن أن يفسر من جانب آخر بقصد هؤلاء المؤلفين الى تقديم أكثر ما يمكن تقديمه من مخزون ثقافتهم وما تناثر في الكتب السابقة من معلومات . ويؤيد هذا أن هذه الكتب الجامعة وضعت لخدمة الأدباء بصورة عامة والكتاب بصورة خاصة ، وهؤلاء - كما سبقت الاشارة الى هذا - يحتاجون الى كثير من المعلومات في مختلف الموضوعات مما يفرض على مؤلفي هذه الكتب اتجاههم العام في الجمع والتأليف .

وعلى خلاف هذه الظاهرة التي تبدو في كتب الأدب الجامعة ، تظهر في كثير من الكتب الأدبية الاخرى معالم واضحة وأسس متميزة للتحديد متمثلة أولا بملاحظات عامة لبعض المؤلفين تدل على قصدهم الى تقريب مواد كتبهم بتحديدها وعدم السماح باتساعها وتشعبها ، من مثل قول صاحب الزهرة : «ومثل هذا الكتاب انما يطلبه أهل الآداب ليخف على الألفاظ ويتسهل للحفاظ ، فان بعد آخره نسي أوله ، ولسنا وان اجتهدنا في اطالته راجين التناهي الى غايته ومن لم يرج الكمال بالاكثار كان حقيقا أن يقنع

بالاختصار ..»[٤٥]، وهو نص صريح في ارادة التحديد وكبح جماح الاطالة والاتساع التي تظهر في بعض الكتب القديمة . ولئن بدا هذا واضحا ممكنا في موضوع يسهل تحديده كموضوع كتاب الزهرة ، الا اننا لانعدمه في كتب اخرى جمعت كثيرا من المواد والموضوعات ومنها كتب التراجم ، فابن قتيبة مثلا وان احتوى كتابه الشعر والشعراء على عدد كبير من التراجم في مدة زمنية كبيرة ، الا أننا نلمس منه تفكيرا في التحديد اتبعه عندما كتب كتابه فحدد تراجمه بقوله : «ولم أعرض في كتابي هذا لمن كان غلب عليه غير الشعر ، فقد رأينا بعض من ألف في هذا الفن كتابا يذكر في الشعراء من لايعرف بالشعر ولم يقل منه الا الشذ اليسير كابن شبرمة القاضي ... ولو قصدنا لذكر مثل هؤلاء في الشعراء لذكرنا أكثر الناس ...»[٤٦].

ولدى استقراء الكتب الأدبية القديمة يمكن القول إن اسس تحديد الموضوعات عند المؤلفين القدامى كانت كما يلي :

١ ـ الزمان والمكان :

عمد بعض المؤلفين القدامى الى تحديد موضوعاتهم على أساس زمني فجمعوا في هذه الكتب من المواد والأخبار ما يرجع الى عصر معين دون غيره ، وغير خفي أن حصر مواد الكتاب بعصر معين يمثل تفكيرا بتحديد خاص للكتاب يقوم على أساس واحد يمكن أن يشمل موضوعات معينة دون غيرها . والكتب القديمة التي سارت على هذا الأساس في التحديد كثيرة ترجع في معظمها الى ما ألف في تراجم الأدباء ، ويمكن عد كتاب الروضة للمبرد أول هذه الكتب التي تلتزم بالترجمة للشعراء المحدثين فقط ، اذ بدأ فيه بأبي نواس ثم تلاه بغيره من شعراء العصر العباسي[٤٧]، ويتلوه في هذا كتاب البارع لهارون بن علي بن يحيى المعروف بابن المنجم (٢٨٨هـ)[٤٨]، وكتاب طبقات الشعراء

---

(٤٥) الزهرة ٤ .

(٤٦) الشعر والشعراء ٩،١ - ١٠ .

(٤٧) ينظر العقد الفريد ٦/٧٧ . المثل السائر ٢/١٢٢

(٤٨) ذكر هذا الكتاب في الفهرست ١٦٠ .

لابن المعتز(٢٩٦هـ)، وكتاب الورقة لابن الجراح(٢٩٦هـ)، وكتب عديدة أخرى تدل بمجموعها على أن تحديد التراجم بالأدباء المحدثين فقط أصبح منهجا متبعا لدى المؤلفين ، ويكفي أن نذكر منها كتاب يتيمة الدهر للثعالبي وما وضع من تتمات وذيول عليه سبق لنا ذكرها .

ولم يكن تحديد هذه الكتب حسب الزمان متمثلا في موضوعاتها وما احتوته من تراجم فقط ، بل امتد حتى شمل عنواناتها فكانت هذه العنوانات دليلا على هذا التحديد الزمني ، فالثعالبي يسمي كتابه «يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر» ليدل بعبارته الأخيرة على اقتصار كتابه على تراجم العصريين فقط ، وكذلك فعل المؤلفون الذين اتبعوه وأكملوا يتيمته .

ووجدت كتب أخرى اقتصرت على الترجمة للأدباء المنتمين الى اقليم معين ، مما يمثل أساسا آخر للتحديد يمكن أن نسميه التحديد المكاني ، ومن هذه الكتب كتاب أخبار شعراء مصر للصولي[٤٩]، وشعراء أصبهان لحمزة الأصفهاني[٥٠]، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني الذي احتوى على تراجم للأدباء الاندلسيين فقط ، والدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة لابن القطاع الصقلي[٥١] الذي احتوى على تراجم أدباء صقلية فقط ، وكتب عديدة أخرى سارت على هذا التحديد نفسه ، وأفاضت كتب التراجم والأدب في ذكرها .

وهذه الكتب وما سبق ذكره من كتب وضعت في تراجم المحدثين موزعة حسب البيئات الاقليمية ، يمكن أن تشبه من حيث الفكرة ما يوضع من دراسات حديثة حول مجموعة من الأدباء المنتمين الى اقليم وعصر معينين .

٢ - الصفات المشتركة :

سارت كثير من كتب التراجم القديمة على أساس معين من التحديد يتمثل في وجود صفة مشتركة تجمع بين المترجم لهم في الكتاب . فقد بدأ اتجاه في

---

(٤٩) ذكر في معجم الأدباء ٤١٥/٢ .

(٥٠) ذكر في معجم الأدباء ٢٨٩/٦ .

(٥١) ذكر في معجم الأدباء ١٠٧/٥

التأليف منذ القرن الثالث الهجري يظهر فيه اعتماد رابط اللقب أو الكنية أو الأسم حداً لموضوع الكتاب . من مثل ما ينسب الى محمد بن حبيب (٢٤٥هر) من كتب صغيرة في التراجم والأخبار محددة حسب الكنى والألقاب ، منها كتاب «من نسب الى أمه من الشعراء» وكتاب «كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه»[٥٢]، وكتاب للسكرى (٢٧٦هـ)عنوانه «من قال بيتا فلقب به»[٥٣]، وكتاب لابن الجراح (٢٩٦هـ) عنوانه «من سمي عمرا من الشعراء» ، واستمر وضع الكتب بمثل هذا التحديد طيلة العصور التالية حتى كان منها في القرن السابع كتاب «المحمدون من الشعراء» للقفطي .

وضمت بعض كتب التراجم أيضا طائفة من الأدباء المعروفين بعاهة معينة ، ويبدو أن أبا عثمان الجاحظ هو الواضع الأول لهذه الفكرة في التحديد اذ أللغكتابا بعنوان «البرصان والعرجان والعميان والحولان» وقد ضم طائفة من التراجم والأخبار مختلطة ببعضها تدور حول هذه الصفات التي سمى كتابه بها . ويمكننا أن نعد ضمن هذه المجموعة كتاب عقلاء المجانين لمحمد بن الحسن النيسابوري (٤٠٦هـ) وكتبا عديدة أخرى يصادفنا منها في القرن الثامن كتاب «نكت الهميان» للصفدي .

ووضعت كتب أخرى للحديث عن طائفة اجتماعية معروفة بسلوك معين مما يمكن أن نعده أساسا لتحديد موضوع الكتاب يشبه ما سبقه ويدخل ضمن مفهوم الصفات المشتركة . ويبدو ان الجاحظ هو أول من اتجه هذا الاتجاه في كتابه «البخلاء» وأعقبه الوشاء في كتابه «الموشى» الذي خصصه للظرف والظرفاء ، والخطيب البغدادي في كتابيه «التطفيل» و «البخلاء» وابن الجوزي في كتابيه «الأذكياء» و «الظراف والمتماجنين».

---

(٥٢) طبع الكتابان ضمن سلسلة نوادر المخطوطات . وهما يمثلان مرحلة أولى في التراجم اذ ان ما فيهما لايعدو احصائيات بأسماء الشعراء مع بعض الاخبار المقتضبة عنهم .

(٥٣) ذكر الكتاب في الأغاني ١٨٨/١٩ .

٣ - الأغراض الشعرية :

اتجه كثير من المؤلفين القدامى الى تخصيص كتبهم بالحديث عن غرض شعرى معين دون غيره . اذ يعمدون الى اختيار النماذج الأدبية وما يتعلق بها من أخبار لا تتعدى الغرض الشعري الذي حددوا كتبهم به ، وفي هذا ما يدل على ان الغرض الشعري كان أساسا من اسس التحديد عند القدامى اذ التزم به كثيرون وقدموا الينا عديدا من الكتب التي سارت على هذا النوع من التحديد القائم على اساس الغرض الشعري الواحد . ونستطيع القول بأن كتب الاختيارات الأدبية وأشهرها كتب الحماسة هي التي وضعت الأساس لهذ التحديد اذ أن توزيعها للاختيارات حسب الأغراض الشعرية يمثل بداية التفكير في اعتماد لهذا الأساس الذي تطور عند المؤلفين اللاحقين فقصروا بعض كتبهم على الحديث عن غرض شعرى معين من مثل ما وضع من كتب عديدة تناولت موضوع الحب والغزل فقط ككتاب «المقتفى» للوشاء[٥٤]، وطوق الحمامة لابن حزم ، وذم الهوى لابن الجوزي ، وروضة المحبين لابن قيم الجوزية .

وهناك كتب عديدة أخرى خصصت لموضوع الخمريات والشراب ومنها كتاب «الأشربة» لابن قتيبة وكتاب فصول التماثيل لابن المعتز وكتاب قطب السرور للرقيق القيرواني وكتاب حلبة الكميت للنواجي . كما نستطيع أن نعد ضمن هذا الأساس في التحديد ما ألف من كتب في الوصف ، ومنها كتاب «العقد» للوشاء الذي خصصه لذكر الورد وفضائله ، وكتاب «التفاحة» للوشاء أيضا ، الذي خصصه لفضائل التفاح[٥٥]، وكتاب «البديع في وصف الربيع» لابي الوليد الحميري ، وكتب عديدة أخرى حفلت كتب التراجم بذكر أسمائها .

وهذه الكتب جميعا يمكن أن يقال عنها أنها تشبه من حيث الفكرة ما يوضع من دراسات أدبية حديثة تتناول فنا شعريا واحدا دون غيره .

٤ - الشخصية الواحدة :

عرف المؤلفون القدامى أساسا آخر لتحديد الموضوعات يتمثل في تخصيص

---

(٥٤) ذكر الكتاب في المتنى ٦٩ .

(٥٥) ذكر الكتابان في المتنى ١٨٠

كتب للحديث عن شخصية أدبية واحدة ، اذ يجمع المؤلف في كتابه بين ترجمة للشاعر وأخبار عديدة له ، اضافة الى كثير من الآراء المتعلقة بفنه الشعري . والكتب المؤلفة حسب هذا التحديد عديدة نذكر منها على سبيل المثال : أخبار الأحوص لعلي بن محمد بن نصر بن بسام[٥٦]، وكتاب أخبار بشار واختيار شعره ، وكتاب اخبار ابن مناذر ، وكتاب اخبار ابن هرمة ومختار شعره ، وهي جميعا لأحمد بن أبي طاهر[٥٧]، وكتاب أخبار السيد الحميري لأحمد بن ابراهيم العمي[٥٨]، وكتاب اخبار ابن الرومي لعلي بن عبيد الله بن المسيب الكاتب[٥٩].

واتجه مؤلفون آخرون الى تحديد كتبهم بالحديث عن جانب واحد من جوانب الشخصية الادبية الواحدة ، فوضعت حسب هذا التحديد كتب عديدة نذكر منها كتاب سرقات أبي نواس لمهلهل بن يموت بن المزرع ، وكتابي الصاحب بن عباد : «الكشف عن مساوىء شعر المتنبي» ، و «الأمثال السائرة من شعر المتنبي» ، وكتاب «المآخذ الكندية من المعاني الطائية» لابن الدهان النحوي[٦٠].

وهذه الكتب باقتصارها على شاعر واحد فقط أو جانب واحد من جوانب الشخصية الأدبية تمثل مرحلة مهمة من مراحل التحديد المنهجي للموضوعات اذ تشبه من حيث الفكرة ما يوضح من دراسات حديثة عن شخصية أدبية واحدة أو جانب من جوانب شخصية أدبية معينة .

الترجمة (العنوان) :

وهناك مسألة أخيرة في الحديث عن تحديد الموضوع عند القدامى تتعلق بالعنوان المختار للكتاب واساس اختياره عندهم .

والمصطلح الغالب عند العرب في حديثهم عن عنوان الكتاب هو مصطلح

---

(٥٦) ذكر في معجم الادباء ٣١٩/٥ .

(٥٧) معجم الأدباء ١٥٥/١ .

(٥٨) نفسه ١٧٦/١ .

(٥٩) نفسه ٢٢٤/١ .

(٦٠) لم يصل الينا هذا الكتاب ، وانما وصل الينا رد عليه لابن الأثير سماه «الاستدراك على رسالة ابن الدهان ...»

الترجمة ، ونستطيع ان نلاحظ هذا في قول الوشاء :«وفضائل الورد أكثر من أن يحصى عددها ، وقد أفردت لذلك كتابا وبوبته أبوابا وترجمته بكتاب العقد ..»[٦١].

ومن المعروف حاليا ان عنوان الموضوع أو العنوان العام للكتاب يجب أن يكون موحيا بمضمونه ودالا عليه ، وبتأمل الكتب الأدبية القديمة يتضح لنا أن كثيرا من المؤلفين القدامى وضعوا فكرة مطابقة عنوان الكتاب لموضوعه نصب أعينهم ، ومن النصوص الدالة على هذا القول المحسن التنوخي في نقد كتاب «الفرج بعد الشدة» لابن ابي الدنيا : «ووقع الي كتاب لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قد سماه (الفرج بعد الشدة) في نحو عشرين ورقة ، والغالب فيه أحاديث عن النبي ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم ، وأخبار عن الصحابة والتابعين رحمهم الله تعالى يدخل بعضها في معنى طلبته ولا يخرج عن قصده وبغيته ، وباقيها أحاديث وأخبار في الدعاء والصبر والأرزاق والتوكل ... وهو عندي خال من ذكر فرج بعد شدة غير مستحق أن يدخل في كتاب مقصور على هذا الفن ...»[٦٢]، وقول الثعالبي متحدثا عن كتابه سحر البلاغة : «ثم ان هذا الكتاب المشتمل على الكتب الأربعة عشر مترجم بسحر البلاغة وسر البراعة ، وأرجو أن يكون اسما يوافق مسماه ولفظا يطابق معناه ..»[٦٣]، وقول الشريشي متحدثا عن قدامة بن جعفر : «كان بليغا مجيدا عالما باسرار صنعة الكتابة ولوازمها ، وله كتاب يعرف بسر البلاغة في الكتابة ، وترجمته تدل على متضمنه»[٦٤].

هذه أفكار تشير الى ضرورة مطابقة عنوان الكتاب لمضمونه ، ومن

---

(٦١) الموشى ١٨٠ . واستعمل مصطلح الترجمة لدلالة على العنوان كثير من المؤلفين . ينظر على سبيل المثال : الزهرة ٢٨٤ ، مراتب النحويين ٢ ، يتيمة الدهر ٢١٩/٢ ، سحر البلاغة٨ ، الكناية والتعريض ٢ ، الذخيرة ٤٤/١/١ ، شرح المقامات ٢٠/١ ، المعجب ١٧٥ ، الحلة السيراء ٩٤/١ ، نهاية الأرب ١٠٢/٥ ، ١١٦ .

(٦٢) الفرج بعد الشدة ٦/١ .

(٦٣) سحر البلاغة ٨ .

(٦٤) شرح المقامات ٢٠/١ .

الطبيعي أن هذه الفكرة لم تكن عامة عند المؤلفين جميعا ، فقد التزم بها قسم منهم في حين أهملها القسم الآخر ، والذي نلاحظه هنا أن كتب المرحلة الأولى للتأليف التزمت بالفكرة السابقة في معظمها ، فكانت عنوانات الكتب بسيطة دالة على مضمونها ، ويكفي أن نذكر منها كتاب الأصنام لابن الكلبي والنقائض لأبي عبيدة وكثيرا من كتب الجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز وبعض من تلاهم في العصور التالية للقرن الثالث ، الا اننا نلاحظ من جانب آخر أن عنوانات الكتب بدأت منذ القرن الرابع للهجرة تفقد هذه الميزة عند كثير من المؤلفين ، اذ سيطر حب السجع على الأدباء والمؤلفين في آن واحد ، فجاءت عنوانات كثير من الكتب مسجوعة متكلفة وهذا ما نلاحظه عند الثعالبي وكل من ألف بعده كتابا على غرار يتيمته أو غيرها من الموضوعات ، اذ نجد أنفسنا في هذه الكتب أمام عبارات فخمة متكلفة فيها شيء كبير من الغرور . ويكفي أن نذكر تدليلا على هذا العنوانات التالية : يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، دمية القصر وعصرة أهل العصر ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، زينة الدهر وعصرة اهل العصر ، خريدة القصر وجريدة العصر ، المغرب في حلى المغرب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء ..

الفصل الثالث

الأصول (المصادر)

الأصل لغة أساس الشيء[1]، وهو اصطلاحا يعني الكتاب الذي يرجع اليه المؤلف والمصدر الذي يعتمده كثيرا في تأليفه ، من مثل ما يظهر في قول الصولي : «قد صرت من كتاب الخلفاء وهو كتاب الأوراق الى ذكر الشعراء الذين أول أسمائهم ألف ، فذكرت منهم جماعة ، ثم رأيت بعض الأجلاء يحب أن أقدم له ذكر أحمد بن يوسف الكاتب ، فآثرت مراده واتبعت محبته ، وأنا أذكر من ذلك ما سهل علي طلبه وقرب مني وجوده وتارك في أخبار كل واحد واشعاره بياضا لما خرجه السماع ومنتجعه من الأصول ان شاء الله»[2] ويشبهه في استعمال مصطلح الأصول بهذا المعنى أبو الفرج الأصفهاني في قوله متحدثا عن عمرو بن بانة : «.. وكتابه في الأغاني أصل من الأصول»[3].

والحديث عن الأصول أو مصادر البحث عند القدامى يتضمن فيما نرى

---

(١) مقاييس اللغة (أصل).

(٢) أخبار الشعراء ١٤٣ .

(٣) الاغاني ٢٦٩/١٥ . واستعمل مصطلح الأصول دالاً على المصادر كثير من المؤلفين القدامى مما يدل على أنه كان المصطلح الشائع عندهم . ينظر على سبيل المثال : طبقات النحويين واللغويين ٢ ، نشوار المحاضرة ٢٨٩/٣ ، الفهرست لابن النديم ٤٨ ، البصائر والذخائر ١٣١/٢ ، أخبار اصبهان ٨٥/١ .

ثلاث مسائل رئيسة ، الأولى هي أنواع المصادر التي اعتمدها القدامي ، والثانية طرق التعرف عليها والعلم بمكانها ، والثالثة : طرق جمعها وتحصيلها قبل الشروع بنقل المعلومات منها .

(١)
أنواع الأصول

يظهر لنا بمطالعة الكتب الأدبية القديمة أن مؤلفيها اعتمدوا أنواعا عديدة من المصادر يمكن أن تنقسم بصورة عامة الى قسمين أساسيين هما المصادر الشفهية والمصادر التحريرية أو المدونة .

والمصادر الشفهية التي اعتمدوها عديدة متنوعة لا تقتصر على نوع واحد معين . فمنها ما يمكن أن نعده مصدرا شفهيا مباشرا يتمثل في أخذ المؤلف للمعلومات والأخبار والنصوص عن طريق السماع المباشر للناس في معاملاتهم ومظاهر حياتهم العامة من مثل مايرد عند الجاحظ في كثير من كتبه اذ نرى فيها مثلا أقوالا لغلام من غلمانه يسوقها في معرض الحديث عما يعترض المولدين من لكنة في الخطاب[٤]، أو نجد فيها أقوالا «من ملتقطات كلام الناس» يوردها في معرض حديثه عن المعاني الظاهرة باللفظ الموجز[٥]، ويشبهه في هذا المؤلفون الذين يعتمدون ما يسمعون من أقوال يتناقلها الناس من أدباء وغيرهم في التحزب لشاعر والغض من آخر من مثل ما يظهر في قول الآمدي : «وأنا أبتدىء بذكر ما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى عند تخاصمهم في تفضيل أحدهما على الآخر ..»[٦].

وانموذج ثان من نماذج المصادر الشفهية يلاقينا عند كثير من المؤلفين وهو

الفهرست للطوسي ٢٣-٢٤ ، ٦١-٦٢ ، تاريخ بغداد ٣/٩٦-٩٧ ، مصارع العشاق ١/٣٩ ، الذخيرة ١/١/١٩ ، معالم العلماء ٣٠ ، انباه الرواة ١/١٢١ ، الوافي ١١/٢١ب ، مرآة الجنان ٣/١١٨

(٤) ينظر : البيان والتبيين ٤/٢٦-٢٧ .

(٥) نفسه ١ ٢١٠

(٦) موازنة ١ ٧ .

اعتماد المقابلات الشخصية مع الأدباء انفسهم او مع من له علاقة بهم وبأدبهم ، ويكثر هذا عند المؤلفين الذين خصصوا كتبهم لدراسة ادب معاصريهم ، فكثيرا ما نرى عند الثعالبي تدوينه لأشعار واخبار سمعها من الأدباء انفسهم من مثل قوله : «وأنشدني أبو الفتح البستي لنفسه ..»[٧] وفي هذا ما يشير الى أن المؤلف كان قد توجه الى هذا الأديب وأخذ عنه ما يريد تدوينه في كتابه ، ويؤيد هذا قوله في ترجمة القاضي أبي القاسم عالي بن علي الشيرازي : «وكنت اقتبست من نوره واستمليت منه أبياتا في نهاية الحسن وأعددتها لهذا الكتاب ...»[٨]، ويذكر الباخرزي أن بعض الأدباء لم يسمح له بشيء من أشعاره فاضطر الى تلقطها من أفواه الرواة[٩] مما يدل على انه كان يتوجه الى الأدباء للنقل عنهم ، ويشبهه في هذا كثير من المؤلفين الذين اتبعوا هذه الطريقة معتمدين في هذا نوعا مهما من أنواع المصادر الشفهية[١٠]

والذي نلاحظه في هذا النوع من المصادر الشفهية أن بعض المؤلفين كان ينص على زمان المقابلة ومكانها ، وكأنه يقدم بهذا توكيدا ودليلا على حدوث هذه المقابلة ، مما يشير الى أن القراء كانوا يفهمون المدلول العلمي لهذه الطريقة وما تستوجبه من شروط وتحديدات . فالعماد الأصفهاني مثلا يقول في ترجمته لأحد الأدباء : «لقيته ببغداد في سوق الكتب عصرا ينشد لنفسه شعرا من قصيدة في مدح علي بن طراد الزينبي ... فاستنشدته فأنشدني ...»[١١]، ويقول في ترجمة أديب آخر : «اتفق اجتماعي معه في التوكيل بالديوان العزيز ومما أنشدنيه لنفسه في عشرة محرم سنة احدى وستين وخمسمائة في القمري ...»[١٢].

---

(٧) من غاب عنه المطرب ٢٥٣ .

(٨) تتمة اليتيمة ٧٦/٢ .

(٩) تنظر : دمية القصر ٣٥٩/١-٣٦٠ .

(١٠) تنظر : جذوة المقتبس ٣٠٢ . وشاح الدمية ٥٩ب . ولا يخلو كتاب ألف في أدب المعاصرين من الاشارة الى اعتماد هذه الطريقة .

(١١) خريدة القصر (عراق) . الجزء الرابع ٢٤/١ .

(١٢) خريدة القصر (عراق) ١٥١/١ .

ولم تقتصر المقابلة الشخصية عند المؤلفين على مقابلة الأدباء أنفسهم فكثيرا ما تكون عوامل هذه المقابلة غير مواتية لبعد الشقة المكانية بين المؤلف والأديب ، ومن ثم يعتمد المؤلف على العلماء والأدباء المعروفين برواية الأشعار وتتبعها يسائلهم وينقل عنهم ما يريد ليكون ما ينقله فيما بعد مصدرا من مصادر كتابه الذي يقوم بتأليفه ، والمؤلفون القدامى في اعتمادهم هذه المساءلات والمقابلات يبلغون درجة كبيرة من الدقة العلمية في تتبع المصادر ، فقد يتوجه المؤلف الى الراوية أو الأديب بعد عودته من سفر ليسأله عما استفاده من أشعار وأخبار في ذلك البلد الذي زاره ، كما نرى هذا عند الثعالبي في ترجمته لأبي القاسم الزاهي اذ يقول : «أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان فيما أنشدنيه من النتف التي استفادها ببغداد واتحفني من اللطائف التي استصحبها ، منها للزاهي ..»[١٣]، وشبيه بهذا ما نراه عند العماد الأصفهاني في قوله أثناء ترجمته لأحد الأدباء : «كنت أسمع التجار من أهل مصر وغيرهم من أهل الشام يصفونه ويطرونه ... فاذا استنشدهم أحد شعره قالوا : ما نحفظه ... حتى أنشدني الشريف أحمد بن حيدرة الزيدي الحسيني شعره ..»[١٤].

وقد يقوم المؤلف نفسه بالاستفسار عن أخبار الأدباء ونتاجهم الأدبي في البلدان التي يسافر اليها ليدون ما يفيده في كتاب يزمع تأليفه ، ونرى مظاهر هذا الصنيع عند كثير من المؤلفين ، ومنهم البيهقي اذ يقول في ترجمته لأحد الأدباء : «وكنت أسأل لما جئت الى بغداد عنه ، فما يعرفه أحد ، حتى أنشدني بعض النصارى العطارين ببغداد ، وكنت جالسا على باب دكانه وذكر أنه كان شيخا اسكافا ببغداد وواسط ...»[١٥]، وشبيه به ما نراه عند العماد الأصفهاني من قوله : «سألت بدمشق سنة احدى وسبعين وخمسمائة عند شروعي في اتمام هذا الكتاب عمن بها من الشعراء وذوي الآداب فذكر لي فتيان منهم (فتيان) ... وهو ذو نظم كالعقود ...»[١٦].

---

(١٣) يتيمة الدهر ٢٤٩/١ .

(١٤) خريدة القصر (مصر) ٢٣٨/١ .

(١٥) وشاح الدمية ١٩ب .

(١٦) خريدة القصر (شام) ٢٤٧/١-٢٤٨ .

ولم تقتصر المصادر الشفهية عند القدامى على المقابلات الشخصية للأدباء والعلماء ، بل كانت المجالس العلمية والادبية أيضا مجالا لهم يستقون منه ما يريدون اثباته في مؤلفاتهم . ففي كتب الجاحظ مثلا كثير من المنقولات عن هذه المجالس من مثل قوله : «وأنشد ابن داحة في مجلس أبي عبيدة قول السيد الحميري ...»[١٧]، وواضح أنه ينقل هذا النص سماعا عن مجلس علمي لأبي عبيدة ، مما يدل على أنه اعتمد ما دار في هذا المجلس مصدرا لبعض ما دونه في كتابه ، ويشبهه في هذا كثير من المؤلفين الذين يعتمدون ما يدور في المجالس العلمية ليكون مادة من مواد كتبهم التي يقومون بتأليفها[١٨]مما يدل على أن هذه المجالس كانت من المصادر المهمة في البحث الأدبي عند القدامى ، وهي وما سبقها من مصادر شفهية مباشرة أخرى كالمقابلات الشخصية والمساءلات العامة تكون النوع الأول من أنواع المصادر عند القدامى ، وهو المصادر الشفهية .

والنوع الثاني من انواع المصادر عندهم ، هو المصادر المدونة ، وقد كانت هذه المصادر على عدة أنواع أيضا .

كانت الكتب المؤلفة أهم أنواع المصادر المدونة ، وهذه الكتب التي اعتمدها المؤلفون القدامى قد تكون كتبا جامعة ينقل منها المؤلف ما يفيده في تأليفه ، وهذا النوع هو أكثر ما يواجهنا النص عليه في الكتب القديمة ، اذ كثيرا ما يذكر الكتاب واسم صاحبه وقد يهمل ذكر احدهما .

وقد تكون هذه الكتب مجاميع أدبية لا مؤلفات أدبية ، ومن هذه المجاميع ما كان يجمع للمتنفذين وأصحاب السلطان من القصائد التي يمدحون بها ، وقد كان يقوم بجمعها بعض افراد حاشيتهم ، اذ يذكر العماد الأصفهاني في ترجمة الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة أن صاحب الخبر قال له يوماً : «قد جمعت

---

(١٧) الحيوان ٤٠٢/٣-٤٠٣ .

(١٨) ينظر على سبيل المثال : أخبار الشعراء ٨٤ ، مجالس العلماء ٤٨ ، ١٠٠ ، الاغاني ١٦٩/٦ ، تاريخ بغداد ٣٠٨/٨-٣٠٩ .

من القصائد التي مدحت بها ما يزيد على مائتي ألف بيت وكان كل سنة يحمل منها مجلدا»[19]، وتلاقينا في الكتب الأدبية كثير من المنقولات عن هذه المجاميع الخاصة بالرؤساء وأصحاب السلطان ، ومنها ما جاء في كتاب وشاح الدمية في ترجمة الرئيس أبي المعالي محمد بن علي اذ يقول : «هذا لم يذكره السمعاني ، وانما وجدت له في مجموع مدائح ابن جهير عميد الدولة الوزير من قصيدة ...»[20]وما جاء في كتاب الخريدة من قوله في ترجمة أحد الأدباء : «ونقلت من مجموع قصائد في مدح جمال الدولة في الأيام المسترشدية»[21]. واعتماد هذه المجاميع الخاصة بأصحاب السلطان يشير الى أن المؤلفين القدامى لم يدخروا وسعا في البحث عما يفيدهم من مصادر لدراستهم ، اذ انهم لم يقتصروا على ما يجدونه في الكتب التي يستطيعون الاطلاع عليها ، بل تعدوا ذلك الى مراجعة ماتضمه قصور اصحاب السلطان من نصوص ، وكأنهم في هذا يشبهون عمل الدارسين المحدثين حينما يتوجهون الى دور الوثائق الرسمية للاطلاع على ما يهم بحوثهم فيها .

وهناك نوع اخر من المجاميع الأدبية المجهولة تكثر الاشارة اليه في الكتب الأدبية دون تسمية له أو لجامعه ، من مثل قول السراج الوراق : «وجدت بخط في مجموع عتيق : حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد ...»[22]، وقول العماد الاصفهاني في ترجمة الوزير أبي عمر الباجي : «قرأت له في مجموع هذين البيتين»[23]، وقول الصلاح الصفدي : «رأيت في بعض المجاميع الأدبية أن السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضي الفاضل ...»[24].

وتمثل دواوين الشعراء نوعا آخر من المصادر المدونة التي اعتمدها المؤلفون

---

(١٩) خريدة القصر (عراق) ٦٨/١ .

(٢٠) وشاح الدمية ٢٦ب .

(٢١) خريدة القصر (عراق) ٢٠٥/٢ .

(٢٢) مصارع العشاق ٩٦/٢ .

(٢٣) خريدة القصر (مغرب) ٣٣٧/٢ .

(٢٤) الغيث المسجم ٩٤/١ .

القدامى . ومعروف أن الدواوين من المصادر المهمة في البحث الأدبي ، ولهذا اعتمدها المؤلفون القدامى كثيراً وحرصوا على تحصيل النسخ الموثقة منها ، اذ أنهم كثيرا ما كانوا يهتمون بالحصول على الدواوين بخط أصحابها ان كانوا من المعاصرين ، والدليل على هذا ما نراه عند الثعالبي في قوله متحدثا عن الشيخ أبي المحاسن سعد بن منصور : «وكتب الي جزءا من شعره بخطه هو حتى الآن عندي ...»[٢٥]، وقوله في ترجمة الشاعر المأموني : «رأيت المأموني ببخارى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ... وسمعت منه قطعة من شعره ونقلت أكثره من خطه»[٢٦]، وقول الباخرزي في ترجمة أبي الجوائز الواسطي : «وكان قد تجشم لي تحرير جزء بخط يده ..»[٢٧]، أما اذا كان الشعراء من غير المعاصرين للمؤلف ، وكانت نسخ دواوينهم متعددة ؛ فكثيرا ما كان المؤلف يطلع على اكثر النسخ

المتوفرة للديوان ويعتمد القديمة منها ويرجع اليها ، ومن أدلة هذا ما نراه عند الآمدى اذ أنه بعد أن يذكر بيتا لأبي تمام ويبين ما فيه من خطأ ويوضح صوابه يقول : «وكنت أظن أبا تمام على هذا نظم الشعر وأن غلطاً وقع في نقل البيت حتى رجعت الى النسخة العتيقة التي لم تقع في يد الصولي وأضرابه ، فوجدت البيت في غير نسخة مثبتا على هذا الخطأ»[٢٨].

ديوانه ، ثم يختار من هذا المجموع الذي صنعه ما يصلح لكتابه ، كما نرى هذا عند الثعالبي ، اذ يقول في ترجمة الشاعر اللحام : «ولم أر للحام ديوان شعر مجموعاً فعنيت بجمع تفاريقه وضم منتشره ثم اخترت منه ما يصلح لكتابي هذا ..»[٢٩]، وعمل الثعالبي هذا شبيه بعمل الدارسين المحدثين عندما يعمدون الى جمع بعض الدواوين من الكتب القديمة ليكون فيما يجمعونه بعض العوض عن الدواوين المفقودة .

---

(٢٥) تتمة اليتيمة ١٤٤/١ .

(٢٦) يتيمة الدهر ١٧١/٤-١٧٢ .

(٢٧) دمية القصر ١٤٠/١-١٤١ .

(٢٨) الموازنة ٢٠٥/١ .

(٢٩) يتيمة الدهر ١٠٢/٤ .

واعتمد المؤلفون القدامى نوعا آخر من المصادر المكتوبة يتمثل في القصائد الشعرية المنفردة الخاصة بالشعراء ، والاشارات الى هذا النوع الجديد من المصادر كثيرة في الكتب القديمة ، منها ما نراه في قول العماد الاصفهاني : «ونقلت من درج بخط الصالح بن رزيك قصيدة له أعارنيه ابن اخته ، مما نظمه سنة خمس وخمسين ، أولها ...»[٣٠]، وقوله في موضع آخر : «وأعطاني سديد الدولة بن الأنباري درجا فيه هذه القصيدة في مدحه بخط الغزى ...»[٣١].

ويتصل بهذا النوع من المصادر ما نصادفه في الكتب القديمة من اشارات تدل على اعتماد المؤلفين لمسودات الشعراء وكراريسهم التي كانوا يكتبون فيها أشعارهم ، ويكاد هذا الأمر يقتصر على نتاج الشعراء المعاصرين ، أو قريبي العصر بالمؤلف ، وهو أمر طبيعي اذ أن توفر مثل هذه المسودات للشعراء القدامى أمر صعب المنال ، ومن هنا تصادفنا اشارات عديدة الى استعمال هذا النوع من المصادر في الكتب التي عنيت بأدب المعاصرين ، كما نرى هذا عند العماد الأصفهاني اذ يقول : «وناولني القاضي أبو اليسر الكاتب كراسة بخط جده أبي المجد من مسودات شعره ، كتبها وقد أناف على الثمانين ...»[٣٢]. ويقول في موضع آخر : «ثم وقعت بيدي مسودات من شعر الهيتي بخطه عند وصولي الى مصر مما قاله بها وبالشام فنقلت منها ...»[٣٣]. وتتبع هذه المصادر يمثل - دون شك - درجة كبيرة في استقصاء المصادر عند القدامى ، فهم لا يكتفون بما يسمعون من الرواة أو يجدونه في الكتب الجامعة ، وانما يتتبعون مصادر بحثهم بأشكالها كافة حتى في هذه الأوراق المنفصلة التي يحتفظ بها الأدباء ، أو المسودات التي يخلفونها .

وهناك نوع آخر من المصادر المدونة اعتمده المؤلفون كثيرا ويتمثل هذا النوع في التذكرات والتعليقات المختلفة التي كان المؤلفون يدونونها في أماكن

---

(٣٠) خريدة القصر (مصر) ١٧٨/١ . والدرج : هو الورق المستطيل المركب من عدة أوصال (صبح الأعشى ١٣٨/١).

(٣١) خريدة القصر (شام) ٢٣/١.

(٣٢) نفسه ١١/٢.

(٣٣) نفسه ٢٣٢/١.

مختلفة من كتبهم وأوراقهم ، وهم يعتمدون هذه التعليقات مصادر أساسية عندما يشرعون بتأليف كتاب ويكون في مثل هذه التعليقات ما يفيدهم فيه أو قد تكون هذه التعليقات موجودة عند مؤلف آخر ثم يفيد منها مؤلف غيره ويعتمدها ضمن ما يعتمده من مصادر . فني ديوان أبي نواس الذي جمعه حمزة الأصفهاني نرى أن المؤلف عندما يذكر قصيدة لأبي نواس في مدح الرشيد يقول بعدها : «في هذه القصيدة بيت تفرد أبو مسلم محمد بن بحر الراوية برواية فيه مخالفة للرواية القديمة ، وجدت احتجاجه عنها بخطه في جزء من اجزاء تذكراته ...»[٣٤]، ويشبهه في هذا ابن بسام في اعتماده تعليقات بعض الأدباء اذ يقول في احدى تراجم كتابه : «... وجدت في بعض التعاليق بخط بعض أدباء قرطبة ...»[٣٥].

وقد تكون هذه التعليقات خاصة بالمؤلف نفسه ، ومن أمثلة هذا ما نراه في قول الثعالبي : «ووجدت في تعليقاتي بعد فراغي من كتاب اليتيمة للبهدلي ...»[٣٦]. وترد الاشارة الى هذه التعليقات غامضة مبهمة أحياناً لا نعرف بوساطتها ان كانت للمؤلف نفسه أو لمؤلف آخر ، كما نرى هذا في قول الثعالبي : «وانشدني الأمير أبو الفضل عبيدالله بن أحمد الميكالي هذه الأبيات ولم يسم قائلا ، ثم وجدتها في بعض التعليقات منسوبة الى بعض آل حمدان»[٣٧].

ونحن نجهل طبيعة هذه التعليقات التي ترد الاشارة اليها كثيرا ، وكيفية تدوينها ، ومن المحتمل أن بعض المؤلفين كان يسجل ما يراه مهما مما لا يدخل ضمن نطاق كتاب يؤلفه في أوراق منفصلة لديه أو في أماكن متفرقة من كتبه الخاصة ، ثم يرى في هذه التعليقات فيما بعد من المواد ما يصلح لادراجه في كتاب جديد ، أو يرى أحد أصدقائه فيها ما يفيده فينقل عنها ، ومثل هذا التقييد العام للمعلومات التي لها علاقة باختصاص المؤلف كان عادة شائعة فيما

---

(٣٤) ديوان أبي نواس ١١٦/١-١١٧.

(٣٥) الذخيرة ٦٠/٢/١.

(٣٦) تتمة اليتيمة ١٩٠/١.

(٣٧) يتيمة الدهر ١٠٦/١.

يبدو ، حتى ان بعض المؤلفين كان يعمد الى تسجيل ما يروقه على ظهور الكتب ، ومن أمثلة هذا ما نراه في قول المسعودي : «وعرض على المهدي يوما دفاتر خزائن الكتب فاذا على ظهر كتاب منها هذه الأبيات ...»[٣٨]، وشبيه به ما نجده عند الثعالبي اذ يذكر في ترجمة الشيخ أبي الفتح البكتمري أنه وجد على ظهر دفتر عراقي الخط بيتين منسوبين الى هذا الشاعر[٣٩]، وكذلك نرى السراج الوراق ينقل في كتابه بيتين وجدهما على ظهر كتاب من الكتب[٤٠]، مما يدل على أن تسجيل المؤلفين القدامى للمعلومات العامة على ما يمتلكون من كتب كان شائعا عندهم . وفي بعض الحالات نستطيع معرفة هذه التعليقات وكونها آراء يبديها المؤلف في كتاب يطالعه ويسجلها على حواشيه ، وقد يجمع بعضهم هذه التعليقات ويكون منها كتابا ، كما نلاحظ هذا عند ابن أبي الحديد اذ يذكر أنه قرأ كتاب المثل السائر لابن الأثير ، وكان أثناء قراءته إياه يسجل على حواشي الكتاب ما يخالف ابن الأثير فيه من آراء ، ثم جمع هذه التعليقات فكونت له كتابه «الفلك الدائر»[٤١].

والنوع الأخير من أنواع المصادر المكتوبة التي اعتمدها المؤلفون القدامى يتمثل في الرسائل المتبادلة فيما بينهم ، هذه الرسائل التي يصبح مضمونها فيما بعد مادة ضمن مواد كتبهم التي يؤلفونها . واستعمال الرسائل لهذا الغرض ، كان - فيما يبدو - مقتصراً على العلماء المتباعدين في المسكن ، ومن ثم كان كل منهم يرسل الى الآخر ما يستجد لديه أو يسأله عنه صاحبه من معلومات تتعلق بكتاب يؤلفه . ونرى هذا واضحا منذ القرن الثالث للهجرة ، ففي مجالس ثعلب نرى النص التالي : «وقال أبو العباس : بعث بهذه الأبيات الى المازني وقال : وأنشدني الأصمعي ...»[٤٢]، وواضح أن المؤلف يدون في كتابه

---

٣٨) مروج الذهب ١٠٦/٤.

(٣٩) تنظر : يتيمة الدهر ١٢١/١.

(٤٠) ينظر : مصارع العشاق ١٢٢/٢.

(٤١) ينظر : الفلك الدائر ٣٤-٣٥.

(٤٢) مجالس ثعلب ١٤٧/١.

أبياتاً رآها في رسالة بعثها أحد العلماء اليه ، ويشبهه في هذا ابن الجراح اذ يذكر في ترجمة الخريمي من كتابه الورقة النص التالي : «وكتب الي الكراني قال : حدثني الجاحظ قال : قيل لاسحاق بن حسان الخريمي : مديحك لأبي الهيذام ، وعثمان بن عمارة ... أجود من تأبينك اياهم ...»[٤٣]. وهو هنا يعتمد ما جاء في رسالة وصلت اليه في كتابة مادة من مواد ترجمة الشاعر ، وشبيه به أبو الطيب اللغوي في قوله : «ومما كتب الي أبو روق الهزاني البصري قال : أخبرنا الرياشي عن ابن مناذر قال : قال أبو عمرو ...»[٤٤]. وكثير من الأخبار والأشعار التي يوردها أبو الفرج الأصفهاني في تراجم الشعراء الجاهليين والاسلاميين ينص في بدايتها على أنها كانت مرسلة اليه من أبي خليفة الجمحي ، وهي مما يرويه عن خاله محمد بن سلام الجمحي[٤٥]. وكل هذا يؤكد اعتماد المؤلفين القدامى للرسائل المتبادلة فيما بينهم مصدرا من مصادر دراستهم

ولهذه المراسلات العلمية شكل آخر يتمثل فيما يرسله أصدقاء المؤلف من معلومات حينما يعرفون عزمه على تأليف كتاب يرون أن لديهم من المعلومات ما يتعلق به . ومن أمثلة هذا ما يذكره ابن الأبار في ترجمة ابن بشكوال اذ يقول : «وألف خمسين تأليفا في انواع مختلفة أجلها كتاب الصلة .... وكان أبو الفضل بن عياض وأبو محمد الرشاطي وناهيك بهما يكاتبانه بما يعثران عليه ويفيدانه بما يقع اليهما من أسماء الرجال والرواة غربا وشرقا فاتسعت فائدته وعظمت منفعته ...»[٤٦]. وقد يقوم بعض المؤلفين حينما يبدأ بتأليف كتاب متعدد الجوانب بمراسلة علماء الأقاليم الأخرى ليفيدوه بما يتعلق ببلدانهم من معلومات يجهلها أو لا يستطيع الحصول عليها بنفسه ، ومن أمثلة هذا ما ينقله الغبريني عن أحمد بن محمد القرشي الغرناطي أحد مؤلفي المغرب من أنه عزم على تأليف

---

(٤٣) الورقة ١١٠.

(٤٤) مراتب النحويين ١٤.

(٤٥) ينظر على سبيل المثال : الأغاني ١٣/٥٨-٥٩.

(٤٦) التكملة لكتاب الصلة ١/٣٠٦.

كتاب في المصنفين المعاصرين له من أهل المشرق والمغرب ، ولما كانت أخبار أهل المشرق بعيدة عن متناول يده «كتب الى بلاد المشرق للتطلع على ذلك وبذل في ذلك وسعه»[٤٧].

(٢)
وسائل العلم بالأصول
(التعرف على المصادر)

باستعراضنا السابق لأنواع المصادر من تحريرية وشفهية رأينا بعض المؤلفين يعمد الى مساءلة العلماء ورواة الأدب للحصول على ما يريد من نصوص أدبية تدخل في موضوع كتاب له يؤلفه . وهذه المساءلات ان قدمت الى المؤلفين النصوص التي تفيدهم في دراستهم فانها من جانب آخر يمكن أن تدل على أن اتباعها كان طريقة من طرق معرفة المصادر والاهتداء اليها ، اذ أن المؤلف كان يلجأ اليها لمعرفة شيء فاته من مصادر دراسته ونصوصها ، ومن هنا كانت هذه المساءلات طريقة من طرق جمع المعلومات ومعرفة المصادر عند القدامى .

وهذه الطريقة لم تكن الطريقة الوحيدة لمعرفة المصادر ولم يكن اتباعها يسيراً على المؤلفين جميعاً ، وخصوصاً بعد أن كثرت المؤلفات الأدبية وأصبح الالمام بها ومعرفتها أمرا عسيراً ان بقي المؤلفون يحاولون معرفتها عن طريق المساءلة ، ومن هنا وجدت طريقة علمية مهمة لمعرفة المصادر والارشاد اليها عند القدامى ، وهي طريقة الفهرسة .

ومعروف أن هذه الطريقة توفر على الباحثين كثيراً من الجهد الذي يبذلونه ، اذ أنها بما تحتويه من معلومات عن الكتب وموضوعاتها ترشد الباحثين

---

(٤٧) عنوان الدراية ٣٤٧.

الى مصادر دراستهم وتعرفهم بها . ويبدو أن واضعي الفهارس من المؤلفين القدامى انطلقوا من هذه الفكرة في وضعهم لكتب الفهرسة ، ودليلنا على هذا ما يقوله ابن النديم في كتابه : «قد قلنا في أول هذه المقالة إنّا لا نستحسن أن نطبق الشعراء لأنه قد تقدمنا من العلماء والأدباء من فعل ذلك ، وانما غرضنا أن نورد أسماء الشعراء ومقدار حجم شعر كل شاعر منهم ، سيما المحدثين ، والتفاوت الذي يقع في اشعارهم ليعرف الذي يريد جمع الكتب والأشعار ذلك ويكون على بصيرة منه ..»[٤٨]، وقول طاش كبرى زاده : «واعلم أن تحصيل العلوم لما لم يكن الا بتصورها اسما ورسما وموضوعا ونفعا أحببنا أن نبين في هذه الرسالة المذكورة في كل علم أصلاً وفرعاً ونبين أسماء الكتب المؤلفة فيها واسماء مؤلفيها ليكون عونا على تحصيل العلوم وترغيباً في طلبها وارشاداً الى طرق تحصيلها ...»[٤٩].

وواضح من النصين السابقين أن وضع هذين الفهرسين كان يرمي الى ارشاد المؤلفين الى المصادر التي تفيدهم في موضوع دراستهم ، ويؤيد هذا أن هذين الفهرسين وما شابههما من كتب احتوت على معلومات عديدة تسهم في تأدية الغرض العلمي الذي وضعت من أجله ، فابن النديم مثلا لا يكتفي بذكر اسم الكتاب واسم المؤلف والترجمة لبعض المؤلفين ترجمة قصيرة ، بل يذهب أيضا الى تحديد حجم الكتاب والورقة وما فيها من أسطر ، وقد ذكر هذا بقوله : «فاذا قلنا ان شعر فلان عشر ورقات فانا انما عنينا بالورقة أن تكون سليمانية ومقدار ما فيها عشرون سطراً أعني في صفحة الورقة ، فليعمل على ذلك في جميع ما ذكرته»[٥٠]. ويذهب طاش كبرى زاده الى ذكر معلومات مفصلة عن المؤلفين زيادة على المعلومات التي يقدمها عن الكتب ، والسبب في هذا كما يقول : «أما ذكر المصنفات فللتنبيه على مراتبها وجلالة قدرها والتفاوت بين تلك الكتب ، وفي ذلك ارشاد للطالب الى تحصيلها وتعريف له بما يعتمده

---

(٤٨) الفهرست ١٨١.

(٤٩) مفتاح السعادة ٧٣/١.

(٥٠) الفهرست ١٨١.

فيها ... وأما ذكر مؤلفيها فمنها معرفة مناقبهم وأحوالهم ... ومنها مراتبهم وأعصارهم فينزلون منازلهم ... ومنها أن يكون العمل بقول أعلمهم وأروعهم اذا تعارضت أقوالهم في ذلك ..»[٥١].

والفهارس التي عرفها التأليف الأدبي نوعان ، النوع الأول : فهارس الكتب وهي الفهارس التي تصنف الكتب حسب موضوعاتها ، والنوع الثاني : فهارس المؤلفين وهي الفهارس التي ترتب حسب أسماء المؤلفين ويدرج تحت اسم كل مؤلف ما وضعه من الكتب[٥٢].

كانت فهارس الكتب تعنى بذكر الكتب المعروفة في كل نوع من أنواع العلوم مرتبة حسب موضوعاتها ، وأقدم كتاب وصل إلينا من هذا النوع ، كتاب الفهرست لابن النديم ، وقد قسمه مؤلفه الى عشر مقالات حسب العلوم الشائعة في عصره ، وهو يدرج في كل مقالة أسماء الكتب ومؤلفيها ويذكر نبذة يسيرة في تراجم المؤلفين المشهورين ، ويشبهه في هذا كتاب فهرسة ابن خير الاشبيلي اذ تدرج فيه الكتب بصورة عامة حسب موضوعاتها مع اهتمام خاص بالمؤلفين المشهورين وذكر ما ألفوه أو نقلوه من الكتب ، ويشبههما كتاب مفتاح السعادة في توزيع الكتب حسب موضوعاتها وعلومها وان اختلف معهما في توزيع العلوم وتسميتها . وهناك فهارس أخرى خصصت لذكر الكتب الأجنبية فقط ، اذ يذكر الحصري فهرساً خاصاً بكتب العجم[٥٣].

ونستطيع أن نعد ضمن فهارس الكتب الفهارس التي خصصت لذكر

---

(٥١) مفتاح السعادة ٧٣/١.

(٥٢) ووجد عند المؤرخين وعلماء الحديث نوع ثالث من أنواع الفهرسة هو فهارس الشيوخ يذكر فيها اسماء الشيوخ المعتمدين في الرواية ونوعية العلوم التي يجيدون تدريسها وروايتها . وهذه الفهارس تأتي كثيراً بأسم «المعاجم» و «المشيخة» (ينظر : الاعلان بالتوبيخ ٢٣٧) . وقد تسمى هذه الفهارس عند الاندلسيين والمغاربة باسم «البرامج» ومفردها برنامج (ينظر : الاحاطة في أخبار غرناطة ١٨/١ . عنوان الدراية ٢١٨-٢١٩ ، ٣٥٥) . وهذه الفهارس كثيرة متعددة وصل الينا منها ما ذكره الغبريني في كتابه عنوان الدراية من أسماء شيوخه (ينظر : عنوان الدراية ٣٥٥-٤٠٠) وكتاب لابن الأبار القضاعي اسمه المعجم في أصحاب القاضي الصدفي . واحتفظت المصادر بأسماء كثير منها . ينظر على سبيل المثال : الرجال للنجائي ٦٢ . فهرسة ابن خير ٤٣٣ . التكملة لكتاب الصلة ٣١٦/١-٣١٧ . ٢٦٣-٢٦٤ . الاعلان بالتوبيخ ٢٣٧ وما بعدها .

(٥٣) جمع الجواهر ٩٥.

مؤلفات مؤلف واحد فقط ، وقد وجد هذا النوع منذ القرن الثالث للهجرة إذ عد القدامى ما ذكره الجاحظ في بداية كتابه الحيوان من أسماء كتبه ضربا من ضروب الفهرسة[٥٤]. ولأبي علي القالي فهرس لكتبه التي ألفها ذكره ابن خير الاشبيلي[٥٥]، كما ذكر ياقوت فهرساً لكتب الشريف المرتضى[٥٦]، وفهرساً لكتب أبي العلاء المعري[٥٧]، هذا الى جانب فهارس من هذا النوع كانت خاصة بالمؤلفين الأجانب ، ومنها ما يذكره ابن النديم من وضع حنين بن اسحاق فهرساً لكتب جالينوس[٥٨]. ومن الواضح أن هذه الفهارس كانت خاصة بالمؤلفين المكثرين ، وكانت كثرة كتبهم هي السبب في وضع فهارس لها حسب موضوعاتها[٥٩]. ولهذا رأينا أن هذا النوع من الفهارس أقرب الى فهارس الكتب منه الى فهارس المؤلفين .

والقسم الثاني من أقسام الفهرسة العامة هو فهارس المؤلفين ، وهذا القسم يشبه القسم السابق في الغاية التي وجد من أجلها ، وهي ارشاد الباحثين الى مصادر دراستهم ، كما انه في الوقت نفسه يفيد دارسي الشخصيات اذ يُذْكَرُ المؤلفون في هذه الفهارس حسب التسلسل الهجائي لأسمائهم ثم يذكر في ترجمة كل مؤلف ما له من الكتب .

ويبدو أن الاتجاه الى وضع هذه الفهارس كان منذ القرن الثالث للهجرة اذ إن أول فهرس من هذا النوع هو كتاب المؤلفين لأحمد بن أبي طاهر الملقب بطيفور[٦٠]، ولعلي بن يوسف القفطي فهرس من هذا النوع اسمه أخبار المصنفين

---

(٥٤) معجم الأدباء ٧٣/٦.

(٥٥) فهرسة ابن خير ٤٣٤.

(٥٦) معجم الأدباء ١٧٣/٥.

(٥٧) نفسه ١٧٩/١. وهذا فيما يختص بالفهارس الموضوعة في كتب المؤلفين في الادب وهناك فهارس أخرى من هذا النوع خصصت لكتب العلماء الآخرين ، منها فهرس كتب الشيخ المفيد (ذكر في الفهرست للطوسي ١٨٦) وفهرس كتب علي بن محمد العدوي الشمشاطي (ذكر في الرجال للنجاشي ٢٠٢) وفهرس كتب الرازي (الفهرست لابن النديم ٣٥٧) وفهرس كتب البيروني (معجم الأدباء ٣١١/٦).

(٥٨) الفهرست لابن النديم ٣٤٨.

(٥٩) نقل ياقوت في معجم الأدباء الفهرس الكامل لكتب أبي العلاء المعري ، ويتضح منه أن الكتب فيه مرتبة حسب موضوعاتها (ينظر : معجم الأدباء ١٧٩/١-١٨٩).

(٦٠) ينظر : الفهرست لابن النديم ١٦٣ .

وما صنفوه[٦١].

ولعلنا بعد هذا ندرك أي مدى من المنهجية وصل اليه المؤلفون القدامى بوضعهم لهذه الكتب العديدة في الفهرسة اذا تذكرنا أن الدارسين المحدثين نصوا على أهمية هذه العملية وربطوا بينها وبين التقدم العلمي في البحث وفي هذا يقول لانجلوا : «فلنقل اذن ان تقدم البحث في التاريخ يتوقف شيء كبير منه على تقدم العمل في ثبت عام بالوثائق التاريخية وهو عمل لا يزال حتى اليوم موزعا ناقصا ..»[٦٢].

(٣)

جمع الأصول

بعد أن يحدد المؤلف مصادر دراسته يقوم بالتفكير في كيفية جمعها وتهيئتها ليتمكن من نقل ما يفيده من معلومات منها ، وقد عرف المؤلفون القدامى هذه الفكرة وكانت - كما يبدو - قاعدة من قواعد البحث والتأليف عندهم . والنصوص التي تدل على هذا كثيرة منها ما ينقل عن المرزباني من أنه لما صنف كتابه معجم الشعراء جمع دواوين قريب من ألف شاعر[٦٣]، وما ينقل عن الصاحب بن عباد من أنه لما صنف كتابه في الوقف والابتداء «كان ذلك في عنفوان شبابه فأرسل اليه أبو بكر الأنباري وقال : انما صنفت كتاب الوقف والابتداء بعد أن نظرت في سبعين كتاباً يتعلق بهذا العلم ، فكيف صنفت هذا الكتاب مع حداثة سنك ؟ فقال الصاحب للرسول : قل للشيخ : نظرت في النيف والسبعين التي نظرت فيها ونظرت في كتابك أيضا ..»[٦٤]. ولهذا أصبح

(٦١) ينظر : معجم الأدباء ٤٨٣/٥ . وللعلماء الاخرين من غير الأدباء فهارس من هذا النوع منها كتاب الرجال للنجاشي وقد خصصه لذكر علماء الشيعة ومالهم من الكتب . ويشبهه في هذا كتاب الفهرست للطوسي . ومعالم العلماء لابن شهراشوب . وكتاب الرجال لابن داود الحلي . وقد وصلت الينا هذه الكتب جميعاً .

(٦٢) النقد التاريخي ٤٢ .

(٦٣) الابانة ٢٣ .

(٦٤) نزهة الألباء ٢٤٠ .

عدم توفر المصادر الأساسية للبحث وسيلة لاعتذار المؤلف عما يظهر في كتابه من زلل ونقص كما نرى هذا عند عبد الواحد المراكشي في قوله : «هذا مع أني اعتذر الى مولانا فسح الله في مدته من تقصيران وقع بثلاثة أوجه من الأعذار ، فأولها : ضعف عبارة المملوك ،... والوجه الثاني أنه لم يصحبني من كتب هذا الشأن شيء أعتمد عليه وأجعله مستنداً كما جرت عادة المصنفين ..»[٦٥]، وفي قوله هذا اشارة صريحة الى أن جمع المصادر قبل التأليف كان منهجاً يتبعه المؤلفون .

ولجمع المصادر طرق عديدة استقرت أصولها عند المتأخرين ممن كتبوا في صنعة التأليف مما يشير الى أن هذه الأصول مرت بمراحل عديدة من التجارب لدى المؤلفين حتى استقرت بالشكل الذي نراها به في الكتب المتأخرة .

يقول ابن جماعة : «ينبغي لطالب العلم أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج اليها ما أمكنه شراء والا فاجارة أو عارية لأنها آلة التحصيل ... واذا أمكن تحصيلها شراء لم يشتغل بنسخها ، ولا ينبغي أن يشتغل بدوام النسخ الا فيما يتعذر عليه تحصيله لعدم ثمنه أو أجرة استنساخه ... ، ولا يستعير كتاباً مع امكان شرائه أو اجارته ...»[٦٦].

وواضح من هذا النص أن جمع المصادر يتم بطرق أربع : الشراء والاجارة والاستعارة والاستنساخ ، وتتفاضل هذه الطرق فيما بينها ، ففي المرتبة الأولى منها الشراء ثم الاجارة ثم الاستعارة ثم الاستنساخ .

وفي أخبار المؤلفين وما احتفظت به المصادر القديمة مما يتعلق بهذا الموضوع اشارات ونصوص عديدة تؤكد كلها لجوء المؤلفين القدامى الى هذه الطرق في جمع المصادر ما عدا طريقة واحدة هي الاجارة ، اذ إننا لم نجد النص عليها واضحا عند المؤلفين[٦٧].

---

(٦٥) المعجب ٣ .

(٦٦) تذكرة السامع والمتكلم ١٦٤-١٦٧ ، وينظر : المعيد ١٣٠ .

(٦٧) الاجارة من الوجهة اللغوية هي الأجرة ، وهي ما أعطي من أجر في عمل (اللسان - أجر

الشراء

كان شراء المصادر أول وأفضل طريقة لجمعها عند القدامى ، وفي أخبار المؤلفين والعلماء كثير من النصوص الدالة على اتباعهم هذه الطريقة تتمثل في انفاقهم الأموال الطائلة على شراء الكتب كما تتمثل في الأخبار العديدة التي تصادفنا عن المكتبات الخاصة بالمؤلفين وضخامتها .

يقول أبو نعيم الأصبهاني في ترجمة أحمد بن مهدي بن رستم أحد علماء القرن الثالث : «صاحب الكتب والأصول الصحاح ، أنفق عليها نحواً من ثلاثمائة ألف درهم ...»[٦٨]، وينقل الخطيب البغدادي عن أحد الرواة قوله في أبي الفرج الأصفهاني : «كان يدخل سوق الوراقين وهي عامرة والدكاكين مملوءة بالكتب فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها الى بيته ثم تكون رواياته كلها منها ...»[٦٩]. وكان مسلك هذين العاملين في شراء الكتب جزءاً من مسلك عام اعتاد عليه المؤلفون القدامى ، فكان منهم من يضطر الى اقتراض المال ان عدمه في سبيل شراء ما يراه مهماً من الكتب والأصول ، ومن نماذج هذا الاتجاه ما نراه في قول ابن الفرضي متحدثا عن داوود بن عيسى : «... من أهل قرطبة ، وكان رحل الى المشرق فاجتمع مع بَقِيّ بن مخلد ، وكان بقيّ لا مال له وكان داوود واسع المال ، فسأله بقيّ أن يتيح له من ماله ما يشتري به الكتب ويجمع به الدواوين ... فأجابه داوود الى ذلك فكان سبب استكثار بقيّ من الرواية والجمع ...»[٧٠]. كما كان منهم من يرحل الى الأقطار البعيدة في سبيل جمع ما يحتاج اليه من الكتب المهمة ، ومن النصوص الدالة على هذا

معناها الاصطلاحي فلم نجد له بياناً في غير المجال الفقهي . جاء في دستور العلماء : «الإجارة بالكسر فعالة من أجر يؤجر ... وفي الشرع عقد على المنافع بعوض هو مال ، أي بيع نفع معلوم جنساً وقدراً بعوض مالي أو نفع من غير جنس المعقود عليه ، كسكنى دار بركوب دابة ، ولا يجوز بسكنى دار أخرى (دستور العلماء ٣٨/١) .

(٦٨) أخبار أصبهان ٨٥/١ .

(٦٩) تاريخ بغداد ٣٩٩/١١ .

(٧٠) تاريخ علماء الأندلس ١٤٣/١ .

قول ابن بشكوال في ترجمة سلمة بن سعيد الأنصاري : «ساق سلمة بن سعيد شيخنا من المشرق ثمانية عشر حملاً مشدودة من كتب ، وسافر من أستجة الى المشرق واتخذ مصر موئلاً واضطرب في المشرق سنين كثيرة ... فكلما اجتمع من ذلك مقدار صالح نهض به الى مصر ثم انزعج بالجميع الى الأندلس ... وكانت في كل فن من العلم ولم يتم له ذلك الا بمال كثير حمله الى المشرق»[٧١].

ويبدو أن المؤلفين القدامى في شرائهم للكتب والمصادر الأساسية كانوا يحرصون على اقتناء الجيد منها ، اذ يقول ابن النديم متحدثاً عن أبي الفرج الأصفهاني : «وأكثر تعويله كان في تصنيعه على الكتب المنسوبة الخطوط وغيرها من الأصول الجياد ...»[٧٢]، ولهذا وجد فيهم المتخصصون في معرفة الكتب ومن يحتكم اليه في معرفة جيدها ، كما نرى هذا في قول ابن الأبار : «محمد بن يحيى الواثقي من أهل قرطبة ، كان اديباً كاتباً جماعاً لدفاتر العلم من لدن صباه منتقياً لكرائمها بصيراً بخيارها عارفاً بخطوطها ، يحتكم اليه في ذلك ...»[٧٣].

ومن الأسس التي وضعوها لشراء الكتب ضرورة فحص الكتاب وتفتيشه قبل شرائه ويتضح هذا في قول ابن جماعة فيما يذكره من وصايا لطالب العلم : «واذا اشترى كتاباً تعهد أوله وآخره ووسطه وترتيب أبوابه وكراريسه ... واعتبر صحته وما يغلب على الظن صحته اذا ضاق الزمان عن تفتيشه ..»[٧٤]. وواضح أن القدامى في اهتمامهم بهذه الطريقة من طرق جمع المصادر وعدهم اياها أفضل الطرق في هذا المجال ، يسبقون الدارسين المحدثين لمنهج البحث في هذه المسألة[٧٥].

الاستعارة

كانت استعارة الكتب عند القدامى على نوعين ، الأول : الاستعارة من

---

(٧١) الصلة ١/٢٢-٢٢ .

(٧٢) الفهرست ١٢٨ .

(٧٣) التكملة لكتاب الصلة ١/٣٨٧ .

(٧٤) تذكرة السامع والمتكلم ١٧٢-١٧٣ .

(٧٥) يقول الدكتور علي جواد الطاهر : «اذا كان بامكانك أن تقتني المصادر المهمة لمكتبتك الخاصة فذلك خير كبير لحاجتك اللازمة اليها ... واذا استطعت أن تملك الى ذلك مرجعاً عاماً أعانك ذلك كثيراً (منهج البحث الأدبي ٨٥)» .

خزائن الكتب العامة ، والثاني : الاستعارة من خزائن الكتب الخاصة .

والاستعارة من خزائن الكتب العامة كانت سهلة ميسورة على طالبيها كما يبدو ، اذ إن كثيراً من هذه الخزائن العامة كان لها فهرس تفصيلي بأسماء كتبها ، مما يدل على أنه وضع دليلاً لمن يريد الاستعارة . ومن نماذج هذه الفهارس التفصيلية لكتب الخزائن العامة ما يذكره ابن الأبار في وصف خزانة الكتب بقصر بني مروان في عصر الحكم المستنصر ، اذ ينقل عن أحدهم قوله : «ان عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها الا ذكر أسماء الدواوين فقط ..»[٧٦].

ولم تكن هذه الفهارس هي الدليل الوحيد لمن يروم الاستعارة فهناك دليل آخر لمستعيري الكتب من المكتبات العامة يظهر فيما يصادفنا كثيراً من تعيين بعض المؤلفين للمكتبة التي توجد فيها كتب معينة يسمونها ، والنصوص الدالة على هذا كثيرة منها ما يذكره الباخرزي في ترجمة أبي الحسن البصري فيقول : «وأنشدني الشيخ أبو عامر الجرجاني له ، قال : وله شعر كثير ورأيت ديوان شعره في خزانة عميد الملك في مجلدتين ..»[٧٧]، ويقول ابن خلكان في ترجمة البهاء السنجاري : «وشعره كثير في أيدي الناس يوجد قصائد ومقاطيع ولم أقف له على ديوان ... ثم وجدت له في خزانة كتب التربة الأشرفية بدمشق ديواناً في مجلد كبير ..»[٧٨]. ويقول الفيروزابادي في ترجمة أبي المعالي محمد بن تميم بن مكي : «امام متضلع في اللغة ، له كتاب المنتهى منه نسخة في البشيرية ببغداد في ثمانية عشر مجلدا ..»[٧٩].

وهناك بعض النصوص التي ينص فيها المؤلفون على استعارتهم للكتب التي يعينوها في المكتبات العامة من مثل قول الثعالبي في ترجمة أبي الحسن الغويري :

---

(٧٦) الحلة السيراء ٢٠٣/١ . وذكر ابن سعيد المغربي أن كل فهرس منها عشرون ورقة (انظر : المغرب - قسم الاندلس - ١٨١/١) .

(٧٧) دمية القصر ٣٣٣/١ .

(٧٨) وفيات الأعيان ٢١٤/١ .

(٧٩) البلغة ٢١٣ .

«وكانت في خزانة الأمير أبي الفضل عبيدالله بن أحمد مجلدة ضخمة من شعر الغويري بخطه ، فاستعرتها واجتمعت أنا وأبو نصر سهل بن المرزبان على اخراج ما هو شرط كتابي هذا منها ...»[٨٠]، وقول ابن سعيد المغربي في ترجمة أحمد بن خالد الصريفيني : «نقلت من كتاب اخذته من خزانة الصاحب الكبير كمال الدين بن أبي جرادة ... أنه روى عن عبيدالله بن سليمان ...»[٨١]. والمؤلفين القدامى باشاراتهم هذه الى مكان بعض الكتب المهمة انما يقومون بارشاد المؤلفين الى هذه الكتب وتقصير سبل استعارتها عليهم ، اذ لا يخفى أن تعيين الكتاب في مكتبة معينة يرشد المؤلفين اليه بسهولة .

وللنقل من الكتاب المستعار في المكتبة العامة تعليمات ذكرها ابن جماعة بقوله في جملة ما ذكره من آداب طالب العلم : «فاذا كان الكتاب وقفا على من ينتفع به ... فلا بأس بالنسخ منه مع الاحتياط ... واذا نسخ منه باذن صاحبه أو ناظره فلا يكتب منه والقرطاس في بطنه أو على كتابته ...»[٨٢].

والاستعارة من الاشخاص أو المكتبات الخاصة هي النوع الثاني من أنواع الاستعارة عند القدامى ، وكان هذا النوع شائعاً معروفاً عندهم وله شروطه الخاصة به ، فقد حبذوا اعارة الكتب لطالبيها ، وفي هذا يقول ابن جماعة : «يستحب اعارة الكتب لمن لا ضرر عليه فيها ممن لا ضرر منه بها ، وكره قوم عاريتها والأول أولى لما فيه من الاعانة على العلم ..»[٨٣]، وواضح من هذا القول أنه يحبذ اعارة الكتب لمن يرغب في استعارتها ، وقد سلك بعض العلماء طريقة الاختبار لمن يريد الاستعارة للتأكد من أهليته للكتاب وعدم اخلاله به ، وفي هذا يقول الخطيب البغدادي : «قال بعض الأدباء : البخل بالعلم على غير أهله قضاء لحقه ، وكان بعض أهل العلم اذا أتاه رجل يستفيد منه علما أو يستعير منه كتابا امتحنه ، فان وجده أهلاً له أعاره والا منعه ، وكان اذا أراد

---

(٨٠) يتيمة الدهر ٣/٣٤٠ .

(٨١) المغرب (مصر) ٣٤٨ .

(٨٢) تذكرة السامع والمتكلم ١٦٩ .

(٨٣) نفسه ١٦٧ . وينظر : المعيد ١٣٠ .

أن يعيره وعده ورده فان عاد اليه ولم يضجر أعاره ، وان لم يعد كفي أمره . وكان يقول : لا تعر كتاب علم من ليس من أهله ، واعتبار ذلك بأن تستقريه الكتاب الذي طلبه ، فان قرأه قراءة صحيحة فهو من أهله ، وان لم يحسن قراءته فليس من أهله فلا تعره ..»[٨٤].

ووضعوا لهذا النوع من الاستعارة شروطاً وتعليمات عديدة منها : ان كثيراً منهم كانوا يطلبون رهناً مقابل الكتاب المستعار ، وفي هذا يقول السمعاني في حديثه عن اعارة الكتب : «وبعضهم استحسن أخذ الرهون عليها من الأصدقاء»[٨٥]، وينقل عن احد العلماء قوله : «طلبت من ابراهيم بن ميمون الصائغ كتاباً فقال لي : هات رهناً ، قال : فدفعت اليه مصحفاً رهناً»[٨٦]. ومن تعليمات هذا النوع من الاستعارة أيضاً ما نصوا عليه من ضرورة عدم ابطاء المستعير برد الكتاب[٨٧]، وعدم تصرفه به واصلاح أخطائه أو الكتابة فيه الا باذن صاحبه ، وفي هذا يقول ابن جماعة : «وينبغي للمستعير أن يشكر للمعير ذلك ويجزيه خيراً ولا يجوز أن يصلحه بغير اذن صاحبه ولا يحشيه ولا يكتب شيئاً في بياض فواتحه أو خواتمه الا اذا علم رضا صاحبه ولا ينسخ منه بغير اذن صاحبه»[٨٨].

الاستنساخ

يُلْجَأُ الى الاستنساخ حين يعدم المؤلف الوسيلة الى الطريقتين السابقتين (الشراء والاستعارة) . وهو يعني قيام المؤلف باستنساخ قصائد أو رسائل لأديب ينوي الكتابة عنه مما يراه عند أحد أصدقائه أو في مكان عام من أماكن الثقافة ، كما نرى هذا عند الثعالبي اذ يذكر في ترجمة السرى الرفاء أنه جمع الى جانب ديوان الشاعر لمعاً أنشده وأنسخه اياها أبو بكر الخوارزمي[٨٩]، وشبيه

---

(٨٤) تقييد العلم ١٤٦ .

(٨٥) أدب الاملاء والاستملاء ١٧٨ .

(٨٦) نفسه ١٧٨-١٧٩ .

(٨٧) ينظر : أدب الاملاء والاستملاء ١٧٦ . تذكرة السامع ١٧٨ . المعيد ١٣١ .

(٨٨) تذكرة السامع ١٦٨-١٦٩ .

(٨٩) ينظر : يتيمة الدهر ١١٩/٢ .

به ما يذكره العماد الأصفهاني في ترجمة يحيى بن سلامة الحصكفي من أنه وقع اليه بمصر قطعة كبيرة من شعر هذا الشاعر ورسائله فاستنسخها[٩٠].

وقد يقوم بعض المؤلفين باستنساخ كتب كاملة مما يصادفهم في المكتبات ويرون فيه فائدة وفي وجوده عندهم أهمية وضرورة ، كما يظهر هذا في قول المحسن التنوخي : «كان أبو خليفة صديقاً لأبي وعمي منذ وفد الى كور الأهواز في فتنة الزنج ، فلما قدمت البصرة قدمتها مع أبي فأنزلنا أبو خليفة داره وأكرمنا ومكنني من كتبه ، فكنت أقرأ عليه كل ما أريد وأسمع كيف شئت وأحب ، وأكتب وأنسخ لنفسي أصوله ...»[٩١]. ويشبهه في هذا ابن سعيد المغربي اذ يذكر أن أحد الأدباء مكنه من خزائن كتبه ولم يبخل عليه بشيء منها[٩٢]. ويبدو أن بعض المؤلفين كان يعتمد هذه الطريقة كثيرا ويكون مكتبة كبيرة بوساطتها ، ومن أمثلة هذا ما يذكره ابن بشكوال في ترجمة أحمد بن محمد الأموي اذ يقول : «وكان قد جمع من الكتب كثيراً في كل فن وكانت جلها بخط يده»[٩٣]، وما يذكره في ترجمة أديب آخر من أنه كان له ستة من الوراقين ينسخون له دائما «وكان اذا علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه للابتياع منه ... فان قدر على ابتياعه ، وإلا انتسخه ورده عليه»[٩٤].

---

(٩٠) ينظر : خريدة القصر (شام) ٤٩٤/٢ .

(٩١) نشوار المحاضرة ٢٨٩/٣ .

(٩٢) ينظر : المغرب (قاهرة) ٣٢٢ .

(٩٣) الصلة ٢٧/١ .

(٩٤) نفسه ٢٩٨/١-٢٩٩ .

الفصل الرابع

التحصيل
(جمع المعلومات ونقلها عن المصادر)

سبق أن رأينا فيما ذكرناه من صفات للباحث أن المؤلفين القدامى عدوا من هذه الصفات صفة سموها التحصيل ، وقد دلت هذه الصفة من الوجهة اللغوية على الجمع عموماً في حين دلت من الوجهة الاصطلاحية على جمع مواد العلم . ومعناها الاصطلاحي هذا يمكن أن تدخل ضمنه عملية جمع المعلومات من المصادر ، إذ ان المعلومات التي يجمعها المؤلف هي جزء من مواد العلم التي أطلق على جمعها اسم التحصيل . وهناك نصوص عديدة تؤيد هذا وتدل على أن مصطلح التحصيل . أطلق على عملية جمع المعلومات . منها ما يقوله الباخرزي في احدى تراجم كتابه : «وكنت عثرت بنبذ من أشعاره فصرفت وجه الهمة الى تحصيل أخوات لها في القيمة»[1]، وواضح أنه يعني بالتحصيل هنا عملية تتبع المعلومات والنصوص الخاصة بالشاعر الذي يترجم له ونقلها من المصادر المختلفة ، ويشبهه في استعمال التحصيل بهذا المعنى ياقوت الحموي في

---

(١) دمية القصر ٣٢٦/١ .

قوله متحدثا عن كتابه معجم الأدباء : «واعلم أنني لو أعطيت حمر النعم وسودها ومقانب الملوك وبنودها لما سرني أن ينسب هذا الكتاب الى سواي ، وأن يفوز بقصب سبقه الاي ، لما قاسيت في تحصيله من المشقة ... فانني علم الله أني لم أقف على باب أحد من العالم اجتديه ، ولا أحصر عدد ما وقفت على الأبواب للفوائد فيه ...»[٢]. وكلمة التحصيل هنا تدل صراحة على سعي المؤلف لجمع مواد كتابه من مصادرها المختلفة ، وشبيه بمدلولها هذا ما نراه في قول الصفدي متحدثاً عن أحد العلماء : «سمع الحديث الكثير في صباه وحصل أكثر مسموعاته وكتبها بخطه وكتب كثيراً من دواوين المحدثين وكتب الأدب»[٣].

ولكل هذا رأينا أن نسمي عملية جمع المعلومات المختلفة بالتحصيل استناداً الى أقوال القدامى أنفسهم ، ونحن بهذا نخالف الدكتور أسد رستم الذي سمى هذه العملية بالتقميش[٤] استناداً الى قول وجده لأبي حاتم الرازي يقول فيه : اذا كتبت فقمش واذا حدثت ففتش»[٥]، ومن ثم ذهب الدكتور رستم الى القول : «فاحياء لذكرى الرازي واعترافاً بجهود المحدثين وفضلهم في علم التاريخ نرى من الواجب أن نسمي أولى خطوات المؤرخ المدقق المنقب ، التقميش»[٦].

ولا نستطيع الأخذ بهذا الرأي واعتماد هذا المصطلح الذي اقترحه الدكتور رستم ، ذلك أن لفظة التقميش لم تصبح مصطلحاً علمياً عند القدامى ، فقد وردت هذه اللفظة عند الرازي فقط ولم نجد أحداً من القدامى يذكرها بمعنى علمي أو يشير اليها ، ومن ثم فهي لم تصل الى درجة المصطلح ولم تصلح له .

---

(٢) معجم الأدباء ١١/١ .

(٣) الوافي بالوفيات ١٤٧/٤ .

(٤)يلاحظ أن الدكتور أسد رستم يطلق مصطلح التقميش على عمليتي جمع المصادر وجمع المعلومات منها ، كما يبدو هذا واضحاً في الباب الاول من كتابه مصطلح التاريخ .

(٥) ورد هذا القول في مقدمة ابن الصلاح ٢٥٣ .

(٦)مصطلح التاريخ ٣ ، ووافقته ثريا ملحس في استعمال هذا المصطلح في كتابها منهج البحوث العلمية ص ٨٣ .

هذا اضافة الى أنه من المحتمل أن الرازي نفسه حينما استعمل هذه اللفظة لم يستعملها وفي ذهنه أنها ذات مدلول اصطلاحي ، اذ من الممكن أنه استعملها بمعناها اللغوي ، فقد ذكر اللغويون ان «القمش جمع الشيء من هنا وههنا وكذلك االتقميش»، ونقل عن الليث أن القمش «جمع القماش وهو ما كان على الأرض من فتات الأشياء»[٧]، ومن هذه التفسيرات اللغوية نرى أن هذه الكلمة تدل على الجمع عموماً ، أما لفظة التحصيل فقد لاحظنا أنها دلت اصطلاحياً على جمع مواد العلم وجمع مواد الكتاب الواحد وارتبطت بالحديث عن التأليف ، ومن ثم تكون ذات طابع علمي خاص بهذه العملية يجيز لنا استعمالها مصطلحا خاصا بجمع المعلومات ونقلها عن المصادر .

(١)

جمع المعلومات

يبدو أن المؤلفين القدامى كانوا يقومون بعملية جمع المعلومات من المصادر بعد أن يحددوا موضوعاتهم ويحددوا خطوطها العامة ، وبعد أن تتهيأ لهم معرفة مصادر دراستهم على أساس هذا التحديد ، ومن ثم كانوا يجمعون من المعلومات ما له علاقة بالموضوع الذي حددوه لكتبهم . فهم بعد ان يقرأوا كتاباً معيناً أو يسمعوا أخباراً ونصوصاً أدبية شفاها يختارون منها ما كان ذا علاقة بالموضوع الذي حددوه لكتبهم والخطة العامة التي رسموها له .

والنصوص التي تؤيد هذه الفكرة عديدة ، منها ما يقوله أبو الفرج الأصفهاني في ترجمة عريب المغنية : «ونسخت ما أذكره من أخبارها فأنسبه الى ابن المعتز من كتاب دفعه الي محمد بن ابراهيم الحرامي المعروف بقريض ، وأخبرني أن عبد الله بن المعتز دفعه اليه من جمعه وتأليفه ، فذكرت منها ما استحسنته من احاديثها اذ كان فيه حشو كثير وأضفت اليه ما سمعته ووقع الي غير مسموع مجموعاً ومتفرقاً ..»[٨]. وواضح من كلام أبي الفرج هذا أنه تهيأت

---

(٧) لسان العرب (قمش) .

(٨) الاغاني ٢١/٥٩ .

له مصادر عديدة متعلقة بأخبار هذه الترجمة التي يكتبها ، الا أنه لم ينقل كل ما جاء في هذه المصادر بل اختار منها ما استحسنه وترك ما رأى فيه حشواً أو كلاماً زائداً لا علاقة له بما يراه داخلاً ضمن هذه الترجمة حسب ما يريد أن يكتبها هو ، وشبيه بهذا قوله أيضاً في أخبار شارية : «أخبرني بخبرها محمد بن ابراهيم قريض : أن ابن المعتز دفع اليه كتابه الذي ألفه في أخباره ... فنسخت ما كان يصلح لهذا الكتاب على شرطي فيه وأضفت اليه ما وجدته من أخبارها عن غيره في الكتب وسمعته أنا عمن رويته عنه ..»[٩] وهو في كلامه هذا ينص على أنه نقل من مصادر هذه الترجمة ما كان يصلح لكتابه ، أي أنه كان يقرأ الكتاب المدون ويجمع ما يسمعه شفاها ثم يختار وينقل من المعلومات ما كان ذا علاقة بموضوعه حسب الخطة العامة التي حددها له . وهناك كثير من النصوص الأخرى التي تدل على أن المؤلفين القدامى عندما كانوا يقرأون كتابا له علاقة بما يؤلفون يختارون منه وينقلون عنه ما يرون فيه ميزة فنية خاصة وما يرونه ملائماً للخطة العامة التي وضعوها لكتبهم ، من مثل قول أبي حيان التوحيدي : «قال الشاعر كشاجم في كتاب النديم ونقلت محاسنه ...»[١٠]، وقوله : «ونقلت محاسنه» دليل على أن المؤلف اختار من هذا الكتاب ما رآه ملائماً ومناسباً ولم ينقل عنه اعتباطاً وكيفما اتفق ، وشبيه به قول الثعالبي في ترجمة أبي الخطاب محمد بن علي الجبلي : «هو حي يرزق ، وشعره عذب متناسب ، ومدح الشيخ أبا بكر القهستاني ... وأعطاه ديوان شعره بخطه فشاركني في فوائده كعادته في غيره ، فاخترت منها قوله ..»[١١]، وقول ابن بسام : «وشعر ابن الحداد كثير ولا يفي بشرط هذا الكتاب الا ما كتبت منه ..»[١٢]، وواضح في قوله هذا أن كثرة أشعار الشاعر هي التي أفسحت المجال للمؤلف في اختيار ما اختار من شعره مما يناسب خطته في كتابه وما اشترطه

(٩) نفسه ٤/١٦ .

(١٠) البصائر والذخائر ٤٩٤/٣ .

(١١) تتمة اليتيمة ٨٧/١ .

(١٢) الذخيرة ٢٣٥/٢/١ .

على نفسه من نوعية النماذج التي يدونها في الكتاب . ويقول الباخرزي في ترجمة أبي الفرج علي بن الحسين الكرجي : «رأيت له ديوان شعر كبير الحجم فاخترت منه هذه الأبيات على حد عجلة مني وانا مستوفز لبعض نهضاتي ... ولم أتفرغ الى أن أمعن النظر في قصائده فالتقط شذوراً من قلائده ...»[١٣]. وكلامه هذا صريح في أنه اعتاد على قراءة الدواوين والكتب والنظر فيها واختيار ما يلائم موضوعه ، ولم يتهيأ له هذا في ديوان هذا الشاعر بسبب عجلته ، ومن ثم نبه على ذلك شعوراً منه بأنه خالف القاعدة العامة في اختيار المعلومات ونقلها عن المصادر .

ولم يقتصر هذا الاتجاه في الاختيار على النقل عن المصادر المدونة من كتب ودواوين شعرية ، بل اتبعه القدامى في النقل عن المصادر الشفهية أيضا ، فكانوا يجمعون من المعلومات التي يحصلون عليها شفاهاً ما كانوا يرونه صالحاً ومناسباً لما يريدون تدوينه . يقول أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي متحدثاً عن كتابه الغريب المصنف : «مكثت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة وربما كنت استفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من الكتاب ، فأبيت ساهراً فرحاً مني بتلك الفائدة ..»[١٤]، وواضح أن المؤلف عندما كان يجمع المواد اللغوية من أفواه الرواة والعلماء كان يلتقط ما كان منها ذا علاقة بكتابه حسب خطته التي رسمها له بدليل قوله انه كان يضع هذه الفوائد في موضعها من الكتاب . ويقول ابن المعتز في ترجمة أبي العبر الهاشمي : «وله عجائب كثيرة في هذا الشأن لا حاجة بنا الى استقصائها اذ كان لا نفع فيها ، وانما أحببنا ألا نترك شيئاً مما ذكره أحد مدح في هذه الدولة خليفة وذكر في الشعراء ، وكفى ما أوردناه من شعره ونوادره ..»[١٥]، وكلامه واضح في أنه لم يدون ولم ينقل كل ما سمع من أخبار هذا الشاعر وأشعاره ، وأنما اختار منها ما

---

(١٣) دمية القصر ٥٦٩/١ - ٥٧١ .

(١٤) تاريخ بغداد ٤٠٧/١٢

(١٥) طبقات الشعراء ٣٤٣ .

يصلح لكتابه هذا واكتفى به . ويقول الآمدي : «وأنا الآن أذكر ما غلط فيه أبو تمام من المعاني والالفاظ ما أخذته من أفواه الرجال وأهل العلم بالشعر عند المذاكرة والمفاوضة ومما استخرجته أنا من ذلك ..»[16]. وواضح أن الآمدي لم يأخذ عن العلماء والرواة غير ما يتعلق بموضوع معين أراد الكتابة فيه وهو أخطاء أبي تمام ولم ينقل عنهم كل شيء مما يتعلق بهذا الشاعر . وشبيه به قول الثعالبي في ترجمة القاضي أبي القاسم عالي بن علي الشيرازي : «وكنت اقتبست من نوره واستمليت منه أبياتاً في نهاية الحسن واعددتها لهذا الكتاب ..»[17]. وواضح من كلامه هذا أنه كان يدون ما يسمعه شفاهاً مما يتعلق بموضوع كتابه هذا منذ أن بدأ بالتفكير فيه . وكل هذا وما سبقه من نصوص يؤكد أن القدامى لم يكونوا ليجمعوا من المعلومات كل ما يصادفهم ، بل كانوا في هذه المرحلة من مراحل البحث يجمعون ما لاءم موضوعاتهم من معلومات بعد مطالعة المصادر ذات العلاقة بموضوعهم أو سماع العلماء في مجالسهم .

واتجاه المؤلفين القدامى هذا لم يكن عاما في جمع المعلومات التي تتعلق بموضوعاتهم . اذ يتضح من النصوص السابقة أنهم كانوا يختارون النصوص ذات القيمة الفنية والأخبار ذات الدلالة القوية مما يرونه مناسباً للخطة العامة لكتبهم ، ويبدو أنهم كانوا يقومون بهذا في حالة توفر نصوص وأخبار كثيرة تتعلق بموضوع معين من موضوعات كتبهم ، ومن ثم يكون مجال الاختيار واسعاً أمامهم بسبب كثرة هذه النصوص التي يصادفونها ، فان كانت النصوص التي يصادفونها عن بعض الموضوعات قليلة وشحيحة رأيناهم يتجهون اتجاهاً آخر يخالف ما سبق ، وهو جمع كل ما يصادفونه عن هذه الموضوعات دونما محاولة لاختيار الأحسن والأول من هذه النصوص والأخبار . والنصوص التي تؤكد هذه الفكرة عديدة منها ما يقوله الثعالبي في الباب التاسع من كتابه اليتيمة والذي عنونه بـ «في ملح أهل الشام ومصر والمغرب ..» اذ يقول : «هذا باب

---

(١٦) الموازنة ١٣٦/١ .

(١٧) تتمة اليتيمة ٧٦/٢ .

كسرته على غرر تلقفتها من أفواه الرواة وتطرقتها أثناء التعليقات ولم أجد لأصحابها أشعاراً مجموعة ينفسح لي طريق الاختيار منها ، وانما هي تفاريق تلتقي أطرافها وتجتمع حواشيها ولن تعدم القلائد فيها بحمد الله ..»[18]. وهو في كلامه هذا يؤكد أنه جمع من أخبار هؤلاء الشعراء وأشعارهم كل ما صادفه ولم يختر لهم اختياراً بسبب شحة المعلومات التي تهيأت له عنهم ، وهذه الشحة في المعلومات هي التي حملته- كما يبدو- على جمع هؤلاء الشعراء العديدين في باب واحد في حين كان يخصص للشعراء المشهورين والمعروفين باباً مستقلاً لكل منهم أو لكل مجموعة قليلة منهم .

ويؤكد هذه الفكرة نفسها العماد الأصفهاني في ترجمته لابن منير الطرابلسي اذ يقول : «ومحاسن أبي الحسن بن منير منيرة وفضائله كثيرة وقد أوردت منها ما قلب في قالب الظرف وظرفه ... ولم يتفق لي ديوانه لأختار مختاره وأمتار مشتاره ... وانما التقطت أعلاقه من أفواه المنشدين وسأثبت ان ظفرت بديوان شعره كل ما يصدع به فجر فخره ..»[19]. وفي عبارته الأخيرة يشير الى أنه دون ونقل كل شيء سمعه من الرواة من أشعار هذا الشاعر ، والسبب في هذا كما يقول هو وينص عليه يرجع الى أن ديوان هذا الشاعر لم يتهيأ له ، وهو بهذا يؤكد الفكرة التي قلناها سابقاً من أن جمع المؤلفين القدامى لكل ما يتعلق بموضوعاتهم جمعاً عاماً بلا اختيار كان مرده الى شحة المعلومات التي تتعلق بمادة من مواد كتبهم التي يؤلفونها مما يحملهم على هذا النوع من الجمع خشية قلة الشواهد لديهم حينما يبدأون بكتابة الموضوع . ولهذا نرى كثيراً منهم يظلون في حالة تتبع مستمر للنصوص العديدة الكثيرة التي تتعلق بهذه الموضوعات حتى بعد تدوين كتبهم ، فان كان هناك شاعر تشح أخباره وأشعاره عندهم بسبب عدم تمكنهم من الحصول على ديوانه ، كتبوا ما عرفوه عنه وظلوا يسألون عن ديوانه ويبحثون عنه ليكون لهم في المستقبل فرصة للاختيار من اشعاره حينما يفكرون في كتابة الموضوع مجددا ، والنصوص الدالة على هذا كثيرة تشير كلها

---

(١٨) يتيمة الدهر ٣٠٠/١ .

(١٩) خريدة القصر (شام) ٧٨/١ .

الى تتبع المؤلفين لدواوين الشعراء التي لم يتمكنوا من الحصول عليها أو رؤيتها عند تأليفهم الكتاب ، من مثل قول الثعالبي في ترجمة سيدوك الواسطي : «شعره يروى حين يروى ، ويحفظ حين يلحظ غير أن الذي وقع الي منه قليل ... وديوان شعره ضالتي المنشودة ...»[٢٠]، وشبيه به ما يقوله العماد الأصفهاني في ترجمة سراج بن أحمد الكاتب : «هذا الفاضل لم يقع الي من شعره شيء لكني أحببت ذكره باثبات ما قيل فيه وشهادة ذلك على قدره النبيه ، وان سمح الدهر الضنين بعد هذا بشيء من فوائده اغتنمت اثباته ...»[٢١].

واذا كان في هذا الذي قدمناه ما يدل على تفكير منهجي سليم في جمع المعلومات ونقلها عن المصادر ، فانه لا يعني أن المؤلفين القدامى كانوا جميعا يتجهون مثل هذا الاتجاه المنهجي في جمع المعلومات . فقد وجد فيهم من كان يجمع جمعاً عاماً بلا تحديد لموضوع معين ، من مثل ما نراه في قول أبي حيان التوحيدي : «قال أحمد بن الطيب : كان الكندي يقول لي كثيراً : انسخ كل ما تجده مكتوباً اذا اتسعت لك الجدة وامتد بك الزمان فان ما تكتب به أسود من دفتر خير منه أبيض ..»[٢٢]، وواضح ما بهذا القول من ايصاء بضرورة نقل كل شيء وكتابته سواء أكان للمؤلف علاقة به أم لا . ويبدو أن بعض المؤلفين كان يعمد الى هذا ، فابن قتيبة مثلاً يذكر في مقدمة كتابه عيون الأخبار أنه ألف هذا الكتاب لخدمة الأدباء والكتاب بصورة خاصة ، وقد قام بجمع مواد كثيرة من مصادر مختلفة حينما فكر في كتابة هذا الموضوع ، ثم أنه لما قام بتقسيم هذه المواد وتصنيفها وجدها تنقسم الى عدة كتب ، جمع قسما منها في كتابه عيون الأخبار ثم أفرد من هذه المواد نفسها كتبا أربعة متميزة[٢٣]، وهذا

---

(٢٠)يتيمة الدهر ٣٧٢/٢ ، وشبيه بهذا ما ورد في تراجم عديدة من الكتاب ، ينظر على سبيل المثال : ٣٨٠/٢ ، ٣٧٢/٣ ، ١٤٢/٤ .

(٢١) خريدة القصر (مغرب) ٣٤٩/١ - ٣٥٠ .

(٢٢) البصائر والذخائر ٢٤٣/٢ .

(٢٣) ينظر : عيون الأخبار ١/ن .

يدل على أنه في جمعه للمعلومات كان يجمع جمعاً عاماً دون تحديدها بموضوع معين مما يشير الى أنه كان يسجل كل ما كان يصادفه من معلومات دون أن يكون في ذهنه خطة معينة للموضوع ، ويشبهه في هذا ابن ابي الاصبع المصري الذي يتحدث عن كتابه بديع القرآن فيقول : «كتاب بديع القرآن الذي هو تتمة للاعجاز المترجم ببيان البرهان أفردته عن كتاب هو وظيفة عمري وثمرة اشتغالي في ابان شبيبتي ومباحثي في أوان شيخوختي مع كل من لقيته من عقلاء العلماء وأذكياء الفضلاء ونبلاء البلغاء في علم البيان وكل من له عناية بتدبر القرآن ونظر ثاقب في نقد جواهر الكلام ...»[٢٤]، وكلامه هذا واضح أيضا في أنه جمع كثيراً من المواد مما يتعلق بموضوع عام بشكل كون له كتابين كاملين ، مما يدل على أنه لم يكن يحدد جمعه بموضوع معين . ونحسب أن مثل هذا الاتجاه الى الجمع العام غير المحدد هو الذي أوجد لنا بعض الكتب المتأخرة التي تتسم بطابع الموسوعية وعدم الاقتصار على موضوع معين ، وهي كتب معروفة لا حاجة الى تعدادها .

هذه بعض النصوص التي تشير الى فكرة النقل عن المصادر عند القدامى ، ولا يخفى ان ايضاح هذه الفكرة يستدعي تبيان مسألة أخرى في هذا المجال وهي ما يتعلق بالنص المنقول عن المصدر ونوعية نقله .

والذي يتضح من خلال ما تناثر في الكتب القديمة أن المؤلفين القدامى عرفوا نوعين من أنواع نقل النص مما نعرفه الآن ، وهما نقل النص حرفياً ونقله ملخصاً . فالنقل الحرفي أو النقل بالنص يصادفنا في كثير من الكتب القديمة اذ نجد بعض المؤلفين يشير الى أن ما ينقله هو لفظ المؤلف السابق نفسه . ومن النصوص الدالة على هذا ما يقوله أبو المفرج الأصفهاني في ترجمة هلال بن الأسعر المازني : «قال أبو عمرو : وكان هلال فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش ، اكثر الناس أكلاً وأعظمهم في حرب غناء ، هذا لفظ أبي

---

(٢٤) بديع القران ٣ - ٤ .

عمرو ..»[25]. وشبيه به قول علي بن حمزة البصري : «وأنشد أبو العباس للنمر بن تولب :

يسر الفتى طول السلامة والبقا فكيف ترى طول السلامة يفعل

ثم فسر فقال : فقصر البقاء ضرورة ، والشاعر اذا اضطر فله أن يقصر الممدود ... هذا نص قول ابي العباس ...»[26]. ويقول ابن خلكان في ترجمة الفتح بن خاقان : «وقال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه الذي سماه (المطرب من أشعار أهل المغرب) : اني لقيت جماعة من أصحابه فحدثوني عنه بتصانيفه وعجائبه ... هذا كله لفظه والله أعلم بالصواب ...»[27].

ومعروف أن نقل النص حرفياً يستدعي بالضرورة موقفاً معيناً من الناقل ازاء النص الذي ينقله في حالة شكه فيه أو رؤيته أخطاءً واردة في هذا النص ، وللمؤلفين القدامى ثلاثة مواقف في هذه المسألة :

الأول هو اثبات النص كما هو ثم التنبيه على شك المؤلف في صحته أو جزمه بخطأه ، ويكتب مثل هذا التنبيه خلال النص المنقول أو بعده . ففي كتاب الأغاني نرى النص التالي : «أخبرني الحسن قال : حدثني محمد قال : حدثني الخراز عن المدائني عن علي بن حماد - هكذا قال ، وأظنه علي بن مجاهد - قال ...»[28]، وواضح أن المؤلف يشك في اسم من أسماء سلسلة السند الا أنه لايجزم بصحته بل يكتفي بالظن ، ونراه يتخذ الموقف نفسه في حالة ورود ألفاظ في النص المنقول يشك فيها هو ، كما نرى هذا في قوله : «وأخبرني بهذا الخبر الحرمي قال : حدثني الزبير قال : حدثني أبو حرملة منظور بن أبي عدي الفزاري .... قال : خرجت قافلاً من السلع الى نجد حتى اذا كنت ببعض أهضام الحرة (هكذا في نسختي وأظنه هضاب الحرة) رفع لي بيت كالطراف ...»[29]. وفي أحيان أخرى نرى المؤلف يثبت النص كما هو ثم يجزم

---

(٢٥) الأغاني ٥٠٢/٣ .

(٢٦) التنبيهات على أغاليط الرواة ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢٧) وفيات الأعيان ٢٤/٤ . وينظر : منهاج البلغاء ٦٩ ففيه شبيه بما تقدم .

(٢٨) الأغاني ٢٨٧/٨ .

(٢٩) نفسه ٣٢٨/٢ .

بخطأ بعض عباراته أو ألفاظه ، كما نرى هذا في قوله : «أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا أبو مسلم الغفاري قال :... أخذ ابن سيحان الجسري - هكذا قال وهو غلط - في شراب في امارة مروان ..»[٣٠]. والمؤلف هنا ينص على خطأ لفظة في النص الذي ينقله الا أنه لا يبين لنا صوابها ولا يحاول تغييرها .

والموقف الثاني الذي نلاحظه عند بعض المؤلفين - ويبدو أنه كان على نطاق ضيق - يتمثل في التصرف بالنصوص المنقولة وعدم ابقائها كما هي . ومن أمثلة هذا ما نراه في كتاب الخريدة في ترجمة الغزي اذ يقول : «وقوله أيضاً في الشمع :

اني لأشكو خطوباً لا أعينها
ليبرأ الناس من لومي ومن عذلي
كالشمع يبكي ولا يدري ، أعبرته
من صحبة النار أم من فرقة العسل

روى بعضهم : من حرقة النار أو من فرقة العسل ، محافظة على التجنيس اللفظي وأنا أرويه : من صحبة النار للتطبيق المعنوي ...»[٣١]. والذي يتضح من عبارة المؤلف الأخيرة أن الرواة والمؤلف أيضاً يروون هذا الشعر بشكل يجعله ملائماً لبعض الفنون البديعة ، وكأنهم بهذا يتصرفون بالنصوص لتقديم شواهد أدبية لبعض الفنون البديعية التي يميلون اليها ، والا لأثبت المؤلف النص كما سمعه من الرواة ولما تصرف به بهذا الشكل .

أما الموقف الثالث فلا يختلف عما يفعله الدارسون المحدثون ، وهو يتمثل بوضع رمز خاص فوق أو تحت الكلمة المشكوك فيها ، وهذا الرمز هو كلمة (كذا) ، وقد اتبع المؤلفون القدامى هذه الطريقة منذ القرن الثالث . ففي كتاب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف وفي معرض الحديث عن التصحيفات الواردة في نوادر ابن الاعرابي نرى النص التالي : «قال محمد : وحضرت أبا

---

(٣٠) نفسه ٢٥٤/٢ - ٢٥٥ .

(٣١) خريدة القصر (الشام) ٧/١ .

العباس يقرأ عليه هذه النوادر فر هذا الحرف : بلغ في لحيته الشيب ، بالغين المعجمة ، فقال لمن قرأ عليه : اكتب تحته كذا قال ابن الأعرابي ، قال : فما قال غيره ؟ قال : دع ما قال غيره ، واكتب تحته كذا قال ..»[٣٢]. وواضح من هذا النص أن أبا العباس ثعلباً هو الذي أوصى من قرأ عليه نوادر ابن الاعرابي بوضع عبارة «كذا قال» تحت الكلمة المشكوك بصحتها . واستعمال عبارة «كذا قال» اتخذ بمرور الزمن تطورا علمياً تمثل في اختصارها الى كلمة «كذا» وحدها مع استعمال بعض الرموز الأخرى في التصحيحات التي تجري على النص المنقول ، مما نراه عند المتأخرين يتخذ شكل قاعدة عامة من قواعد الكتابة ، كما نرى هذا عند ابن جماعة في قوله : «وينبغي أن يكتب على ما صححه وضبطه في الكتاب وهو في محل شك عند مطالعته أو تطرق احتمال : ح صغيرة ويكتب فوق ما يقع في التصنيف وهو خطأ : كذا صغيرة ، ويكتب في الحاشية : صوابه كذا ان كان يتحققه والا فليعلم عليه ضبة وهو رأس صاد تكتب فوق الكتابة غير متصلة بها ،فاذا تحققه بعد ذلك وكان المكتوب صوابا زاد تلك الصاد حاء فتصير (صح) ..»[٣٣].

والنقل بالمعنى أو تلخيص فكرة النص الوارد في كتاب سابق ، هو النوع الثاني من أنواع النقل عن المصادر عند القدامى ، ونراهم في هذا النوع يقدمون للفكرة المنقولة بكلام يشير الى أنها فكرة ملخصة عن مصدر أو عدة مصادر سابقة ، من مثل قول ابن رشيق القيرواني في باب سماه بتنقل الشعر بين القبائل : «ذكر أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي في كتاب الطبقات وغيره من المؤلفين أن الشعر كان في الجاهلية في ربيعة فكان منهم مهلهل بن ربيعة واسمه عدي وقيل امرؤ القيس ....»[٣٤]. وقوله في موضع آخر : «وذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاج اختلاف الناس في ألقاب الشعر فحكى عن الخليل شيئاً أخذت به اختصاراً وتقليداً لأنه أول من وضع علم

---

(٣٢) شرح ما يقع فيه التصحيف ١٥٠ .

(٣٣) تذكرة السامع والمتكلم ١٨٢ .

(٣٤) العمدة ٨٦/١ .

العروض وفتحه للناس ...»[٣٥]، ومن الواضح في هذا النص أن المؤلف، يشير صراحة الى تلخيصه لفكرة واردة في مصدر سابق ، ويشبهه في هذا وان كان أدق منه ، ابن ظافر الأزدي في قوله : «عن أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني مما أورده في كتاب الذخيرة ما هذا معناه واللفظ لي : ان المعتمد على الله أبا القاسم محمد بن عباد ... جلس يوما للشرب في وقت مطر ....»[٣٦] ويلاحظ أن المؤلف قبل أن يورد النص يشير صراحة الى أن اللفظ له والمعنى لصاحب النص الأصلي ، وفي هذا أنموذج دقيق من أنموذجات النقل بالمعنى ، يشبهه فيه ابن خلكان في قوله : «قال ابن الأنباري : فقال العلامة الزمخشري : روى عن النبي ﷺ أنه لما قدم زيد الخيل قال له : يازيد ماوصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الاسلام الا رأيته دون ما وصف لي غيرك .... وهذا الكلام وان لم يكن عين كلام ابن الأنباري فهو في معناه لأني لم انقله من الكتاب بل وقفت عليه منذ زمان وعلق معناه بخاطري ، وانما ذكرت هذا لأن الناظر فيه قد يقف على كتاب ابن الأنباري فيجد بين الكلامين اختلافاً فيظن أني تسامحت في النقل ..»[٣٧] وعبارته الأخيرة تدل على تحرج كبير ودقة متناهية في مسألة النقل عن المصادر اذ انه لم يكن ليورد هذا التنبيه لو كان النقل هيناً متسامحا فيه عند القدامى .

ولم يقف تلخيص الفكرة عند النصوص المفردة وحدها لدى المؤلفين القدامى بل اتجه بعضهم الى تلخيص ترجمة مطولة لأديب أو عدة تراجم وأفكار واردة في كتاب آخر من مثل ما نراه في كتاب الخريدة من قوله : «جماعة من شعراء الأندلس العصريين أوردهم ابن بشرون الصقلي المهدوي ونقلته من خطه في مصنفه ..»[٣٨]، ثم يورد كثيرا من التراجم منقولة عن الكتاب المذكور بشكل مختصر . ويشبهه ابن سعيد المغربي اذ يقول في ترجمة الحكم

---

(٣٥) نفسه ١٣٦/١ .

(٣٦) بدائع البدائه ١٠٧ .

(٣٧) وفيات الأعيان ٤٧/٦ .

(٣٨) خريدة القصر (المغرب) ١٤٤/٢ ، وينظر ٣٠٠/٢ - ٣٠١ .

الربضي : «ولي سلطنة الأندلس بعد أبوية ، وتلخيص ترجمته من مقتبس أبن حيان : أمه زخرف أم ولد ، ومولده سنة اربع وخمسين ومائة ....»[٣٩].

وشبيه بهذا التلخيص أيضاً ما نراه في كتاب نهاية الأرب من نصوص وأخبار طويلة في أخبار الغناء والمغنين يقول المؤلف بعدها : «هذا ما أمكن ايراده في هذا الكتاب من أخبار من اشتهر بالغناء وأخبار القيان ، وهو مختصر مما أورده أبو الفرج الأصفهاني رحمه الله تعالى في كتابه المترجم بالأغاني ...»[٤٠].

(٢)

المواد المستعملة في الجمع والنقل عن المصادر

كان المؤلفون القدامى يدونون ما يجمعونه وينقلونه من معلومات عن المصادر المختلفة ليتهيأ لهم فيما بعد دراسة هذه المنقولات المتجمعة لديهم وتأليف كتبهم على أساس ما ورد فيها من معلومات . ومن هنا كان لابد لنا من الوقوف طويلا على كيفية هذا النقل المدون للمعلومات وماهية المواد التي استعملت فيه .

والذي نتبينه من أخبار علماء الحقبة الأولى التي تمتد من أواسط القرن الثاني حتى أوائل القرن الثالث أنهم كانوا يدونون المعلومات التي يحصلون عليها من مختلف المصادر على أوراق كبيرة أو دروج كما سماها بعضهم . ومن الشواهد الدالة على هذا ما يذكر عن الكسائي أنه قال للخليل بن أحمد : «من أين أخذت علمك هذا ؟ فقال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، فخرج ورجع وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ ..»[٤١]. والذي يتضح من هذا النص أن الكسائي كان يدون ما يسمعه

---

(٣٩) المغرب (الأندلس) ٣٨/١ .

(٤٠) نهاية الأرب ١١٦/٥ .

(٤١) تاريخ بغداد ٤٠٤/١١ .

عن الأعراب ، وقد استنفذ منه هذا التدوين كمية كبيرة من الحبر مما يدل على أنه كان ينقل هذه المواد التي يسمعها من أوراق كبيرة وقراطيس حملها معه ، والا لما احتاج الى انفاق مثل هذه الكمية من الحبر . كما ينقل عن الاصمعي أنه كان يكتب كل شيء يسمعه عن الأعراب حتى قال له أحدهم : «أنت حتف الكلمة الشرود»[٤٢]، وغير بعيد أن الأصمعي كان يسجل هذه المرويات والسماعات الكثيرة في أوراق يحملها معه . ويشبهه في هذا أبو عمرو الشيباني اذ ينقل عنه أنه دخل الى البادية «ومعه دستجتان حبراً ، فما خرج حتى أفناهما بكتب سماعه عن العرب»[٤٣]. ومثل هذه الأخبار تدل بوضوح على تدوين المرويات والسماعات في أوراق كان يحملها هؤلاء العلماء معهم . ويشبهها ما ورد من نصوص أخرى يشار فيها الى استعمال القراطيس في كتابة المعلومات المنقولة ، منها ما يذكره الخطيب البغدادي عن المبرد من قوله : «أتى الأصمعيَّ رجلٌ فسأله أن يكتب له شيئاً من العلم فكتبه له ، فلما كان بعد أيام عاد اليه فقال : يا أبا سعيد ان ذلك القرطاس الذي كتبته لي سقط مني ...»[٤٤]، وشبيه به ما يذكره ابن عبد ربه عن ابي جعفر البغدادي من قوله : «... عن أبي عكرمة قال : خرجت يوما الى المسجد الجامع ومعي قرطاس لأكتب فيه بعض ما أستفيده من العلماء ..»[٤٥].

وفي بعض النصوص الأخرى ما يشير الى استعمال اسم خاص لهذه الأوراق الكبيرة التي استعملت في التدوين ، اذ سموها بالدروج ، فقد ذكر القلقشندي أن الدرج هو «الورق المستطيل المركب من عدة أوصال ..»[٤٦]، وسموه بهذا الاسم لأنه كان يطوى بسرعة كما يذكر أبو هلال العسكري[٤٧]، ونجد

---

(٤٢) أخبار النحويين البصريين ٥٢ .

(٤٣)تاريخ بغداد ٣٣١/٦ ، انباه الرواة ٢٢٤/١ . والدستيج آنية تحول باليد وتنقل وهو فارسي معرب (تاج العروس - دستج -) .

(٤٤) تقييد العلم ١٤٧ .

(٤٥) العقد الفريد ٣٨/٦ .

(٤٦) صبح الأعشى ١٣٨/١ .

(٤٧) التلخيص ٧٠٤/٢ .

النص صريحاً على تسمية الدرج واستعماله في نقل المعلومات من خلال خبر يرويه ياقوت عن ابن الأعرابي ، يذكر فيه ان ابن الأعرابي كان يوجه الى اسحاق بن ابراهيم الطاهري كل عام بدرج «فيه من سماعه الاشارات الحسنة واللغة الفصيحة»[٤٨]

وواضح بعد هذا أن القراطيس الكبيرة أو الدروج استخدمت في نقل المرويات وتدوين السماعات في الحقب الأولى للتأليف ، ويبدو أن هذه القراطيس والصحف الكبيرة كانت تضم الى بعضها فتكون ما سموه بالكتاب ، وهو في حقيقة الأمر ، مجموعة من الصحف المحتوية على الأخبار والأشعار مختلط بعضها ببعض دونما تبويب وتنسيق ، ولهذا قالوا عن أبي عمرو بن العلاء ان كتبه التي كتبها عن العرب الفصحاء «قد ملأت بيتاً له الى قريب من السقف»[٤٩]، وواضح أن هذه الكتب لم تكن كتباً بالمفهوم العلمي للكتاب والا لما بلغت مثل هذه الكثرة ، وهذا هو ما يفسر كثرة الكتب التي ينسب تأليفها الى العلماء الأوائل ، فقد ذكروا لأبي الحسن المدائني عدداً كبيراً من الكتب[٥٠]، كما ذكروا أن كتب أبي عبيدة تقارب المائتين[٥١]، وذكر عن ثعلب أنه رأى لاسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب وكلها بسماعه[٥٢]، مما يؤكد ما قلناه سابقاً من أن هذه الكتب كانت مجموعة من المرويات المدونة في الدروج والأوراق الكبيرة .

وتدل الأخبار المبثوثة في كتب الأدب والتراجم على استعمال مادة أخرى من مواد نقل المعلومات وجدت منذ الحقبة الأولى للتأليف واستمرت خلال القرن الثالث وما بعده ، وهذه المادة هي اللوح ، وهو كما يذكر ابن منظور : «كل صفيحة عريضة من صفائح الخشب ..»[٥٣]، وكانت هذه الالواح تصنع من

---

(٤٨) معجم الأدباء ١١١/٦ - ١١٢

(٤٩) البيان والتبين ٣٢١/١

(٥٠) ذكر ياقوت عددا كبيرا منها في كتابه معجم الأدباء ٣١٢/٥ - ٣١٨ .

(٥١) معجم الأدباء ١٧٠/٧

(٥٢) وفيات الأعيان ٢٠٤/١

(٥٣) لسان العرب (لوح)

نوع خاص من انواع الخشب هو الابنوس كما يظهر في بعض النصوص التي يرد فيها ذكر لهذه المادة من مثل ما يذكر عن محمد بن يسير الشاعر من أنه كان يعاشر ولد جعفر بن سليمان ، فأخذ منه قثم بن جعفر ألواح أبنوس كان يكتب فيها بالليل"[٥٤]، وما نراه في كتاب التنبيه على حدوث التصحيف من قوله : «وروى آخر لا بأس أن يصلي الرجل وفي كمه سنورة ، وانما هي سبورة ، وهي الألواح من الابنوس يكتب فيها التذكرات ..»"[٥٥].

وهناك كثير من النصوص التي تشير الى ان استعمال الألواح في نقل المعلومات كان شائعاً لدى طالبي العلم والمؤلفين ، ومن الأدلة على هذا ما يذكره السيرافي عن عيسى بن عمر من قوله : «كنا نمشي مع الحسن ومعنا عبد الله بن ابي اسحاق قال : فقال : حادثوا هذه النفوس فانها طلعة .... وقال : فأخرج عبد الله بن أبي اسحاق ألواحه فكتبها ..»"[٥٦]، وما ينقله الزجاجي عن أحد من قصد الكسائي للتلمذة له من قوله : «.. فدخلت الى مدينة السلام وذلك في خلافة المهدي وكان الكسائي معه في حال رفيعة فقيل لي انه يقعد في كل ثلاثاء ، فأتيته في مسجده الذي يقعد فيه للناس فرأيت عنده غلاماً أشقر ... يسأله ويكتب ما يمله عليه في ألواح معه ...»"[٥٧]، كما ينقل عن أبي عبيدة أنه قال : «اختلفت الى يونس أربعين سنة أملأ في كل يوم ألواحي من حفظه ..»"[٥٨].

وقد استمر استعمال هذه الألواح فيما بعد القرن الثاني والقرن الثالث ، ومن النصوص الدالة على هذا ما ينقل عن الامام احمد بن حنبل من انه لما ودع أبا علي الحسن بن الربيع «قعد معه وأخرج ألواحه وسأله أن يملي عليه

---

(٥٤) الأغاني ٤٧/١٤ .

(٥٥) التنبيه على حدوث التصحيف ٣٤ .

(٥٦) أخبار النحويين البصريين ٦١ .

(٥٧) مجالس العلماء ٢٦٩ .

(٥٨) مراتب النحويين ٢١ .

وفاة ابن المبارك[٥٩]، وما ينقله السراج الوراق عن أحد الرواة من قوله : «أخبرنا الحسن بن جعفر بن سليمان الضبعي قال : كنت لا أكاد أمر في طريق ولا في حاجة الا ومعي ألواح»[٦٠].

والذي يبدو من هذه النصوص أن استعمال الالواح كان مقتصراً على مجالس الدرس والتعليم اذ تنقل فيها المعلومات من هذه المجالس ويستفاد منها للحفظ والمذاكرة ، الا أن استعمال الالواح لم يكن مقتصراً على هذا الغرض وحده ، اذ اننا نرى في جملة الأخبار التي تروى عن بعض العلماء نصاً صريحاً في أنه كان ينقل ما في الالواح الى دفاتره ، أي الى الكتب التي كان يجمعها ثم يقرؤها على طالبي العلم ، وهذا النص هو ما يقوله أبو عبيدة في معاصره كيسان : «كيسان يسمع من الناس فيعي غير ما يسمع ويكتب في الألواح غير ما وعى ، ثم ينقله من الألواح في الدفتر بغير ما كتب ثم يقرأ من الدفتر غير مافيه»[٦١]. ويلاحظ أن أبا عبيدة حينما يتكلم هنا عن معاصره كيسان يتكلم عن عمل طبيعي اعتاد عليه العلماء والمؤلفون ، اذ لو كان صنيع كيسان هذا غريباً لنبه على غرابته ، وهو يتمثل بنقل المعلومات في الالواح ثم نقل ما في الالواح الى الكتب التي تعد للتدريس أو الرواية . ومن ثم كانت هذه المادة الجديدة للنقل وهي الالواح من المواد المستعملة في نقل المعلومات لغرض الافادة منها في تأليف الكتب .

لقد رأينا فيما سبق من نصوص أن العلماء كانوا يحملون مجموعة من هذه الالواح حينما كانوا يذهبون الى مجالس العلم لنقل ما يسمعونه فيها ، ونظن أن من غير المعقول أن تكون هذه الالواح كبيرة ، والا لما تهيأ لحامليها حمل مجموعة منها باستمرار ، والذي نظنه أنها كانت رقيقة وفي مقدار حجم الكف بدليل أن بعضهم كان يحملها في كمه اذ جاء في كتاب التنبيه على حدوث التصحيف : «لابأس أن يصلي الرجل وفي كمه سنورة ، وانما هي سبورة ،

---

(٥٩) الاعلان بالتوبيخ ٨٦ - ٨٧ .

(٦٠) مصارع العشاق ٧٥/٢ .

(٦١) طبقات النحويين واللغويين ١٩٦

وهي الالواح ...»[٦٢] وبعد هذا نستطيع القول بأن استعمال الالواح كان مرحلة ثانية من مراحل تطور مواد نقل المعلومات عن المصادر يتمثل في استعمال القطع الصغيرة الحجم بالقياس الى الأوراق والقراطيس الكبيرة . الا أن هذه المادة - كما لا يخفى - كانت ذات فائدة محدودة تكاد لا تتعدى الفائدة الآنية ، اذ يبدو أن العلماء كانوا يسجلون فيها ما يفيدونه في مجالس العلم ثم حينما يعودون الى منازلهم ينقلون ما سجلوه فيها الى كتبهم أو الى مسودات لكتب يعدونها[٦٣]، وقول أبي عبيدة السابق في كيسان واضح الدلالة على هذا . ومن ثم لم تكن هذه المواد لتفي بحاجة المؤلفين حينما بدأ التأليف الأدبي بالنضج والاكتمال في أواخر القرن الثالث وما بعده ، حيث تصبح الكتب مبوبة منسقة محتوية على موضوعات مختلفة ، حاملة كثيراً من سمات التفكير المنهجي في دراسة النصوص ونقدها وكتابة الكتاب وفق أسس علمية منظمة ، ولهذا كان لابد من ظهور مواد جديدة تفي بحاجة المؤلفين بعد هذا التطور الذي حدث للتأليف الأدبي ، مواد يمكن أن تجمع مع بعضها في مدة زمنية قد تكون طويلة ثم تدرس وتنظم ويؤلف الكتاب مما جاء فيها من معلومات ، ولهذا نرى أنفسنا أمام نوع جديد من التطور يطرأ على هذه المواد المستعملة في النقل يقترب كل القرب مما نستعمله حالياً في جمع المعلومات ونقلها عن المصادر ، وهو يتمثل في استعمال الأوراق الصغيرة التي كانت تستعمل عند القدامى في المعاملات الرسمية والرسائل .

وأسماء هذه الأوراق الصغيرة مختلفة ترجع كلها الى مدلول واحد هو الورقة ذات الحجم الصغير ، واسماؤها هي : الصك ، والرقعة ، والبطاقة ، والجزازة .

فالصك كما يذكر ابن منظور هو «الذي يكتب للعهدة ، وهو فارسي معرب أصله جك»[٦٤]، أي أن الصك يعني الورقة التي كانت تستعمل لابرام العهود

---

(٦٢) التنبيه على حدوث التصحيف ٣٤ .

(٦٣) والسبب في هذا هو أن هذه الألواح كانت تُمسَحُ بعد أن يتم نقل المعلومات المدونة عليها ليتسنى للمؤلف استعمالها من جديد .

(٦٤) لسان العرب (صكك) .

البسيطة أو المعاملات الرسمية الأخرى .

والبطاقة هي الورقة الصغيرة التي تستعمل للمراسلة كما يذكر الكلاعي ، ونراه يقول في حجمها : «واختياري في البطاقة أن تكون نحو الشبر»[٦٥]. ويذكر ابن منظور أن البطاقة هي الرقعة الصغيرة التي في الثوب وفيها رقم ثمنه بلغة مصر «لأنها تشد بطاقة من هدب الثوب»[٦٦]، ومن هذا يتبين لنا ان البطاقة هي الورقة الصغيرة المستعملة للحوائج والرسائل المتبادلة ، وهي تعني الرقعة نفسها .

والرقعة يرد اسمها كثيراً في مراسلات العلماء والأدباء وغيرهم في الكتب القديمة ، كما كانت تستعمل كثيراً في كتابة الشكاوى والحوائج المرفوعة الى أصحاب السلطان ، ومن ثم اقترن اسمها بالقصص التي يقول القلقشندي فيها : «وهي ترفع الى ولاة الأمور بحكاية صورة الحال المتعلقة بتلك الحاجة وسميت قصصاً على سبيل المجاز من حيث أن القصة اسم للمحكي في الورقة لا لنفس الورقة وربما سميت في الزمن القديم رقاعاً لصغر حجمها أخذا من الرقعة في الثوب»[٦٧].

أما الجزازة فهي واحدة الجزاز ، «وجزاز الأديم ما فضل منه وسقط منه اذا قطع»[٦٨]، ويذكر الشريشي أن الجزازات هي القراطيس الصغار[٦٩]، مما يجعلها شبيهة بالرقعة وغيرها من الأوراق الصغار التي سبقت الاشارة اليها .

هذه هي أسماء القطع الصغيرة من الورق التي كانت تستعمل غالباً لأمرين ، الأول : المعاملات الرسمية والحوائج العامة ، والثاني : المراسلات ، ولكن استعمالها لم يكن مقصوراً على هذين الغرضين ، اذ استعملت أيضاً لنقل المعلومات من المصادر منذ أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع للهجرة . ولدينا من النصوص الدالة على هذا كثير ، نرى أنفسنا مضطرين الى عرض

---

(٦٥) احكام صنعة الكلام ٤٧ .

(٦٦) لسان العرب (بطق) .

(٦٧) صبح الأعشى ٢٠٢/٦ .

(٦٨) لسان العرب (جزز) .

(٦٩) شرح مقامات الحريري ٦٦/٣ .

كثير منها لأهمية ما تدل عليه .

يذكر ابن النديم في ترجمة أبي علي أحمد بن اسماعيل الأنباري كاتب عبيدالله بن عبدالله بن طاهر أنه كان بليغاً مترسلاً «وله كتاب سماه المجموع المنقول من الرقاع يحتوي على سماعاته من العلماء وما شاهد من أخبار الجلة»[٧٠]. واسم الكتاب هذا يشير صراحة الى أنه جمعه من مجموعة من الرقاع التي سجل فيها سماعاته عن العلماء ، أي أن المؤلف كان يستعمل الرقاع في نقل ما يستفيده من معلومات في المجالس الأدبية ، ثم ألف كتابه السابق استناداً الى ما جاء في هذه الرقاع من معلومات . ومن هنا كان هذا النص دليلاً أكيداً على استخدام الرقعة في نقل المعلومات منذ القرن الثالث للهجرة ، اذ كان المؤلف المذكور كاتباً لعبيدالله بن عبدالله بن طاهر ، وكانت بينه وبين ابن المعتز مراسلات ومجاوبات كما يذكر ابن النديم[٧١].

ويذكر أبو أحمد العسكري عن أحد معاصريه قوله : «كنا ببغداد والعلماء متوافرون ، وذكر أبا اسحاق الزجاج وأبا موسى الحامض ، وأبا محمد الأنباري والبريدي وغيرهم ، فاختلفوا في اسم شاعر واحد وهو (حريث بن مخفض) وكتبنا أربع رقاع الى أربعة من العلماء فأجاب كل منهم بما يخالف الآخر ..»[٧٢].

والنص واضح الدلالة على أن هؤلاء العلماء وطالبي العلم عندما وجهوا أسئلة الى بعض العلماء وجهوها في رقاع كتبوها لهم ، مما يشير الى أن استعمال هذه المادة في نقل المعلومات كان شائعاً معروفاً في عصرهم وهو القرن الرابع للهجرة .

ومما يثبت استعمال الرقعة لنقل المعلومات في القرن الرابع أيضاً ما يذكره المحسن التنوخي عن المفجع البصري ، اذ يذكر أن المفجع قال بيتين في التعريض بأبي خليفة الجمحي فكتبها عنه بعض أهل الأدب «في رقعة لطيفة وجعلها في مقلمته ..»[٧٣]، وهذا النص يشير صراحة الى أن هذا الأديب كان

(٧٠) الفهرست ١٣٨ .

(٧١) الفهرست ١٣٨ ، وينظر : معجم الأدباء ٣٧٧/١

(٧٢) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٣٧٠

(٧٣) نشوار المحاضرة ٣٩٠/٣ .

متعوداً استعمال الرقاع في نقل ما يفيده من معلومات أدبية ومتعوداً حملها معه باستمرار مع ما يحمله من آلات طلب العلم وأدواته .

وفي القرن الرابع أيضا عرف المؤلفون استعمال الرقاع والصكوك في نقل المعلومات ، وعرفوا اعدادها وترتيبها حسب موضوعات الكتاب العامة قبل الشروع بالكتابة ، اذ يذكر الزبيدي في ترجمة القالي ما نصه : «وألف كتاب البارع في اللغة فبناه على حروف المعجم وجمع فيه كتب اللغة وعزا كل كلمة الى ناقلها من العلماء ... وهو يشتمل على خمسة آلاف ورقة ... وتوفي قبل أن ينقحه فاستخرج بعده من الصكوك والرقاع ..»[٧٤]. والذي يفهم من هذا النص أن كتاب البارع للقالي لم يكمل في حياة مؤلفه أو أن مؤلفه لم يخرجه اخراجاً نهائياً في حياته بل كان بعضه على شكل مسودات ، كما كان بعضه الآخر ما يزال في الصكوك والرقاع ، ويبدو أن المؤلف رتب هذه الصكوك والرقاع ترتيباً سهل على من جاء بعده اخراج الكتاب منها بالشكل النهائي .

ويقول ابن الفرضي في ترجمة ابراهيم بن علي بن محمد الصوفي : «حدثنا عنه سهل بن ابراهيم بصك كتبه لي بخطه ..»[٧٥]، وواضح أن هذا الصك الذي كتبه صديق المؤلف له متضمناً معلومات عن بعض من ترجم لهم أفاد منه المؤلف في تأليف كتابه الى جانب صكوك ورقاع أخرى جمع فيها معلوماته كما يبدو ، والا لما ذكر هذا الصك الذي حصل عليه من صديقه بشكل طبيعي ولرأى فيه شيئاً غريباً ان لم يكن معتاداً على استعمال أمثاله في نقل المعلومات .

ويستمر استعمال الرقعة في نقل المعلومات فيما بعد القرن الرابع بدليل نصوص عديدة تصادفنا في الكتب القديمة مشيرة الى استعمال هذه المادة في النقل ، منها ما يذكره العماد الأصفهاني من أنه قابل الشاعر يحيى بن سالم ابن ابي حصينة بمصر ، فاعطاه رقعة مكتوباً فيها شيء من شعره ، مما أورده العماد

---

(٧٤)طبقات النحويين واللغويين ٢٠٣ - ٢٠٤ . وينظر : فهرسة ابن خير ٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٧٥) تاريخ علماء الاندلس ٢٠/١ - ٢١

فيما بعد في خريدته في ترجمة الشاعر المذكور[٧٦]. اي أن العماد اعتمد على ما في الرقعة عندما شرع بكتابه ترجمة هذا الشاعر ، وكأن الشاعر كان يعرف فيما يبدو حاجة المؤلفين الى استعمال هذه الرقاع ودورها في تيسير نقل المعلومات اليهم ومن ثم كتب شيئاً من شعره في رقعة وسلمه الى مؤلف الخريدة .

وشبيه به ما يذكره ابن الأبار في ترجمة الشاعر عمر بن جامع ، من أنه كتب شعراً له في رقعة ، فوجدها ابن الأبار في جيبه بعد مقتله ونقل ما فيها من شعر في كتابه[٧٧].

ويذكر ياقوت في ترجمة ابن الكوفي ما نصه : «وذكره أبو الحسن محمد بن جعفر التميمي المعروف بابن النجار في كتاب الكوفة من تصنيفه ، قال : ومن أصحاب ثعلب أبو الحسن أحمد بن محمد الكوفي الأسدي الذي خطه اليوم يؤتدم به ، وبيع جزازات كتبه ورقاع سؤالاته العلماء كل رقعة بدرهم ... هكذا قال أحمد بن محمد وأظنه سهواً منه فان ابن الكوفي المشهور بجودة الضبط اسمه بخطه على عدة من كتبه ، وهو علي بن محمد بن عبيد الكوفي الأسدي ..»[٧٨]. ونلاحظ في هذا النص اسماً جديداً من أسماء هذه الأوراق الصغيرة ما زلنا نستعمله حتى الآن وهو الجزازة ، ونلاحظ كذلك أن هذا الاسم الجديد يقترن بالرقعة وكأنهما تدلان على مدلول واحد[٧٩]. ومن الواضح أيضاً في هذا النص أن هذه الرقاع والجزازات كانت تحتوي على مساءلات ابن الكوفي للعلماء ، أي أنه استعملها لنقل المعلومات من المصادر . ويبدو أن هذه الجزازات كانت وسيلة طبيعية لنقل المعلومات من المصادر بدليل أن بعض

---

(٧٦) تنظر : خريدة القصر (مصر) ١٥٧/٢ .

(٧٧) الحلة السيراء ٢٧٥/٢ .

(٧٨) معجم الأدباء ٣٢٦/٢ - ٣٢٧ .

(٧٩) يبدو أن هذه الأسماء من رقعة وصك وبطاقة وجزازة هي أسماء مختلفة لمسمى واحد هو الورقة الصغيرة ، ذلك أننا لم نجد ما يفيد التفريق بينها هيأة وشكلاً عند المؤلفين . اضافة الى أن هذه المسميات تقترن ببعضها في كثير من النصوص وكأنها من المترادفات . كما رأينا في النصوص السابقة . مما يحمل على الظن أن كلا من هذه الأسماء استعمل في أقليم معين دون غيره . ومن ثم وردت جميعا في الكتب الأدبية المختلفة .

المؤلفين يذكرها بشكل طبيعي ولا يعلق عليها بما يشير الى أنها شيء غريب . فياقوت الحموي في ترجمته لأبي الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي يقول : قرأت في جزازة عتيقة أملاها أبو الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي ما صورته ...»[٨٠]، ويقول في موضع آخر : وجدت جزازة من املاء أبي الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي اللغوي ما صورته ..»[٨١]، وواضح من هذين النصين أن هذا العالم الذي يذكره كان يملي على طلبته أو قاصديه من طلبه المعرفة فيسجل عنه بعض هؤلاء في جزازات ، وكانت هذه الجزازات تتنقل بين العلماء والمؤلفين حتى كان ياقوت أحد هؤلاء العلماء الذين اطلعوا عليها أو وصلت اليهم بطريقة ما ، اذ إن قوله في النصين السابقين «قرأت ، وجدت» يشير الى هذا[٨٢].

هذه جملة من النصوص التي تؤكد أن المؤلفين القدامى عرفوا طريقة استعمال الجزازات منذ القرن الثالث للهجرة ، ونحسب أنه من الواضح فيما ورد من نصوص سابقة أن استعمالهم لهذه الجزازات لم يكن مقتصراً على نقل المعلومات فيها ، بل كانوا يسجلون فيها اسم المصدر المنقول عنه اضافة الى تسجيل النص المنقول ، اذ إننا لو عدنا الى ما ذكره الزبيدي عن القالي وجدناه يذكر أن القالي عزا كل كلمة الى قائلها من العلماء ولما كانت هذه الكلمات أو المواد اللغوية منقولة في الصكوك والرقاع ، كان ذكر مصدرها موجوداً أيضاً في هذه الرقاع أو الجزازات ، والا لما تهيأ لمن أخرج الكتاب ذكر مصدر المواد اللغوية التي ذكرها القالي في كتابه . كما أننا اذا رجعنا الى النص الذي يذكره ياقوت عن ابن الكوفي وجدناه يذكر أن جزازات ابن الكوفي سعت بعد وفاته ، ونحسب أن لو لم تكن هذه الجزازات محتوية على

---

(٨٠) معجم الأدباء ٦ ٢١٠٦

(٨١) نفسه ٥/٣٢٧ .

(٨٢) ويبدو إن استعمال الجزازات لم يقتصر على نقل المعلومات فقط . بل استعملها بعض المؤلفين القدامى لكتابة التراجم المختصرة التي تتكون منها فهارس المؤلفين والشيوخ . اذ إن السخاوي في معرض حديثه عن معاجم الشيوخ يقول : «ومعجم السفر للسلفي وهو في مجلد كثير الفوائد بخط محمد بن المنذري . قال عن أبيه الزكي أنه وقع له بخط السلفي في جزازات كل ترجمة في جزازة . فبيضها ورتبها كما نحي لا كما يجب . ولذا لم يسلم ترتيبه كما ينبغي له» (الاعلان بالتوبيخ ٢٢٤) .

نقول كاملة تتمثل في نقل النص وذكر مصدره لكانت عديمة النفع ولما اشتراها العلماء والمؤلفون . ونرى بعد هذا كله أن المؤلفين القدامى عرفوا استعمال الجزازات بالشكل الذي نعرفه الآن اذ استعملوها لنقل المعلومات عن المصادر وكانت كل جزازة تحمل اسم المصدر الذي نقل النص عنه ، ومن ثم يمكننا القول بأنهم سبقوا الدارسين المحدثين في التوصل الى هذه الطريقة العلمية في نقل المعلومات عن المصادر ، ولا شك في أن توصلهم الى معرفة هذه الطريقة العلمية كان نتيجة تفكيرهم العلمي المنظم في البحث ، اذ إن طريقة الجزازات هذه «أكثر من سواها ضبطا ودقة وأيسر في التصنيف وأنفع لدى استعمال المعلومات»[٨٣].

(٨٣) منهج البحث الأدبي ٨٨ . وقد ذهب الدكتور شوقي ضيف الى أن أسلافنا عرفوا نظام الطاقات ، الا أنه قال بهذه الفكرة تخمينا واستنباطا فيما يبدو ، اذ إنه يقول : «ويبدو أن أسلافنا كانوا يعرفون من قديم نظام البطاقات معرفة جيدة . وهل يستطيع الانسان أن يتصور كتابا مثل الحيوان للجاحظ صنف دون استخدام البطاقات في جمع مادته ؟ وكثير من الكتب بعده وخاصة المطولة الواسعة يتضح فيها اثر استخدام البطاقات بلا جدال» (البحث الادبي ٢٦٣ - ٢٦٤) .

الفصل الخامس

التقسيم والتبويب

يبدو أن عملية التقسيم والتبويب عند مؤلفي الكتب الأدبية ذات الموضوعات المتنوعة كانت تتلو عملية جمع المعلومات من المصادر المختلفة[1]. فهم بعد أن يحددوا موضوع الكتاب يبدأون بجمع مادته حسب الموضوع المحدد لديهم ، ثم ينظرون في هذا المجموع فيصنفونه أبواباً وفصولا - أو غيرها من الأقسام العامة والفرعية - حتى تتكون لديهم مجموعات عديدة تشكل الأقسام العامة والفرعية للكتاب ، وبالتالي تتكون لديهم خطة تفصيلية موسعة للموضوع بعد دراسة ما تجمع لديهم من معلومات منقولة عن المصادر المختلفة . ومن أقدم من حدثنا عن نظره في المادة المجموعة ثم توزيعها على أصناف وأقسام بعد هذا

---

(١) أما الكتب ذات الطابع العلمي ككتب اللغة والنحو فهناك بعض النصوص التي تدل على أن مؤلفيها كانوا يضعون خططهم التفصيلية ابتداء قبل عملية الجمع . ومن هذه النصوص قول أبي الطيب اللغوي عن الخليل بن أحمد : «وأبدع الخليل بدائع لم يسبق اليها . فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف في الكتاب المسمى بكتاب العين فانه هو الذي رتب أبوابه وتوفي من قبل أن يحشوه» (مراتب النحويين ٣٠) . وينقل القفطي قولاً لأبي عبيد القاسم بن سلام يقول فيه متحدثا عن كتابه الغريب المصنف : مكثت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة . وربما كنت استفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من الكتاب فابيت ساهراً فرحاً مني بتلك الفائدة» (انباه الرواة ١٦/٣) . وكلامه هذا واضح الدلالة على أنه وضع الخطة العامة لكتابه أولا ثم أخذ يحشوها بالمواد تباعا في مدة زمنية طويلة .

ابن سلام الجمحي في قوله : « ... فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً فألفنا من تشابه شعره منهم الى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات أربعة رهط كل طبقة متكافئين معتدلين»[٢]، ويقدم لنا ابن قتيبة دليلا أوضح مما رأيناه عند ابن سلام في قوله متحدثا عن كتابه عيون الأخبار : «واعلم أنا لم نزل نلتقط هذه الأحاديث في الحداثة والاكتهال عمن هو فوقنا في السن والمعرفة وعن جلسائنا واخواننا وعن كتب الأعاجم وسيرهم وبلاغات الكتاب في فصول من كتبهم ... واني حين قسمت هذه الأخبار والاشعار وصنفتها وجدتها على اختلاف فنونها وكثرة عدد أبوابها تجتمع في عشرة كتب بعد الذي رأيت افراده عنها وهو أربعة كتب متميزة ..»[٣]. وقوله هذا يشير الى أنه نظر فيما تجمع لديه من منقولات ودرسها ثم قسمها تقسيماً عاماً بحيث أخرج منها بعض ما كان جمعه وجعله كتبا مستقلة .

ولم تكن دراسة المادة المتجمعة مرشد المؤلف القديم الى وضع الخطة العامة فقط ، بل كانت مرشده أيضا الى توزيع المواد داخل كل قسم من أقسام الخطة العامة ، ومن أدلة هذا ما نراه في قول ابن الأثير : «واذ حققت القول في بيان المعاظلة والكشف عن حقيقتها فاني أتبع ذلك بتقسيم القسم اللفظي منها ... فأقول : اني تأملته بالاستقراء من الأشعار قديمها ومحدثها ومن النظر في حقيقتها نفسها فوجدتها تنقسم الى خمسة أقسام ..»[٤] .

ولدينا نصوص عديدة تؤكد أن هذه الخطط التي وضعها المؤلفون القدامى كانت خططاً تفصيلية موسعة تشتمل على جوانب الموضوع وتفصيلاته كافة ، وتتمثل هذه النصوص في أقوال عديدة للمؤلفين القدامى يشيرون فيها الى ما سيذكرونه في الأقسام القابلة من كتبهم حينما يتحدثون عن مسألة في الأقسام

---

(٢) طبقات فحول الشعراء ٢٤/١ . وما سبق كتاب ابن سلام من كتب لا مجال للتبويب فيها . أذ انها كانت على العموم اما رسائل قصيرة لا مجال لتبويبها واما مجموعة من المرويات المدونة عن العلماء كانت تملى املاء مما يجعل تبويبها امرا عسيراً .

(٣) عيون الأخبار ١/م - ن .

(٤) المثل السائر ٣٩٨/١ .

المتقدمة ، من مثل قول الجاحظ : «وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب في خطبها المخصرة والقناة والقضيب ... بكلام مستكره سنذكره في الجزء الثاني أن شاء الله ...»[٥]، واشارته هذه الى تفصيل القول في مسألة عرض لها فيما سيتلو من أقسام الكتاب دليل على أنه يعرف مقدما ما سيذكره في هذه الأقسام من مواد وموضوعات ، ولا تتسنى له هذه المعرفة بلا خطة مفصلة كان قد وضعها سابقاً ، ويشبهه في هذا كثير من المؤلفين الذين ترد الاشارة عندهم الى ما سيذكرونه في الأقسام القابلة من كتبهم مما يدل على وضعهم الخطة التفصيلية الموسعة[٦].

والخطة التفصيلية - كما هو معروف - تعني تحديد الأقسام العامة للكتاب ثم تحديد الأقسام الفرعية التي تنقسم اليها هذه الأقسام العامة . وقد سار القدامى في هذا على أساس واحد هو كون كل مجموعة متجانسة من النصوص والأخبار تشكل قسماً خاصاً بها . ومن أدلة هذا ما يقوله أبو الفرج الأصفهاني في ترجمة بشار : «ولبشار أخبار كثيرة ذكرت في عدة مواضع منها أخباره مع عبدة فانها أفردت في بعض شعره فيها الذي غنى فيه المغنون وأخباره مع حماد عجرد في تهاجيهما فانها أيضاً أفردت ، وكذلك أخباره مع أبي هاشم الباهلي ، فانا لم نجمع جميعها في هذا الموضع اذ كان كل صنف منها مستغنياً بنفسه ..»[٧]، وقوله أيضاً في ترجمة ابراهيم الموصلي : «لابراهيم أخبار كثيرة مع خنث المعروفة بذات الخال وكان يهواها ، جعلتها في موضع آخر من هذا الكتاب لأنها منفردة بذاتها مستغنية عن ادخالها في غمار أخباره ..»[٨].

ومما يؤكد اعتمادهم هذا الأساس في التقسيم ما قالوه في نقد بعض المؤلفات التي تخطيء هذا الأساس فتقسم وحدة متجانسة لا داعي لتقسيمها من مثل

---

(٥) البيان والتبيين ١ ٣٨٣ .

(٦) ينظر على سبيل المثال : تأويل مشكل القرآن ١٠١ . طبقات الشعراء ٤٨ . الفاضل للمبرد ٣٩ - ٤٠ . المثنى ٣ . الموازنة ١ ٥٤ . البديع في وصف الربيع ٢٠ . سر الفصاحة ٥٦ . تحرير التحبير ١١٢ . وفيات الاعيان ١ ٢٢٧ .

(٧) الأغاني ٣ ٢٥٠

(٨) نفسه ٥ ٢٥٢

قول ابن الأثير ناقدا كتاباً في علم البيان للغـانمي : «ورأيت الغـانمي ذكر في كتابه بابا وسماه رد الاعجاز على الصدور خارجاً عن باب التجنيس وهو ضرب منه وقسم من جملة أقسامه ... وليس الأخذ على الغانمي في ذلك مناقشته على الاسماء ، وانما المناقشة له على أنه ينتصب لايراد علم البيان وتفصيل أبوابه ويكون أحد الأبواب التي ذكرها داخلاً في الآخر فيذهب عليه ذلك ويخفى عنه ..»[٩]، وشبيه به ما يقوله ابن أبي الاصبع المصري في كتابه البديع لابن منقذ اذ يرى أن في هذا الكتاب تواردا وتداخلاً «وتسمية أقسام الباب الواحد أبوابا وضم أنواع المآخذ وأصناف العيوب الى المحاسن ...»[١٠].

وللتقسيم العام والداخلي للكتاب قواعد ومصطلحات يجري التقسيم على أساسها ونحسب أن البحث في هذه المسألة يتوزع على ثلاثة أقسام رئيسة أولها التقسيم ونعني به التقسيم العام للكتاب ومصطلحاته ، وثانيها التبويب ونعني به التقسيم الداخلي لموضوعات الكتاب ، وثالثها أسس التسلسل بين وحدات التقسيم والتبويب .

(١)

التقسيم

عمد المؤلفون القدامى الى تقسيم الكتاب الى وحدات كبرى تدل على التقسيم العام له . وهذه الوحدات حملت مسميات ومصطلحات خاصة بها يمكن أن تحدد بما يأتي :

١ - الجزء

يرد هذا المصطلح كثيرا في التقسيم العام للكتاب ، وهو منذ القرن الثالث للهجرة يعني قسما أساسياً من كتاب كبير ، ومن النصوص الدالة على هذا ما

---

٩. جمع الجواهر ٢٥٨ - ٢٥٩

١٠. البديع لابن منقذ ١٣

ينقل عن التوزي من قوله : «رأى الأصمعي جزءاً فيه من شعر السيد فقال : لمن هذا ؟ فسترته عنه لعلمي بما عنده فيه ...»[11]. وقوله «من شعر السيد» يعني أن شعر السيد كان مجموعاً في عدة أجزاء[12] رأى الأصمعي هذا الجزء منها مما يدل على أن «الجزء» يعني قسماً أساسياً من الكتاب الأدبي أو المجموع الشعري الكبير . وشبيه بمفهوم الجزء هذا ما نراه في كتب الجاحظ ، فقد جزأ كتابه الحيوان مثلاً الى سبعة أجزاء كان يختم كل جزء منها بعبارة تشير الى بداية ما في الجزء التالي له ، الا أنه يسمي الجزء أحياناً كثيرة بالمصحف ، كما نرى هذا في قوله : «كمل المصحف الثاني من كتاب الحيوان بحمد الله تعالى ...»[13]. وهو يستعمل لفظة المصحف بمعناها اللغوي هنا ، الا أن مصطلح الجزء لم يكن بعيداً عن مفهومه ، ذلك أننا نراه في بداية الجزء الرابع من كتاب الحيوان يقول : «نبدأ هذا الجزء بعون الله وتأييده بالقول في جملة الذرة والنملة ...»[14].

ويظل مصطلح الجزء يعني قسماً من الكتاب الكبير في القرن الثالث وما تلاه من عصور ، ففي تاريخ بغداد نرى النص التالي : «كنت عند محمد بن نصر بن بسام فدخل عليه حاجبه فأعطاه رقعة وثلاثة دفاتر كباراً ، فقرأ الرقعة فاذا المبرد قد أهدى اليه كتاب الروضة ، وكان ابنه على حاضراً فرمى بالجزء الأول - يعني اليه - وقال له : انظر يابني ...»[15]. وواضح من هذا النص أن كتاب الروضة للمبرد كان في ثلاثة أجزاء أو «دفاتر كبار» كما يسميها راوي الخبر . ويذكر الآمدي أن أحمد بن عبيدالله بن محمد بن عمار ألف كتاباً

---

(١١) الأغاني ٢٣٢/٧ .

(١٢) يؤيد هذا ما ذكره ابن النديم من أنه رأى جزأين نحو ثلاثمائة ورقة تحتوي على رائيات السيد فقط . ينظر : الفهرست ١٨٤ .

(١٣) الحيوان ٣٧٥/٢ .

(١٤) نفسه ٥/٤ .

(١٥) تاريخ بغداد ٣٨٦/٣ .

في الطعن على أبي تمام يتضمن أخطاء كثيرة ، فرأى أن ينبه على أخطائه ويجعل من هذه التنبيهات جزءاً مفرداً يختم به كتاب الموازنة ، ويدع الخيار للقارىء في أن يعد هذا الجزء من ضمن الكتاب أو يعده جزءاً قائماً بنفسه[١٦]، مما يدل على أن مفهوم الجزء عنده يعني قسماً كبيراً متميزاً من الكتاب يمكن أن يستقل بنفسه ، ونلاحظ هذا المفهوم نفسه عند المحسن التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة ، اذ يذكر أنه جعل من الحكايات التي أوردها في كتابه هذا أجزاء كل جزء منها قائم بنفسه[١٧].

وتدل هذه النصوص كلها على أن الجزء كان قسماً أساسياً كبيراً من الكتاب عند كثير من المؤلفين ، الا أن تحديد حجم الجزء كان مضطربا عندهم ، ففي كتاب الفهرست يقول ابن النديم : «رأيت جزأين نحو ثلاثمائة ورقة تحتوي على رائيات السيد فقط ، ورأيت أجزاء نحو مائتي ورقة تحتوي على كيسانيات السيد فقط ، ثم رأيت شعره مجموعة نحو خمسمائة ورقة ...»[١٨]، وواضح ما بهذا النص من تفاوت في حجم الجزء فهو أحيانا يضم نحو مائة وخمسين ورقة وأحياناً يضم أقل من هذا العدد بكثير ، ويذكر الخطيب البغدادي عن أحدهم بأنه جمع «جزءاً فيه ست وثلاثون ورقة فيها حديث كثير ..»[١٩]، وفي هذا وما سبقه ما يدل على أن القدامى لم يشترطوا عددا معينا من الصفحات للجزء الواحد أو حجماً خاصاً به .

٢ - القسم :

والقسم مصطلح آخر في التقسيم العام للكتاب استعمله بعض مؤلفي كتب التراجم الأدبية التي استندت الى الأساس الاقليمي في توزيع التراجم فكان كل قسم في هذه الكتب يشتمل على اقليم معين أو عدة أقاليم ، وقد كان الثعالبي من أوائل الذين اتجهوا الى هذا التقسيم في كتب التراجم ، اذ جعل

(١٦) تنظر : الموازنة ١٣٥/١ - ١٣٦ .

(١٧) ينظر : نشوار المحاضرة ١٣/١ .

(١٨) الفهرست ١٨٤ ..

(١٩) تاريخ بغداد ١٧/٥ .

كتابه اليتيمة مقسما الى اربعة أقسام رئيسة يضم كل قسم منها اقليماً معيناً أو عدة أقاليم . ولكن القسم عند الثعالبي يختلط بالجزء فهما شيء واحد عنده كما يبدو ، اذ ورد في ترجمة الأمير قابوس بن وشمكير مايلي : «الباب العاشر في ذكر الأمير السيد شمس المعالي قابوس بن وشمكير أختم بها هذا الجزء الثالث من كتابي هذا ..»[٢٠] وهذه الترجمة تقع آخر القسم الثالث من كتابه مما يؤيد أن القسم والجزء كليهما كانا بمفهوم واحد عنده .

ومثل هذا الاختلاط بين مصطلحي القسم والجزء عند الثعالبي لم يكن عاما عند غيره من المؤلفين الذين اتبعوا نظام الأقسام حسب البيئات الاقليمية فقد قسموا كتبهم الى أقسام معينة مستقلة ، وقد ينقسم كل قسم منها لديهم الى أجزاء ، فالباخرزي قسم كتابه دمية القصر الى سبعة أقسام دون أية اشارة الى جزء ، والعماد الأصفهاني قسم كتابه خريدة القصر الى أقسام لم يشأ تحديد عددها في مقدمة الكتاب ، الا أن الذي يبدو أن كتابه هذا لم يزد على أربعة أقسام نص على أن القسم العراقي هو أولها[٢١]، كما نص على أن القسم الرابع هو القسم الخاص بأدباء مصر وأعمالها وبلاد المغرب[٢٢]، ولم نجد له قسما آخر يلي قسم شعراء مصر وبلاد المغرب ، مما يدل على أن كتاب الخريدة لم يزد في تقسيمه العام على أربعة أقسام[٢٣]. والذي يلاحظ أن الصفدي يذكر أن العماد الأصفهاني حينما أتم كتابه هذا حمله الى القاضي الفاضل في ثمانية أجزاء[٢٤]، وفي هذا ما يدل على أن القسم أكبر وحدة تقسيمية عند العماد الأصفهاني اذ إنه أكبر من الجزء في مفهومه ، وفي هذا ما يشير الى أن هذه الوحدات التقسيمية الكبرى للكتاب لم تكن مستقرة استقراراً تاماً عند المؤلفين القدامى .

---

(٢٠) يتيمة الدهر ٥٩/٤ .

(٢١) تنظر : خريدة القصر (عراق) ٨/١ .

(٢٢) تنظر : خريدة القصر (مصر) ٣/١ .

(٢٣) ذكر هذا الاستاذ محمد بهجة الأثري في تقديمه للقسم العراقي . تنظر : خريدة القصر (عراق) ١٠١/١ (من مقدمة المحقق) .

(٢٤) ينظر : الوافي بالوفيات ١٤٠/١ .

٣ - الكتاب :

يلاحظ أن هذا المصطلح كان في الحقب الأولى من التأليف الأدبي دالا على قسم من الجزء ، ففي بداية الجزء الثالث من البيان والتبيين للجاحظ نرى العنوان التالي : «كتاب العصا» ، وتحته العبارة التالية : «هذا - أبقاك الله - الجزء الثالث من القول في البيان والتبيين وما شابه ..»[٢٥]، ويستمر الحديث عن العصا وموضوعات أخرى ثم نرى العنوان التالي : «كتاب الزهد»[٢٦] وفي هذا ما يشير الى أن الجزء الثالث من كتاب البيان والتبيين احتوى على موضوعات مختلفة عنونت بعضها باسم كتاب في حين عنون بعضها الآخر بعنوانات مختلفة دون ذكر لكلمة «كتاب» مما يدل على أن مصطلح الكتاب عند الجاحظ يعني قسماً من الجزء ، ويشبهه في هذا ابن قتيبة في كتابه عيون الاخبار ، اذ قسم كتابه هذا الى عشرة كتب ضم كل كتابين منها في جزء واحد ، وذلك اذ يقول في مقدمة كتابه : « ... فالكتاب الأول من الكتب العشرة المجموعة : كتاب السلطان وفيه الأخبار عن محل السلطان واختلاف أحواله ... والكتاب الثاني كتاب الحرب ، وهذا الكتاب مشاكل لكتاب السلطان فضممته اليه وجعلتهما جزءاً واحداً»[٢٧]. أما ابن عبد ربه فنرى أن مصطلح الكتاب عنده أشمل من مصطلح الجزء اذ قسم كتابه العقد الفريد الى خمسة وعشرين كتابا كل كتاب منها يقع في جزأين ، كما نص على هذا في مقدمة الكتاب[٢٨].

ويختلط مصطلح الكتاب عند مؤلفين آخرين بمصطلح الباب ، كما نرى

---

٢٥) البيان والتبيين ٥/٣ .

(٢٦) نفسه ١٢٥/٣ .

(٢٧) عيون الأخبار ١/ن . وهكذا سار في الكتب الأخرى التي يحتويها كتابه هذا اذ جعل كل كتابين منها جزءاً واحداً كما ذكر في مقدمة الكتاب . أما في المطبوع من الكتاب فنرى أن كل كتاب من هذه الكتب يختم بعبارة تدل على أنه جزء . ففي نهاية كتاب السلطان مثلا نرى العبارة التالية : «كتاب السلطان ويتلوه في الجزء الثاني كتاب الحرب» (عيون الأخبار ١٠٦/١) وهذا مخالف لما ذكره المؤلف في المقدمة ونحسب أنه من وضع الناسخ .

(٢٨) ينظر : العقد الفريد ٤/١ - ٥ .

هذا عند أبي هلال العسكري في كتابه ديوان المعـاني . اذ سمى الكتاب الاول منه باسم «كتاب المبالغة في المديح والتهاني والافتخار» ونص على أنه الباب الأول من كتاب ديوان المعاني وأنه مقسم الى ثلاثة فصول[٢٩]. ثم انتقل الى كتاب ثان سماه «كتاب المبالغة في أوصاف خصال الانسان المحمودة» وقال عنه : «وهو الباب الثاني من كتاب ديوان المعاني»[٣٠]. مما يدل على أن الباب والكتاب يعنيان شيئاً واحداً عنده .

ويستمر مثل هذا التداخل بين مصطلحي الباب والكتاب عند مؤلفين آخرين حتى القرن السابع . فيقسم ابن سعيد المغربي كتابه المغرب الى عدة كتب ثم يقسم هذه الكتب الى كتب أخرى هي بمثابة الأبواب عند غيره من المؤلفين .

هذه هي المصطلحات العامة الشائعة عند القدامى في التقسيم العام للكتاب . وهناك مصطلحات أخرى للتقسيم العام وردت في بعض الكتب بحدود ضيقة لم يكن نطاقها ليتجاوز بضعة مؤلفين . وأكثر هذه المصطلحات استعمالاً مصطلح «المقالة» الذي نراه عند ابن النديم دالاً على الوحدة الأساسية الكبرى من الكتاب . اذ قسم كتابه الفهرست الى عشر مقالات تحتوي كل مقالة منها على عدة فنون[٣١]. ويشبهه الخوارزمي في هذا اذ قسم كتابه «مفاتيح العلوم» بصورة عامة الى مقالتين الأولى منهما لعلوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية في حين خصص الثانية لعلوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم[٣٢]، ويشبههما ابن الأثير في هذا اذ قسم كتابه المثل السائر الى مقالتين . كما قسم القلقشندي كتابه صبح الأعشى الى عشر مقالات تضم كل مقالة منها عدة أبواب وفصول .

---

(٢٩) ينظر : ديوان المعاني ١ ١٥ .

(٣٠) نفسه ١ ١٠٣ . وكذلك نراه في موضع آخر يبدأ بكتاب المبالغة في المعايب والهجاء وينص على أنه الباب الثالث من كتاب ديوان المعاني . ينظر : ديوان المعاني ١ ١٥٧

(٣١) ينظر تفصيل هذه التقسيمات في مقدمة الكتاب من ٣ - ٥ .

(٣٢) ينظر: مفاتيح العلوم ٤ .

ومن هذه المصطلحات القليلة الاستعمال مصطلح «الفن» الذي يستعمله النويري في التقسيم العام لكتابه نهاية الأرب اذ قسمه الى عدة فنون يحتوى كل فن منها على عدة اقسام ويضم كل قسم عدة ابواب وفصول ، ومصطلح «القطب» الذي يستعمله ابن الأثير في كتابه «الجامع الكبير» اذ قسم هذا الكتاب الى قطبين ، ومصطلح «المنهج» الذي يستعمله حازم القرطاجني في التقسيم العام لكتابه «منهاج البلغاء» ، ومصطلح «القاعدة» الذي يستعمله ابن طلحة القرشي في كتابه «العقد الفريد» اذ قسمه الى اربع قواعد تحتوي كل قاعدة منها على عدة أبواب ، وهذه المصطلحات لم تكن تتجاوز بضعة مؤلفين مما يحمل على الاعتقاد بأنها لم تكتسب صفة المصطلح العلمي الشائع ، ولهذا يمكن القول بأن المصطلحات الشائعة لتقسيم الكتاب بصورة عامة عند القدامى كانت تتحدد بمصطلحات الجزء والقسم والكتاب ، وهذه المصطلحات لم تكن مستقلة استقلالاً تاماً فكثيراً ما تداخلت مفاهيمها عند بعض المؤلفين .

وهناك مصطلح يرد عند المؤلفين القدامى كثيرا هو مصطلح المجلد (أو المجلدة) ، ونظن أنه لم يكن يعني عندهم مصطلحاً خاصاً بتقسيم الكتاب ذلك أننا لم نجد نصاً عند المؤلفين القدامى يشير الى أن المؤلف قسم كتابه الى عدة مجلدات ، وانما الذي نلاحظه عندهم كثيرا أن لفظة المجلد أشبه ما تكون بوصف للكتاب ، فقد تأتي عندهم مرادفة للفظة الكتاب كما نرى هذا عند صاحب المغرب اذ يقول في ترجمة الوزير طلائع بن رزيك : «ووقعت على كتاب موسوم بالدر المنظوم في مدائحه يحتوي على جملة شعراء ما بين شريف وجليس ... ووقعت أيضا على مجلد آخر في أمداحه مختار مما أورده صاحب الجنان ..»[٣٣]. والذي نلاحظه في هذا النص أن الكتاب والمجلد مترادفان وكأنهما شيء واحد ، وهذا يحملنا على الظن بأن مصطلح المجلد كان يعني عند القدامى كون الكتاب مجلداً ، فمن المعروف أن أي كتاب يُعْمَد الى تجليده لغرض حفظه والحيلولة دون تلف أوراقه بسرعة ، وغالبا ما يُعْمَد الى تجليد الكتب الكبيرة

(٣٣) المغرب (قاهرة) ٢١٨ .

لهذا الغرض ، ومما يؤيد هذا أننا نراهم يطلقون لفظة المجلد أو المجلدة على ما كان كبيراً من الكتب من مثل قول العماد الأصفهاني في ترجمة الشريف أبي هاشم الواسطي : «وقد جمع أشعاره التي نظمها بكرمان في مجلدة تنيف على ستة آلاف بيت فطالعتها»[٣٤]، واحتواء هذه المجلدة على ما يقرب من ستة آلاف بيت دليل واضح على ضخامة حجمها ، وشبيه بهذا قول ابن بشكوال : «كان أبو محمد بن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الاسلام ... وأخبرني أبو رافع الفضل بن علي أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة ..»[٣٥]، وواضح أن حجم المجلد هنا يحدد بما يقرب من مائتي ورقة ، وفي هذا كله ما يشير الى أن لفظة المجلد هذه كانت تطلق عندهم على الكتاب المجلد لا على قسم أساسي من أقسام الكتاب ، اذ غالبا ما وصفت بها الكتب الكبيرة الحجم .

(٢)

التبويب

يقول الجاحظ في باب عنونه بـ «ذكر أسماء الخطباء والبلغاء والابيناء وذكر قبائلهم وأنسابهم» من كتابه البيان والتبيين : «كان التدبير في أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماء أهل الجاهلية على مراتبهم وأسماء أهل الاسلام على منازلهم ، ونجعل لكل قبيلة منهم خطباء ، ونقسم أمورهم باباً باباً على حدته ، ونقدم من قدمه الله ورسوله عليه السلام في النسب وفضله في الحسب ، ولكني لما عجزت عن نظمه وتنضيده تكلفت ذكرهم في الجملة والله المستعان ..»[٣٦].

---

(٣٤) خريدة القصر (عراق) ٤٠٥/١/٤ .

(٣٥) الصلة ٣٩٥/٢ .

(٣٦) البيان والتبيين ١٠٦/١ .

ويدل كلامه هذا على أن المؤلفين القدامى منذ القرن الثالث للهجرة شعروا بأهمية تقسيم الموضوع الواحد تقسيماً داخلياً الى وحدات سموها بالأبواب ، وقد ظهر هذا التقسيم في كتب الحقبة المتقدمة بشكل مضطرب الا انه يحمل شيئا من مظاهر التبويب ويدل على ابتداء التفكير في هذه المسألة مما مهد الطريق للمؤلفين اللاحقين للوصول بها الى درجة النضج والاكتمال . ففي كتابي الجاحظ «البيان والتبيين» و «الحيوان» يُقَسِّمُ كل جزء من أجزاء الكتاب الى موضوعات عديدة يحمل بعضها عنوانا فقط دون ذكر لكلمة «باب» ويحمل بعضها الآخر اسم «باب» مع العنوان[٣٧]، مما يدل على أن التقسيم الداخلي الى ابواب لم يكتمل بعد اذ إنه لو كان مكتملاً لرأينا العنوانات كافة تحمل اسم «باب». وسلك معاصرو الجاحظ المسلك نفسه ، فاذا نظرنا في كتاب «الكتاب وصفة الدواة والقلم» لعبد الله بن عبد العزيز البغدادي المتوفي في أواسط القرن الثالث لرأينا تقسيمه كالآتي : «ما يحتاج اليه الكاتب من آلة الكتابة ، الدواة ، القلم ، القرطاس ، باب الكتاب ، باب السحاة ، باب الخاتم ، العنوان ، التاريخ ...»[٣٨]، وواضح أن ثلاثة أقسام فقط تحمل اسم «باب» في حين خلت الأقسام الأخرى من ذكر لهذا الاسم ، وهو في تقسيمه هذا يشبه تقسيم الجاحظ لكتابيه ويؤيد ما لاحظناه من أن مسألة التبويب كانت حتى أواسط القرن الثالث غير مستقرة تماماً ، الا أنها أوجدت الأساس لهذا النوع من التقسيم ، فكانت الكتب منذ أواخر القرن الثالث تقسم الى أبواب عديدة ما عدا بضعة كتب تخلو من التبويب ، وهي في قلتها هذه لا تشكل ظاهرة عامة .

ويكتسب التقسيم الداخلي للكتاب صفة جديدة فيها شيء كبير من التفكير المنهجي تظهر في تقسيم الباب الواحد الى عدة فصول ، ويبدو أن هذا الاتجاه في التقسيم بدأ منذ أواخر القرن الثالث ، اذ إن أول ما نعثر به من تقسيم الباب الى فصول هو ما نلاحظه في كتاب الفاضل للمبرد ، فقد قُسِّم الكتاب

---

(٣٧) تنظر فهارس الموضوعات في نهاية كل جزء من أجزاء البيان والتبيين والحيوان .

(٣٨) ينظر : الكتاب وصفة الدواة والقلم (مجلة المورد - المجلد الثاني ٤٤/٢) .

الى عدة أبواب كان الباب الأخير منها مقسما الى عدة فصول[٣٩]، وواضح أن تقسيم الباب الأخير فقط الى عدة فصول يعني أن هذا التقسيم كان في طوره الأول ، والا لرأينا المؤلف يقسم أبواب كتابه كافة الى عدة فصول ، ولهذا نرى هذه المرحلة من مراحل التقسيم تتضح فيما بعد القرن الثالث ، حتى اذا ما وصلنا الى نهاية القرن الرابع وجدناها تبلغ درجة ملحوظة من الدقة والاكتمال . ومن أمثلة هذا ما نراه في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري اذ نجد الباب الأول منه معنونا بـ : «الابانة عن موضوع البلاغة في أصل اللغة وما يجري معه من تصرف لفظها وذكر حدودها وشرح وجوهها ... وتفسير ما جاء عن العلماء فيها» ، وقد قُسّم هذا الباب الى ثلاثة فصول كان الفصل الأول معنونا بـ «في الابانة عن موضوع البلاغة في اللغة وما يجري معه من تصرف لفظها ...» ، وكان عنوان الفصل الثاني «في الابانة عن حد البلاغة» ، أما الفصل الثالث فكان عنوانه «القول في تفسير ما جاء عن الحكماء والعلماء في حدود البلاغة»[٤٠]. والذي يلاحظ في هذا أن المؤلف بين عنوان الباب بعبارة مطولة ، ثم وزع هذا العنوان على الفصول الثلاثة بحيث اشتمل كل فصل منها على قسم من أقسام العبارة التي وضعها عنوانا للباب ، مما يدل على أن تقسيم الباب الى فصول روعي فيه توزيع موضوع الباب الواحد بحيث يشتمل كل فصل على قسم من أقسام الموضوع أولاً وتستوعب عنوانات الفصول العنوان العام للباب ثانياً ، وفي هذا دليل واضح على اكتمال فكرة تقسيم الباب الواحد الى فصول .

ومن المعروف أن هذه الطريقة في التقسيم لا يمكن أن تطرد في الموضوعات والكتب كلها ، اذ إن موضوع الكتاب قد يتكون من وحدات رئيسة كبرى يمكن تسميتُها أبواباً تقسم الى فصول فيما بعد ، وقد يتكون الموضوع من وحدات متقاربة في الحجم والموضوعَ لا يمكن أن تجتمع في وحدات كبرى تكون

---

(٣٩) ينظر : الفاضل للمبرد ص ١٠٠ وما بعدها .

(٤٠) ينظر الباب الأول من كتاب الصناعتين .

أبواباً ، ومن ثم يضطر المؤلف الى تقسيم الكتاب الى فصول فقط ، وقد عرف القدامى هذين النوعين من التقسيم الداخلي في كثير من كتبهم[٤١].

ظل التقسيم الداخلي للكتاب يجري وفق مصطلحي الباب والفصل ، ثم بدأت هذه المسألة بالتعقيد في الكتب المتأخرة ، اذ لم يكتف المؤلفون بتقسيم الكتاب الى أبواب وفصول ، بل اتجهوا الى تقسيم الفصل الواحد الى أقسام عديدة تقسم الى أقسام أخرى بمصطلحات جديدة ، وهذه المصطلحات تختلف من مؤلف الى آخر مما يشير الى أنها مجرد اتجاه فردي لا يشكل ظاهرة عامة ، والظاهرة العامة عند هؤلاء المتأخرين هي التعقيد في التقسيم الداخلي متمثلا في التجزئة والتقسيم المستمرين لموضوعات الكتاب .

ومن نماذج هذا التعقيد في التقسيم ما نراه عند السكاكي في كتابه مفتاح العلوم ، أذ انه خصص القسم الثالث من هذا الكتاب لعلمي المعاني والبيان وقسمه الى فصلين الأول في علم المعاني والثاني في علم البيان . وقد قسم الفصل الأول الى قانونين كان القانون الأول منهما مقسما الى أربعة فنون ، في حين كان القانون الثاني مقسما الى ثلاثة أبواب ، ولو كان المؤلف دقيقا لالتزم مصطلحاً واحداً في التقسيم الداخلي . أما الفصل الثاني الخاص بعلم البيان فقد قسمه بصورة عامة الى أصلين - كما ذكر في بدايته - ، كان الأصل الأول مخصصاً للتشبيه في حين كان الأصل الثاني مخصصاً للكلام على المجاز وقد قسمه الى اربعة فصول ، وكان الفصل الثالث من هذه الفصول الأربعة

---

(٤١) ويلاحظ أن مصطلح الفصل اتخذ شكلاً جديداً عند بعض المؤلفين ، فلم يعن القسم الرئيس من الكتاب أو الباب عندهم ، بل عنوا به العبارة البليغة لكاتب أو أديب أو الفقرة من رسالة يكتبها أديب الى آخر ، ونرى مثل هذا الاستعمال لمصطلح الفصل منذ القرن الثالث ، ففي كتاب عيون الاخبار نرى النص التالي : «قال أبو محمد : كتبت الى بعض السلاطين كتابا وفي فصل منه : لم يزل حزمة الرجال يستحلون مرارة قول الفصحاء ، .. وفي فصل آخر : وقد تحملت في هذا الكتاب بعض العتب وخالفت ...» (عيون الأخبار ٢٨/١) ، وواضح أنه يعني بالفصل هنا فقرة من الرسالة أو قسما منها ، ويشبهه في استعمال الفصل بهذا المعنى كثير من المؤلفين . ينظر على سبيل المثال : العقد الفريد ٢٢٣/٤ - ٢٢٤ ، التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم ٢٢ ، الصناعتين ١٥٩ ، زهر الآداب ١٢٩/١ ، يتيمة الدهر ٢٠/١ - ٢٢ ، ١٣٩ - ١٤٠ ، ٢٤٨/٢ ، خاص الخاص ١٣ ، الايجاز والاعجاز ٦ - ٧ ، سر الفصاحة ٥٤ ، أسرار البلاغة ٣٥٢ ، المغرب (أندلس) ٨٦/١ - ٨٧ .

خاصاً بالاستعارة ومقسماً الى سبعة أقسام"[٤٢]. وواضح ما بهذا التقسيم من تعقيد أولاً واضطراب وعدم تحديد للمصطلحات ثانياً ، فالفصل يكون قسماً عاماً في القسم الرئيس من الكتاب ويقسم الى أبواب وفنون أحياناً ويقسم أحياناً أخر الى أقسام فرعية منقسمة الى فصول . وواضح أن هذا الاضطراب في التقسيم والتجزئة المستمرة للموضوعات بلا ضابط معين يضيع القارىء ويجعله ينسى الأقسام الرئيسة والفرعية من الكتاب . والمؤلف نفسه لم يسلم من الضياع بسبب تقسيماته المستمرة المضطربة هذه ، والدليل على هذا أنه ذكر أولا أن الفصل الثاني الخاص بعلم البيان مقسم الى أصلين وبمراجعة هذا الفصل يتضح أنه مقسم الى ثلاثة أصول لا أصلين مما يؤكد أن هذه التقسيمات المستمرة هي التي أوقعت المؤلف في مثل هذا الاضطراب والضياع .

وشبيه بهذا ما نلاحظه في كتاب صبح الأعشى للقلقشندي فكل باب في الكتاب يقسم الى فصول ، ثم يقسم كل فصل الى أقسام عديدة مسماة بمصطلحات جديدة لا نعرفها عند غيره من المؤلفين"[٤٣]، ثم تقسم هذه الأقسام الفرعية في الفصل الى أقسام أخرى بمصطلحات جديدة ، وكل قسم من هذه الأقسام يقسم الى أقسام أخرى حتى يجد القارىء نفسه أمام سلسلة لا نهاية لها من التقسيمات بحيث يضل بينها وبين مصطلحاتها ، وينسى الفصل الخاص بها وبالتالي الباب الرئيس الذي ينتظمها . ولا يقتصر هذا الأمر على قارىء الكتاب فقط بل أن المؤلف نفسه يتيه في تقسيماته هذه وينسى ما يذكره في بداية كل قسم من عدد لأقسامه الفرعية ، ونجد مثلا لهذا في الطرف الأول من الفصل الثاني من الباب الأول من المقالة الأولى . فقد ذكر في بداية هذا

---

(٤٢) ينظر القسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم .

(٤٣) استعمل القلقشندي مصطلحات عديدة في تقسيم فصول الكتاب ، والذي يلاحظ أن هذه المصطلحات تختلف بين فصل وأخر (تنظر فهارس الموضوعات في كل جزء) .

الطرف أنه يشتمل على خمسة عشر نوعا[٤٤]، وبقراءة الأقسام التي ذكرها داخل هذا القسم الذي سماه بالطرف يتضح أنها ثمانية عشر نوعاً[٤٥]، مما يؤكد الظاهرة التي لاحظناها في الكتب المتأخرة بصورة عامة ، ألا وهي ان هذه الكتب تمثل أقصى مراحل التعقيد والمبالغة والاضطراب في التقسيم الداخلي .

(٣)

أسس التسلسل بين وحدات التقسيم والتبويب

احتوت الكتب القديمة على كثير من النصوص والاشارات التي تدل بمجموعها على أسس واضحة اتبعوها في تسلسل الأبواب والفصول ، ومن هذه النصوص والاشارات يمكن أن نستخلص الأسس التالية :

المشاكلة والتشابه الموضوعي بين الأبواب المتجاورة :

يقول ابن داود الأصفهاني : «وأكثر غرضنا من هذا الكتاب أن نذكر ما توقعه المشاكلة وما توجبه الطبائع المتعادلة ، فاذا جمعنا بين المتفرقات وألفنا بين الأشياء المتنافيات كان العار لاحقا لنا بقضائنا على أنفسنا ، وقد جعلت الأبواب المنسوبة إلى الغزل من هذا الكتاب أمثالا ورتبتها على ترتيب الوقوع حالاً فحالاً ...»[٤٦]، وهو في كلامه هذا يشير اشارة صريحة الى أنه في ترتيبه لأبواب كتابه استند الى التشابه الموضوعي بين الأبواب التي تأتي تباعاً ، ومثل هذه الفكرة تؤكد أن التبويب عند القدامى لم يكن مجرد اتيان بوحدات مستقلة في موضوعها وترتيبها كيفما اتفق ، بل أنهم في ترتيبهم لهذه الوحدات المستقلة التزموا بفكرة الترابط المعنوي فيما بينها وعدم تنافر المتجاورات منها في الموضوع تنافراً يشتت ذهن القارىء ويضيع عليه فرصة الافادة من الكتاب .

---

(٤٤) صبح الأعشى ١٤٨/١ .

(٤٥) نفسه ١/٢ (اذ ذكر النوع الثامن عشر) .

(٤٦) الزهرة ٥ .

ولهذا نرى كثيراً منهم يلتزمون بفكرة التشابه الموضوعي بين الأبواب او المجانسة كما سموها ، ومما يدل على هذا ما نراه في قول الوشاء في نهاية باب من أبواب كتابه «الفاضل» : «وهذا باب قد أطلنا فيه الخطاب واستوعبنا فيه صدرا من الكتاب ... وسنشفعه بباب يجانس معناه ان شاء الله تعالى ...»[٤٧].

كان لاعتماد نظرية المشابهة والمجانسة بين الأقسام المتسلسلة مظاهر عديدة تواجهنا في الكتب الأدبية القديمة ، منها ما نراه من تقسيمهم الكتاب الى وحدات تضم كل وحدة منها مجموعة متشابهة في الصفات أو متقاربة في الفن الشعري ، كما نلاحظ هذا في بعض كتب التراجم الأدبية التي أطلق على تقسيماتها الداخلية اسم الطبقات . وأول كتاب أدبي يسير وفق نظام الطبقات هذا هو كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ، اذ قسم المؤلف كل قسم أساسي من كتابه الى عشر طبقات ، كل طبقة تضم طائفة من الشعراء جمعهم حسب أسس فنية اعتمدها في هذا التقسيم . وواضح أن كل طبقة باحتوائها على مجموعة من الشعراء المتقاربين من الناحية الفنية تمثل تفكيراً جدياً في الاتيان بمواد متشابهة داخل القسم الواحد . ويتلوه كتاب طبقات الشعراء لابن المعتز ، وهو وان لم يكن مقسما الى طبقات مستقلة ، الا أن تسلسل التراجم فيه يشير بصورة عامة الى أنه بدأ بشعراء المديح ، ثم اعقبهم بشعراء المجون ، ثم تلاهم بمجموعة من الشعراء الموسوسين فمجموعة من النساء الشواعر[٤٨]، مما يدل على ان المؤلف اعتمد على اساس المشابهة والأواصر المشتركة بين المترجمين ، اذ جمع كل طائفة متشابهة من الشعراء في مكان خاص .

---

(٤٧) الفاضل ١٧١ - ١٧٢ . وهناك كثير من النصوص الدالة على اعتماد المؤلفين لهذه النظرية ، سواء في تسلسل مواد الموضوع الفرعي أم في تسلسل الأبواب فيما بينها ، ينظر على سبيل المثال : البصائر والذخائر ٢٩٦/٢ - ٢٩٧ . الصداقة والصديق ١٩٠ - ١٩١ . البديع في وصف الربيع ٥ . الخريدة (شام) ٢٩ - ٣٠ . بدائع البدائه ٣٤٣ . عين الأدب والسياسة ٤ .

(٤٨) ذكر هذا الدكتور محمد زغلول سلام في كتابه : تاريخ النقد العربي ١٢٠ ، ودراسة الكتاب تؤيد ما قاله على الرغم من وجود بعض التراجم التي تخرج عن الصفة العامة للمجموعة التي ذكرت فيها .

ومن مظاهر اعتماد هذه الفكرة ما نراه من تقسيم الكتب حسب الأقاليم والبيئات ، اذ وضعت كثير من كتب التراجم تقسم بصورة عامة الى أقسام رئيسة كل قسم منها يضم بيئة معينة أو عدة بيئات ، وكل بيئة تحتوي على مجموعة من تراجم الشعراء الذين ينتمون اليها ، وواضح من هذا التقسيم أن المؤلف يجمع في كل قسم من أقسام الكتاب مواد متشابهة في الموضوع العام وتتمثل هذه المشابهة في انتمائها الى بيئة معينة . وأول كتاب ألف في هذا الاتجاه هو كتاب طبقات الشعراء لدعبل الخزاعي اذ تشير النقول الكثيرة عنه في الكتب الأدبية الى أنه قُسِّمَ حسب الأقاليم[٤٩]، ويتلوه كتاب يتيمة الدهر للثعالبي وكل الكتب التي ألفت تذييلاً وتكملة لليتيمة .

وهذا الأساس المنهجي السليم في تسلسل أقسام الكتاب الفرعية بشكل معنوي مترابط لا يعني أنه كان ظاهرة عامة عند المؤلفين القدامى ، فهو وان التزم به كثير منهم فقد وجد من خالفه وتعمد الاتيان بكثير من الموضوعات المتناقضة المختلفة في المكان الواحد من الكتاب ، وهم عندما يعمدون الى هذا ينطلقون من أساس معين كثر ترادهم له ، ألا وهو عدم املال قارىء الكتاب بنوع معين متشابه من الموضوعات . ومن ثم عمدوا الى الخروج من جد الى هزل ومن هزل الى جد وغير ذلك من الموضوعات المتناقضة . يقول الجاحظ : «وعلى أني قد عزمت والله الموفق أني أوشح هذا الكتاب وأفصل أبوابه بنوادر من ضروب الشعر وضروب الأحاديث ليخرج قارىء هذا الكتاب من باب الى باب ومن شكل الى شكل ، فاني رأيت الأسماع تمل الأصوات المطربة والأغاني الحسنة والأوتار الفصيحة اذا طال ذلك عليها ...»[٥٠]، وقد صار هذا الذي يقوله الجاحظ طريقة متبعة عند مؤلفي كتب الأدب العامة فلم يكتفوا بتنويع أبواب الكتاب الواحد بل عمدوا الى تنويع الموضوعات داخل الباب الواحد وحجتهم في هذا واحدة ترجع الى ما قاله الجاحظ من ضرورة تنشيط القارىء وعدم

---

(٤٩) ينظر كتاب : دعبل بن علي الخزاعي ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٥٠) الحيوان ٧/٣ .

املاله بنوع واحد من الموضوعات ، كما نرى هذا عند المبرد في قوله : «نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئاً ليكون فيه استراحة للقارىء وانتقال ينفي الملل لحسن موقع الاستطراف ونخلط ما فيه الجد بشيء يسير من الهزل ليستريح اليه القلب وتسكن اليه النفس ..»[٥١].

وهذا المزج بين الموضوعات المتناقضة لم يكن دليلاً على جهل هؤلاء المؤلفين بالمنهجية وقاعدة المشابهة والمشاكلة بين الموضوعات المتجاورة في الكتب ، والدليل على هذا أنهم كانوا يعرفون المواضع الحقيقية للموضوعات التي يذكرونها استطرادا ، ومن ثم فاستطراداتهم الى موضوعات أخرى مختلفة لم يكن جهلاً منهم بالمنهجية والتبويب ، فهناك كثير من الأقوال التي يوردها الجاحظ بعد خبر أو بيت شعر ينبه فيها على المواضع الحقيقية لما يورده ومن أمثلة هذا قوله في كتابه البيان والتبيين : «وأنشدوا :

أرى زمناً نوكاه أسعد أهله ولكنما يشقى به كل عاقل

وهذه الأبيات كتبناها في غير هذا المكان من هذا الكتاب ولكن هذا المكان أولى بها ..»[٥٢]، وهو بعد أن يذكر خطباً عديدة في الجزء الثالث من كتابه هذا يقول في الجزء الرابع : «يضاف الى باب الخطب ، والى القول في تلخيص المعاني والخروج من الأمر المشبه بغيره قول حسان بن ثابت الأنصاري ..»[٥٣]، وواضح من كلامه هذا أن هذه الأقوال التي يوردها يعرف المكان الحقيقي لها ، ومن ثم ينبه القارىء عليه مما يدل على أنه لم يكن ليجهل مسألة التجانس بين الأبواب والموضوعات . ويشبهه في هذا المبرد ، اذ انه بعد أن يورد كثيرا من أخبار الخوارج يقول : «وهذا الكتاب لم نبتدئه لتتصل فيه أخبار الخوارج ، ولكن ربما اتصل الشيء بالشيء والحديث ذو شجون ويقترح المقترح ما يفسخ به عزم صاحب الكتاب ويصده عن سننه ويزيله عن طريقته ، ونحن راجعون أن

---

(٥١) الكامل ٢٨٥/٢ . ويكاد مؤلفو كتب الأدب العامة يكررون هذه الأقوال نفسها في كتبهم . وهذه الكتب معروفة لا حاجة بنا الىٰ ذكرها أو الاتيان باقوال مؤلفيها في هذا الموضوع .

(٥٢) البيان والتبيين ٢٠/٤ - ٢١ .

(٥٣) نفسه ٥٨/٤ .

شاء الله الى ما ابتدأ له هذا الكتاب ...»[٥٤].

تقديم الأهم والأكثر شهرة من الأقسام

عرف المؤلفون القدامى قاعدة مهمة أخرى من قواعد تسلسل أبواب الكتب وموضوعاتها تتمثل في تقديم الأهم من الأقسام والأكثر شهرة أو الأقدم زمنا في حالة ضم الكتاب لمعلومات وتراجم من أزمان مختلفة . ونستطيع ملاحظة الالتزام بهذه القاعدة عند كثير من المؤلفين منذ القرن الثالث للهجرة ، فالجاحظ مثلا وان لم يبوب كتابه «البخلاء» أبواباً متسلسلة ، الا أننا نرى في تقديمه للحكايات والأخبار التي أوردها عن البخلاء ما يشير الى التزامه بهذه القاعدة وذلك اذ يقول : «نبدأ بأهل خراسان لاكثار الناس في أهل خراسان ونخص بذلك أهل أمرو بقدر ما خصوا به ...»[٥٥].

ومن مظاهر الالتزام بهذه القاعدة ما عمد اليه بعض المؤلفين من تقديم النصوص والتراجم الأقدم زمنا على غيرها ، ونلاحظ هذا في كثير من الكتب التي ألفت منذ القرن الثالث للهجرة . فابن قتيبة وان لم يقسم كتابه «الشعر والشعراء» الى أقسام مستقلة ، بل أورد التراجم تباعاً ، الا أن تأمل كتابه هذا يُظْهِرُ أنه قدم تراجم الشعراء الجاهليين ثم أعقبها بالاسلاميين ثم بالعباسيين ، وكذلك فعل ابن الجراح في كتابه «الورقة» اذ انه وان اقتصر على تراجم الشعراء العباسيين فقط ، ولم يقسم التراجم الى أقسام مستقلة الا أن الذي يظهر بوضوح في كتابه أنه قدم تراجم شعراء القرن الثاني ثم أعقبها بتراجم شعراء القرن الثالث ، وكذلك نرى المرزباني في كتابه «الموشح» حينما يتناول أخطاء الشعراء وما عابه العلماء عليهم يبدأ بالشعراء الجاهليين ثم الشعراء الاسلاميين ثم الشعراء المحدثين وينص على هذا التقسيم صراحة في عنوانات يذكرها في بداية كل قسم من هذه الأقسام ، وله كتاب ضائع أسمه

---

(٥٤) الكامل ٤١٤/٣ .

(٥٥) البخلاء ١٧ .

«المونق في أخبار الشعراء المشهورين» يذكر ابن النديم أنه بدأ فيه بامرىء القيس وطبقته ثم بالمخضرمين ومن تبعهم من الاسلاميين على طبقاتهم حتى أول الدولة العباسية»[٥٦].

وهناك مظهر ثان من مظاهر تقديم الأهم والأكثر شهرة من أقسام الكتاب على الأقسام الأخرى يظهر فيما يصادفنا في بعض كتب التراجم من تقديم تراجم أصحاب السلطانِ والوزراء ثم الاتيان بعدها بتراجم الأدباء المشهورين من المتصلين بأصحاب السلطان ، ثم تراجم الشعراء الذين يلونهم منزلة اجتماعية وفنية ثم الشعراء المغمورين . وأول ما نراه واضحا من مظاهر هذا الترتيب هو ما يصادفنا عند الثعالبي في يتيمة الدهر ، ونظرة واحدة في أي قسم من أقسام كتابه تؤيد ما ذكرناه من تقديم التراجم حسب الأهمية السياسية والاجتماعية ، ويشبهه في هذا كل المؤلفين الذين ترجموا للمعاصرين حسب البيئات .

ولم يكن التزام هذه القاعدة خاصا بتسلسل الأقسام الفرعية للكتاب داخل القسم الأساسي ، بل نراه يشمل تسلسل الأقسام الرئيسة من الكتاب أيضا ، كما نلاحظ هذا عند الفتح بن خاقان في كتابه «مطمح الأنفس» اذ يقول متحدثاً عن كتابه هذا : « .. وأمليت منها في بعض الأيام ثلاثة أقسام : القسم الأول : يشتمل على سرد غرر الوزراء وتناسق درر الكتاب والبلغاء ، القسم الثاني : يشتمل على محاسن أعلام العلماء وأعيان القضاة والفهماء ، القسم الثالث : يشتمل على سرد محاسن الأدباء والنوابغ النجباء ، وسميتها مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ..»[٥٧].

مراعاة التناسب في الحجم والأقسام الفرعية :

يقول ابن داود الأصفهاني في كتابه الزهرة : «وهو كتاب سميته كتاب الزهرة واستودعته مائة باب ضمنت كل باب مائة بيت أذكرَ في خمسين باباً منها

---

(٥٦) ينظر : الفهرست ١٤٦ .

(٥٧) مطمح الأنفس ٢ - ٣ .

جهات الهوى وأحكامه وتصاريفه وأحواله وأذكر في الخمسين الثانية أفانين الشعر الباقية وأقتصر في ذلك على قليل من كثير ...»[٥٨]. والذي يسترعي الانتباه في كلامه هذا هو هذه الناحية الرياضية في التقسيم وكون الكتاب موزعا على مائة باب يتضمن كل باب منها مائة بيت[٥٩]، مما يحمل على الظن أن المؤلف عمد الى هذا ليكون لديه من الأبواب ما تتقارب حجومها وتتناسب مقاديرها . ويشبهه في هذا الاتجاه الرياضي في التقسيم مؤلف آخر عارض كتاب الزهرة وهو أحمد بن محمد بن فرج الجياني ، اذ ألف كتاب الحدائق وأورد فيه مائتي باب في كل باب مائتا بيت[٦٠].

واذا كان في صنيع هذين المؤلفين ما يوحي بفهمهم لفكرة التقارب في حجم الأبواب وقصدهم لها فيما يبدو من اتجاه رياضي في تقسيماتهم ، فاننا لا نلبث أن نواجه بنص صريح الدلالة على قصد المؤلف لهذه الفكرة ، وذلك فيما نراه من قول المعافى بن زكريا بعد أن يذكر أبياتاً في الصداقة والصديق : «وهذا باب أن استقصيناه طال جدا وتجاوزنا حد المجلس الواحد من مجالس كتابنا هذا ، ولم نبن هذا الكتاب على استيفاء أبواب أنواعه وانما جعلناه موشحا ممتزجا»[٦١]، وكلامه هذا واضح الدلالة على مراعاة المؤلف للتقارب والتناسب في أحجام أقسام الكتاب ، اذ انه يترك استقصاء موضوع معين خشية أن يطول هذا القسم من كتابه ويتجاوز حد الأقسام الأخرى من الكتاب .

ويواجهنا حازم القرطاجني أيضا بنص صريح الدلالة على وجوب مساواة الأقسام وتناسبها في الحجم وذلك اذ يقول : «وقد أدرجت تفاصيل القول في جميع ذلك في منهج منهج ومعلم معلم من مناهج هذا الكتاب ومعالمه اذ لم يمكن

---

(٥٨) الزهرة ٤ .

(٥٩) يلاحظ أن المؤلف لم يلتزم هذا العدد الذي يذكره للأبيات داخل كل باب وقد أوضح السبب في هذا في نهاية النصف الأول من كتابه . ينظر : الزهرة ٣٧١ .

(٦٠) ينظر : جذوة المقتبس ١٠٤ - ١٠٥ ، بغية الملتمس ١٤٠ - ١٤١ ، والكتاب مفقود لحد الآن فيما نعلم .

(٦١) الجليس الصالح ٢٧أ .

ادراج جميع ذلك في منهج واحد لأن ذلك يخرجه الى مباينة غيره من المناهج في الطول فيعدل بوضع الكتاب الى ضد ما قصدنا به من المناسبة والمعادلة ..»[٦٢].

ونظن أن من مظاهر الالتزام بهذه الفكرة ما نراه في بعض الكتب الأدبية القديمة من لجوء بعض المؤلفين الى تقسيم كل باب أو قسم رئيس من الكتاب الى أقسام فرعية تساوى من حيث العدد الأقسام الفرعية التي تحتوي عليها الأقسام الأخرى من الكتاب . ومن نماذج هذا ما نراه في كتاب اليتيمة للثعالبي اذ أنه قسم كل قسم رئيس من كتابه الى عشرة أبواب ، وشبيه به ما فعله جمال الدين الوطواط في كتابه «غرر الخصائص ..» اذ قسم هذا الكتاب الى ستة عشر بابا كل باب منها يشتمل على ثلاثة فصول في ثلاثة معان[٦٣].

وفي كل ما تقدم ما يكشف عن مسألة مهمة جدا من المسائل المنهجية في التبويب ، ذلك أن محاولة تساوي الأقسام الفرعية والعامة للكتاب أو تقاربها حجما يدل على أن المؤلف ذو تفكير منظم يستطيع بوساطته هندسة المواد وتنسيقها بأشكال متناسبة ، وغير خفي أن الالتزام بهذه الفكرة لم يكن عاما عند المؤلفين القدامى ، فقد وجد من خالفها الى جانب من طبقها ، ووجود طائفة من المؤلفين القدامى التزمت هذه الفكرة يعد دليلاً قوياً على مدى ما وصلوا اليه من تفكير منهجي دقيق لا سيما اذا تذكرنا أن هذه الفكرة قد يستبعد كثيرون معرفة القدامى بها ، واذا تذكرنا أيضا أن دراسي منهج البحث من المحدثين أكدوا عليها وأوصوا باتباعها للسير على خطوات علمية دقيقة في البحث[٦٤].

---

(٦٢) منهاج البلغاء ١٣١ .

(٦٣) ينظر : غرر الخصائص ٣ .

(٦٤) ينظر : منهج البحث الأدبي ٦٩ .

ولابد من الاشارة هنا الى أن هذه الأسس التي عرضناها في الصفحات السابقة قد تكون ملتزمة جميعها في كتاب واحد ، وقد يلتزم بعضها أو واحد منها في كتب أخرى .

الفصل السادس

النقد الخارجي

مقدمة : النقـد :

بعد أن يتم وضع الخطة المفصلة للبحث تبدأ مرحلة أخرى تتمثل في دراسة المعلومات المنقولة عن المصادر ونقدها للتوصل الى جملة أشياء ، أولاها التأكد من صحة هذه النصوص المنقولة وصحة نسبتها الى مصادرها ، وثانيتها تفسير هذه النصوص والتوصل الى معانيها الحقيقية اضافة الى التأكد من دقة أصحابها ومدى نزاهتهم فيما نقلوه ، وبعد اتمام هذه العمليات جميعاً يمكن للباحث استنتاج آراء من هذه النصوص أو الخروج بأحكام أدبية ونتائج معينة منها ، وهذه العمليات جميعاً ينتظمها في المصطلح الحديث اسمان هما : النقد الخارجي والنقد الداخلي .

ولم يكن القدامى ليجهلوا هاتين المرحلتين من مراحل منهج البحث ، كما أنهم لم يجهلوا مصطلح النقد نفسه ، فقد استعملوا هذه الكلمة قاصدين بها تمييز الصحيح من الزائف . يقول ابن منظور : «النقد والتنقاد : تمييز الدراهم واخراج الزيف منها ..»[1] ، وانتقل هذا المدلول المادي لكلمة «النقـد» الى

---

(١) لسان العرب (نقد) .

مدلول معنوي فقصدوا بعملية النقد دراسة النصوص دراسة فاحصة للتمييز بين الصحيح والموضوع منها . يقول القاضي عياض متحدثاً عن علم الحديث : «وهو علم ... متشعب الفصول والفروع فأول فصوله : معرفة أدب الطلب والأخذ والسماع ، ثم معرفة علم ذلك ووجوهه وعمن يؤخذ ... ثم التمييز والنقد لمعرفة صحيحه وسقيمه وحسنه ومقبوله»[٢]. كما انتقلت هذه اللفظة الى المجال الأدبي والفني فأطلقت على تمييز الحسن من الردىء في النصوص الأدبية ، واستعمل اللفظة بهذا المعنى كثير من المؤلفين في الأدب ، ومن المعروف أن قدامة بن جعفر كان من أوائل المؤلفين الذين خصصوا كتاباً لهذا الموضوع .

وكثر عند القدامى استعمال لفظتي «النظر» و «التأمل» للدلالة على التفكير واللجوء الى العقل في دراسة نص أو خبر معين لغرض فهمه والتوصل الى رأي أو استنتاج عن طريق دراسته . يقول الجاحظ : «وقد علمت أن في كثير من الحق مشبهات لا تستبان الا بعد النظر وهناك يختل الشيطان أهل الغفلة ... فلم أدع من تلك المواضع الخفية موضعاً الا أقمت لك بازاء كل شبهة منه دليلاً ...»[٣]. ويقول الآمدي : « ... وأكلك بعد الى اختيارك وما تقضي عليه فطنتك ، فينبغي أن تنعم النظر فيما يرد عليك ولن ينتفع بالنظر الا من يحسن أن يتأمل ، ومن اذا تأمل علم ، ومن اذا علم أنصف ...»[٤].

ومن الواضح أن هذه المصطلحات من نقد ونظر وتأمل بما دلت عليه من معان عديدة يمكن أن تدل على كثير من الخطوات التي يتبعها الباحث في مرحلتي النقد الخارجي والداخلي للنصوص الا انها مع هذا لا تدل على هذه الخطوات جميعاً ، فمصطلح النقد لا يشمل غير التمييز بين الصحيح والزائف من النصوص والأخبار ، فهو بهذا يمكن أن يطلق على عملية نقد المصدر فقط في

---

(٢) الالماع إلى أصول الرواية ٤ .

(٣) رسائل الجاحظ ٩٨/١ .

(٤) الموازنة ٣٨٩/١ .

مرحلة النقد الخارجي . وكذلك الحال بالنسبة الى مصطلحي النظر والتأمل فهما يمكن أن يدلا على دراسة النصوص بصورة عامة الا أنهما لا يستوعبان خطوات مرحلتي النقد الخارجي والداخلي للنصوص جميعاً . ولما كانت الخطوات العلمية التي عرفها العرب في هذا المجال لا تقل بشيء عما عرفه الدارسون المحدثون لم نجد بداً من استعمال المصطلحين الحديثين (النقد الخارجي والداخلي) لكيلا نهدر قسماً من تراث النقد العلمي للنصوص عند العرب . وسنوزع الكلام في هاتين المرحلتين على فصلين متميزين ، أولهما النقد الخارجي للنصوص وهو هذا الفصل ، وثانيهما النقد الداخلي للنصوص وهو الفصل الذي يليه .

(١)

نقد المصدر

يهدف النقد الخارجي الى هدفين متميزين أولهما التأكد من صحة نسبة النصوص والوثائق الى أصحابها ، وهو ما يسمى بنقد المصدر وثانيهما التأكد من صحة النصوص والوثائق في ذاتها وهو ما يسمى بنقد التصحيح .

ولما كان المصدر يهدف الى التأكد من صحة نسبة النص الى صاحبه صار خطوة مهمة وأساسية من خطوات النقد الخارجي ، ذلك أن اعتماد النصوص المزيفة النسبة يؤدي الى ان ننسب الى المؤلف أو صاحب النص ما ليس له أو ما لم يقله ، ومن ثم تكون النتائج التي نتوصل اليها من خلال دراسة هذه النصوص المزيفة نتائج خاطئة ، فعلى الباحث في هذه الحال أن يقوم بعمليات عديدة تقوده الى التأكد من صحة نسبة النصوص الى أصحابها . ويمكن القول بأن هذه العمليات التي اتبعها المؤلفون القدامى تتحدد بما يأتي :

تشخيص بواعث الوضع والانتحال

عرف المؤلفون القدامى كثيراً من الأسباب الداعية الى الوضع والانتحال في الكتب والنصوص الأدبية . فقد وجدت بعض الكتب المجهولة النسبة عندهم

لسبب يعرف عند الجاحظ في قوله : «ولربما خرج الكتاب من تحت يدي محصفا كأنه متن حجر أملس بمعان لطيفة محكمة وألفاظ شريفة فصيحة ، فأخاف عليه طعن الحاسدين ان أنا نسبته الى نفسي وأحسد عليه من أهم بنسبته اليه لجودة نظامه وحسن كلامه ، فأظهره مبهماً غفلاً في أعراض أصول الكتب التي لا يعرف وضاعها ...»[٥]. ولئن رأينا في عبارته الأخيرة ما يشير الى كثرة هذه الكتب الغفل ، ان ما نراه في عباراته الأولى ما يشير الى سبب من أسباب هذا الاغفال ، وهو خوف المؤلف من الطاعنين على الكتب وكثرة ناقديها ، والجاحظ نفسه يشير الى أنه كان يتعمد نسبة بعض كتبه الى العلماء والمؤلفين المشهورين للسبب السابق نفسه فيقول : «وربما ألفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه وألفاظه ، فاترجمه باسم غيري وأحيله على من تقدمني عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابي ومن أشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب فيأتيني اولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذي كان أحكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته علي»[٦].

ومثل هذا التزييف المتعمد لأسباب شخصية يقابله تزييف آخر في نسبة الكتب الى غير أصحابها لأسباب عنصرية ، ونستطيع أن نتبين هذا في قول الجاحظ : «ونحن لا نستطيع أن نعلم أن هذه الرسائل التي بأيدي الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة وقديمة غير مولدة اذ كان مثل ابن المقفع وسهل بن هارون وأبي عبيدالله وعبد الحميد وغيلان يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل ويصنعوا مثل تلك السير ...»[٧].

هذه آراء تدل على تفهم المؤلفين القدامى لمسألة الوضع والانتحال في الكتب وقد رأينا أنهم عرفوا من هذه المسألة بعض الدوافع التي تحمل على

---

(٥) رسائل الجاحظ ٣٥١/١ . والمحصف : القوي المحكم الذي لا خلل فيه (لسان العرب ـ حصف) .

(٦) رسائل الجاحظ ٣٥١/١ .

(٧) البيان والتبيين ٢٩/٣ .

اللجوء اليها . فاذا انتقلنا الى مجال الشعر والنصوص الأدبية واجهتنا آراء كثيرة تدل على فهم علمي لأسباب الوضع والانتحال تظهر فيما ذكروه من أسباب وما ورد لديهم من تعليقات على بعض النصوص . فقد انتبهوا الى أن العصبيات القبلية والاقليمية من الدوافع الرئيسة للوضع والانتحال ، وفي هذا يقول ابن سلام : «فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر ايامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسنة شعرائهم ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت ..»[٨].

ومن الدوافع التي انتبهوا اليها دافع آخر يتصل بما تقدم ، وهو وضع أسرة الشاعر وتزيدها في أشعار شاعرها للتنويه به ، ويبدو هذا واضحاً فيما يذكره الأصمعي من أن أولاد الأغلب العجلي كانوا يزيدون في شعر أبيهم حتى أفسدوه[٩]. وما يذكره ابن سلام الجمحي من أن داود بن متمم بن نويرة عندما قدم البصرة وتوجه اليه أبو عبيدة لسماع شعر أبيه منه ، أخذ يزيد فيه[١٠].

كما انتبهوا الى أن الرواة أنفسهم كانوا يزيدون في الأشعار وينحلونها الأقدمين طمعاً في الشهرة والنفع المادي الذي يصيبونه من رواية هذه الأشعار للأمراء وأصحاب السلطان . يقول ابن سلام : «قدم حماد البصرة على بلال ابن أبي بردة وهو عليها فقال : أما أطرفتني شيئاً ، قال : فعاد اليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مديح ابي موسى ، قال : ويحك يمدح الحطيئة أبا موسى لا أعلم به ، وأنا أروي شعر الحطيئة ، ولكن دعها تذهب في الناس»[١١].

وذهبوا أيضا الى أن قدم الشاعر وضياع شعره بسبب هذا القدم يكون مدعاة لوضع الأشعار ونسبتها اليه ، يقول ابن سلام : «ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد اللذين صح

---

(٨) طبقات فحول الشعراء ٤٦/١ .

(٩) فحولة الشعراء ١٣ .

(١٠) طبقات فحول الشعراء ٤٧/١ - ٤٨ .

(١١) نفسه ٤٨/١ .

لها قصائد بقدر عشر ، وأن لم يكن لها غيرهن فليس موضعها حيث وضعا من الشهرة ... وكانا أقدم الفحول فلعل ذلك لذاك ، فلما قل كلامها حمل عليها حمل كثير ...»[١٢].

ومن الدوافع التي انتبهوا اليها كون شعر الشاعر غريب الأسلوب لم يجر على الأسلوب المعروف للشعراء ، ومن ثم يكون مجال الوضع عليه كثيراً لأن ما يعرفه العلماء والرواة من الأساليب الشعرية المعروفة لا ينطبق على شعر هذا الشاعر مما يفسح المجال واسعاً أمام الوضاعين لوضع الأشعار ونسبتها اليه . وفي هذا يقول ابن سلام : «وعدي بن زيد كان يسكن الحيرة ويراكن الريف فلان لسانه وسهل منطقه فحمل عليه شيء كثير وتخليصه شديد ، واضطرب فيه خلف الأحمر وخلط فيه المفضل فأكثر ..»[١٣].

كما انتبهوا الى أن من أسباب الوضع والانتحال هو ما يشتهر به الشاعر من موضوع شعري معين يجعل الرواة ينسبون كل ما يصادفهم من أشعار مجهولة النسبة في هذا الموضوع الى ذلك الشاعر الذي اشتهر به ، ولهم في هذا أقوال عديدة منها قول الجاحظ : «ما ترك الناس شعرا مجهول القائل قيل في ليلى الا نسبوه الى المجنون ولا شعراً هذه سبيله قيل في لبنى الا نسبوه الى قيس ابن ذريح»[١٤]، ولم يقتصر هذا الأمر على الشعراء القدامى بل امتد حتى الشعراء العباسيين فكان لأبي نواس نصيب كبير منه ، اذ ان كل شعر في المجون نسب اليه كما يذكر ابن المعتز[١٥]، ويقول حمزة الأصفهاني أحد جامعي شعره : «وقد خص شعر أبي نواس من لهج الناس باضافة المنحول اليه بما ليس في غيره من الأشعار ، وذلك أن تعاطيه لقول الشعر كان على طريق غير طريقهم لأن جل أشعاره في اللهو والغزل والمجون والعبث ... فلما عرف طريق أبي نواس في الهزل وشهر به ألحق الناس بشعره كل ما وجدوه من جنسه لمن كان من

---

(١٢) نفسه ٢٦/١ .

(١٣) طبقات فحول الشعراء ١٤٠/١ .

(١٤) الأغاني ٨/٢ .

(١٥) طبقات الشعراء ٨٩ . وبشبهه ما جاء في ٢٧٠ - ٢٧١ اذ يذكر المؤلف أشعارا منسوبة الي أبي نواس وهي للحسين بن الضحاك .

الشعراء الذين لم يسر شعرهم»[16].

وللمنافسة الاقليمية بين المدارس العلمية أثرها في وضع الأشعار والزيادة فيها ، وفي هذا يقول ابن سلام في حديثه عن الأسود بن يعفر : «وذكر بعض أصحابنا أنه سمع المفضل يقول : له ثلاثون ومائة قصيدة ، ونحن لا نعرف له ذلك ولا قريباً منه ، وقد علمت أن أهل الكوفة يروون له أكثر مما نروى ويتجوزون في ذلك بأكثر من تجوزنا»[17]. وواضح أن تزيد الكوفيين في الرواية - كما يذكر ابن سلام - معناه أنهم كانوا يريدون الاشتهار بكثرة الرواية والظهور على البصريين في هذا المجال .

وشبيه بهذا الدافع الى الوضع ما كان يقوم به النحويون من صنع أشعار تلائم مذاهبهم النحوية ، ونسبتها الى شعراء قدامى ، ونلاحظ هذا واضحاً في قول أبي حاتم السجستاني : «أنشدني الأخفش بيتاً مصنوعاً لطرفة :

اضربَ عنك الهموم طارقها ضربك بالسوط قونس الفرس

وقال «أراد النون الخفيفة»[18]وقول أبي حاتم السجستاني في هذا البيت بأنه مصنوع يدل على أن الأخفش صنعه للاستشهاد بشعر شاعر قديم على مجيء نون التوكيد الخفيفة محذوفة ، وشبيه به ما ورد في كتاب النوادر اذ نلاحظ النص التالي : «وأنشد سيبويه لعبد الرحمن بن حسان :

من يفعل الحسنات الله يشكرها

فحذف الفاء لما اضطر ... وأخبرنا أبو العباس عن المازني عن الأصمعي أنه أنشدهم :

من يفعل الخير فالرحمن يشكره

قال : فسألته عن الرواية الأولى فذكر أن النحويين صنعوها ..»[19].

---

(١٦) ديوان أبي نواس ٧/١ - ٨ .

(١٧) طبقات فحول الشعراء ١٤٨/١ .

(١٨) النوادر ١٣ .

(١٩) النوادر ٣١ - ٣٢ .

هذه هي أهم الدوافع التي كانت في مفهوم القدامى سبباً للوضع والانتحال ، ومن الواضح أن تشخيص هذه الدوافع يمثل الخطوة الأولى من الخطوات العلمية المتبعة في نقد المصدر ، اذ أنه يقدم للباحث المبررات التي تسوغ له شكه في نسبة النصوص ، مما يمهد له اتباع الخطوات التالية لاكمال الهدف الأساس لنقد المصدر .

الرجوع الى الدواوين الشعرية

يلاحظ أن كثيراً من المؤلفين القدامى كانوا يرجعون الى الدواوين الشعرية للتأكد من صحة نسبة ما يرد عن الرواة من نصوص أدبية . فأبو بكر الصولي حينما تختلط نسبة بعض الأشعار بين أشجع السلمي وأخيه أحمد عند الرواة يعمد الى الرجوع الى ديوان أحدهما ويعد ما هو مدون الأساس في تصحيح نسبة هذه الأشعار وفي هذا يقول : «وههنا أشعار نسبها أقوام الى أحمد ووجدتها في شعر أشجع فجئت بها له اذ كان لسعة شعره وشهرته أولى بها ولست أذكر لأحمد الا ما وجدته بخط أثق به أو رويته ..»[٢٠] وكلامه هذا صريح في أنه يعتمد الديوان الشعري الموثق أو النصوص المدونة التي يثق بها في تصحيح نسبة هذه الأشعار التي تختلط نسبتها بين شاعرين عند غيره . وللمؤلفين القدامى كثير من الاشارات الى هذا النوع من تصحيح النسبة فهم حينما تختلط نسبة الأشعار بين أكثر من شاعر يتصفحون الدواوين ويعدونها المرجع الأساس في توثيق نسبة الأشعار وصحة نسبتها الى شاعر دون آخر[٢١] ، وقد وصل بعضهم في هذا المجال الى درجة كبيرة من الدقة ، ولأبي الفرج الأصفهاني نص قيم في هذا الموضوع ، اذ يقول في ترجمة الشاعر ابن المولى :

---

(٢٠) اخبار الشعراء ١٤٠ - ١٤١ .

(٢١) ينظر على سبيل المثال ، ما ذكره القالي في أماليه ١٨٣/١ ، من أنه رجع الى ديوان جميل بن معمر فلم يجد فيه ابياتا رواها ابن الأنباريّ له ، وما يذكره البكري في سمط اللآلي ٢٦١/١ من نسبة أبي علي القالي أشعارا الى أيمن بن خريم وجدها البكري في ديوان الاقيشر ومن ثم نسبها الى الأقيشر ، وما يذكر في يتيمة الدهر ١٤٥/١ ، ٢١٩ ، ١٧٥/٢ ، وتتمة اليتيمة ٣٣/١ - ٣٤ من نصوص تشير كلها الى رجوع المؤلف الى دواوين شعرية للتأكد من صحة نسبة الأبيات التي تروى لشعراء عديدين .

«صوت من المائة المختارة :

سلا دار ليلى هل تبين فتنطق وأنى ترد القول بيداء سملق

وأنى ترد القول دار كأنها لطول بلاها والتقادم مهرق

... الشعر لابن المولى ، وذكر يحيى بن علي بن يحيى بن أبي اسحاق أن الشعر للأعشى ، وذلك غلط ، وقد التمسناه في شعر كل أعشى ذكر في شعراء العرب فلم نجده ، ولا رواه أحد من الرواة لأحد منهم ، ووجدناه في شعر ابن المولى من قصيدة له طويلة جيدة ...»[٢٢]. وعمل الأصفهاني هذا يدل على دقة عملية وتحرج كبير في محاولة التأكد من صحة نسبة النص ، اذ إن هناك راوية واحدا فقط شكك في صحة نسبة البيتين السابقين الى ابن المولى ونسبهما الى الأعشى ، ولم يستطيع الأصفهاني تجاوز هذا التشكيك على الرغم من صدوره عن رواية واحد فقط فعمد الى مطالعة شعر كل شاعر لقب بالأعشى من شعراء العرب ، والذين وصلت الينا أسماؤهم ممن يلقب بالأعشى سبعة عشر شاعراً ذكرهم الآمدي[٢٣]، وتتبع أشعار مثل هذا العدد من الشعراء لتصحيح نسبة بيتين من الشعر عمل لا يخفى ما فيه من جهد علمي وسعي وراء التثبت والتأكد من صحة نسبة النص . كما نرى أبا عبيد البكري يقول : «وأنشد أبو علي لكعب بن زهير :

ثنت أربعاً منها على ظهر أربع فهن بمثنياتهن ثمان

لا أعلم هذا البيت لكعب ، وقد جمعت من شعره كل رواية ..»[٢٤]، وهو بقوله هذا يقدم الينا أنموذجاً فذاً أيضاً في التأكد من صحة النسبة ، اذ انه لم يكتف برواية واحدة لديوان كعب بل جمع كل الروايات المعروفة للديوان بغية مزيد من التأكد .

الدراسة الداخلية للنص :

عرف المؤلفون القدامى وسيلة علمية مهمة من وسائل التأكد من صحة

---

(٢٢) الاغاني ٣/٢٨٥ .

(٢٣) ينظر : المؤتلف والمختلف ١٠ ـ ٢١

(٢٤) سمط اللآلي ١/٤٢٠ - ٤٢١ .

نسبة النص الى صاحبه أو رفضها ، تتمثل في دراسة النص دراسة داخلية تحليلية تهدي الى الكشف عن بعض الأدلة التي تسوغ للباحث شكه في صحة نسبة النص الى من ينسب اليه أو تصحيحه لتلك النسبة .

والأدلة التي تقدمها هذه الدراسة التحليلية للنص تبدو أولاً في الكشف عن بعض الخصائص اللغوية والتعبيرية داخل النص بحيث تكون مثل هذه الخصائص مسوغا كافياً للشك في صحة نسبة النص الى من ينسب اليه أو دليلاً على خطأ نسبته . ونستطيع القول بأن المؤلفين القدامى عمدوا الى اتباع مثل هذه الطريقة منذ أوائل القرن الثالث للهجرة ، اذ يقول ابن سلام متحدثاً عن الوضع والانتحال : «وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون ، وانما عضل بهم أن يقول الرجل من اهل البادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الاشكال ..»[٢٥]، وكلامه هذا صريح في أن العلماء كانوا في سبيل تبين الصحيح من المنحول يعمدون الى دراسة الأشعار للاستدلال بما فيها من خصائص لغوية على مصدرها الأصلي ، اذ ان صعوبة معرفتهم لما يضع أبناء الشاعر من شعر على لسان شاعرهم ، معناه أن هؤلاء الأبناء يحاكون الخصائص اللغوية والتعبيرية لذلك الشاعر ، ومن ثم يصعب على العلماء تمييز هذا المنحول الذي يصنعونه . ويقول الصولي متحدثاً عن شعر أبي نواس : «فان الجهال من المنتحلين للأدب المدعين لما لا يحسنون والمتصدين بغير حق فيه والظانين أنهم اذا فهموا فناً من فنون العلم فقد فهموا كل العلم ، ويرون أن كل شعر قد قيل في وصف الخمر فهو له ، وأنهم قد أسندوه اذ جهلوا قائله الى الأولى به عند أنفسهم ... وذهب عنهم تمييز الكلام وترتيبه وتهذيب ألفاظه ووضع كل كلمة موضعها ، وظنوا أن ذلك يذهب على نقاد الشعر العلماء به المميزين له كما ذهب ذلك عليهم ...»[٢٦].

عرف المؤلفون القدامى إذن وسيلة علمية مهمة في سبيل معرفة المصدر

---

(٢٥) طبقات فحول الشعراء ٤٦/١ - ٤٧ .

(٢٦) ديوان أبي نواس (رواية الصولي) ٢ب - ٣أ .

الأصلي للنص تستند الى دراسة ذلك النص دراسة تحليلية من حيث لغته وأسلوبه ، وكانت هذه الوسيلة رائد كثير من المؤلفين في الأدب فاتبعوها منبهين بوساطتها على شكهم في المصدر المنسوب اليه النص أحياناً وتصريحهم بالمصدر الحقيقي للنص أحياناً أخرى ومن مظاهر اتباع هذه الطريقة ما نراه في كتاب الحيوان للجاحظ اذ يقول : « .. وفي مثل ذلك يقول ابن عبدل - ان كان قاله - وانما قلت هذا لأن الشعر يرتفع عنه ، والشعر قوله ...»[٢٧]، وواضح أن الجاحظ يشك في نسبة الأبيات التي يوردها الى هذا الشاعر استناداً الى أن هذه الابيات خارجة عن قدرة الشاعر المذكور ، مما يدل على أن الجاحظ يعرف الأسلوب الشعري لهذا الشاعر ، ومن ثم رأى في هذه الأبيات من الخصائص الأسلوبية ما يجعلها خارجة عن قدرته . كما يصادفنا في كتابه البيان والتبيين النص التالي : «وتزعم بنو تميم أن صبرة بن شيمان قال في حرب مسعود والأحنف : اذا جاء حتات جئت ، وان جاء الأحنف جئت ، وان جاء جارية جئت ، وان جاء واجئنا وان لم يجيئوا لم نجيء ، وهذا باطل ، قد سمعنا لصبرة كلاماً لا ينبغي ان يكون صاحب ذلك الكلام يقول هذا الكلام ..»[٢٨]واضح أيضا أن رفض الجاحظ نسبة الكلام السابق الى قائله كان مستنداً الى ما عرفه من اساليب تعبيرية لصاحب هذا القول ، وهي لا تتوفر في هذا القول المنسوب اليه .

ويقول ابن الجراح في كتابه الورقة : «وقد قال راشد بن اسحاق أبو حكيمة في هذا المعنى ، وذكر لي محمد بن نصر أنها لأبي مسلم الخلق ، ولم يصنع شيئا لأن هذا ليس من نمط أبي مسلم ...»[٢٩]، ويقول أبو الفرج الأصفهاني في ترجمة السيد الحميري : «وقد روى بعض من لم تصح روايته أنه رجع عن مذهبه وقال بمذهب الامامية ، وله في ذلك :

---

(٢٧) الحيوان ٢٣٦/١ .

(٢٨) البيان والتبيين ٢٣٧/٢ .

(٢٩) الورقة ٨٢ .

تجعفرت باسم الله والله أكبر وأيقنت أن الله يعفو ويغفر

وما وجدنا ذلك في رواية محصل ، ولا شعره أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب لأن هذا شعر ضعيف يتبين التوليد فيه ، وشعره في قصائده الكيسانية مباين لهذا جزالة ومتانة وله رونق ومعنى ...»[٣٠]، وكلامه هذا في رفض نسبة البيت السابق الى السيد الحميري واضح الدلالة على أنه يرى فيه اختلافا ومباينة لأسلوب السيد الشعرى كما عرفه في قصائده الأخرى . وكل هذا وكثير غيره من النصوص الواردة عن المؤلفين القدامى[٣١]، يثبت أن هؤلاء المؤلفين عرفوا وسيلة مهمة من وسائل نقد المصدر تتمثل في الدراسة الداخلية للنص لمعرفة لغته وأسلوبه ومن ثم التعرف على مصدره الأصلي .

وللدراسة الداخلية للنص مجال آخر غير معرفة اللغة والأسلوب ، يتمثل في الاستناد الى ما يرد في النص من أعلام تكون دليلاً على معرفة الشاعر الأصلي ، ونلاحظ هذا في قول ابن قتيبة متحدثاً عن ابي نواس : «وفيه يقول والبة بن الحباب :

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلي ولم أنم

.....

على أن أكثر الناس ينسبون الشعر الى أبي نواس ، وانما هو لوالبة قاله فيه...»[٣٢]. وابن قتيبة حين يرفض نسبة هذه الأبيات الى أبي نواس يستند الى ما جاء في البيت الأول ، اذ إن الخطاب في هذا البيت موجه الى رجل منسوب الى (حكم) وأبو نواس هو المنسوب هذه النسبة ، ومن ثم لم يكن هو القائل لهذه الأبيات .

ويذكر ابو الفرج الأصفهاني عن بعض الرواة أنه سمع أبا العتاهية ينشد لنفسه :

مرت اليوم شاطره بضة الجسم ساحره

---

(٣٠) الأغاني ٢٣٥/٧ - ٢٣٦ .

(٣١)ينظر : البخلاء ٢٢١ - ٢٢٢ ، الأغاني ٢٤٣/١ - ٢٤٥ ، ٩٧/٩ ، ٧٣/١٣ ، ٢٦٣/١٤

ان «دنيا» هي التي مرت اليوم سافره
سرقوا نصف اسمها فهي دنيا وآخره

ثم يعلق على هذا بقوله : «قال علي بن الحسين مؤلف هذا الكتاب : هذه الأبيات لأبي عيينة المهلبي وكان يشبب بدنيا في شعره ...»[٣٣]، وأبو الفرج حين يصحح نسبة الأبيات المتقدمة يستند الى ما جاء فيها من اسم اشتهر بالتغزل به شاعر معين .

التنبيه على الزيادات في النصوص :

لنقل المصدر مظهر آخر يتمثل في بيان الزيادات والاضافات في النصوص . فقد تدخل النص بعض الزيادات بعوامل متعددة مختلفة ، منها ما يكون متعمداً كأن يزيد الناسخ على النص الأصلي بعض الألفاظ والعبارات لغرض توضيحه ، ومنها ما يحدث سهوا اذ يتوهم بعض الرواة في رواية بعض الأشعار فيدخلونها في قصائد تتحد معها وزنا وقافية نتيجة نسيانهم لمصدرها الأصلي ، وفي هذه الحالات جميعا لابد أن يحاول الباحث تبيان هذه الزيادات والتنبيه عليها ومحاولة ارجاعها الى مصادرها الأصلية لئلا تبق داخلة في النص الأصلي الذي يدرسه ومن ثم تكون نتائجه وأحكامه التي يستنتجها من هذا النص خاطئة لاعتمادها نصوصاً ليست لصاحب النص .

وتصادفنا الاشارات الى مثل هذا النوع من نقد المصدر في الكتب القديمة منذ العصر الأول للتأليف اذ نجد ابن هشام يذكر قصيدة طويلة لأحد الشعراء الاسلاميين ثم يقول بعدها :«قال ابن هشام : البيت الذي أوله : (فطأ معرضاً ان الحتوف كثيرة) والبيت الذي يليه : (فوالله ما يدري الفتى كيف يتقي) لأفنون التغلبي ، وهو صريم بن معشر في أبيات له ..»[٣٤]ويلاحظ أن ابن هشام

١٩/٢١ - ٢٠ ، معجم الشعراء ٤٠٣ ، الوساطة ١٩٧ - ١٩٨ ، خريدة القصر (عراق) ٣٠/٢ - ٣١ ، معجم الأدباء ٢٥٥/٢ .

(٣٢) الشعر والشعراء ٦٨٠/٢ - ٦٨١ .

(٣٣) الاغاني ٨٣/٤ - ٨٤ .

(٣٤) سيرة ابن هشام ١٣٣/٢ - ١٣٥ .

نبه على وجود بيتين من هذه القصيدة التي أوردها يرجعان لشاعر آخر ، ومثل هذا التنبيه يمكن أن يعد مرحلة أولية من مراحل التنبيه على الزيادات والاضافات التي تدخل في النص الأدبي ، فهو يخلو من التعليل العلمي لأسباب هذه الاضافات وكيفية دخولها في النص ، على اننا اذا تقدمنا الى ما بعد عصر ابن هشام بقليل وجدنا هذه المسألة تأخذ شكلاً علمياً ، اذ يقوم المؤلف أو العالم بتقديم التعليل العلمي لكيفية دخول هذه الاضافة والزيادات . ومن امثلة هذا ما نجده في كتاب طبقات الشعراء لابن سلام اذ يقول : «وأخبرني خلف أنه سمع أهل البادية من بني سعد يروون بيت النابغة للزبرقان ابن بدر ، فمن رواه للنابغة قال :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي مربض المستنفر الحامي

.....

وسألت يونس عن البيت فقال : هو للنابغة أظن الزبرقان استزاده في شعره كالمثل حين جاء موضعه لا مجتلباً له وقد تفعل ذلك العرب لا يريدون به السرقة ..»[٣٥]. وفي هذا الكلام الذي يرويه ابن سلام عن يونس نلمس سببا من الأسباب التي عرفها القدامى لتفسير دخول الزيادات في النصوص ، وهو أن بعض الأبيات الشعرية والكلمات البليغة تصبح كالمثل السائر بين الناس فتدخل في نصوص أدبية أخرى للتمثل بها ، فيفوت هذا الأمر بعض الرواة ويحسبون المثل جزءاً من النص الأصلي ، ولم يكن هذا ليفوت المؤلفين والعلماء ومن ثم كثرت تنبيهاتهم عليه مقدمين السبب في حدوثه ، من مثل ما نلاحظه في قول الجاحظ : « ... ومثله قول الراعي :

فلو كنت معذوراً بنصرك طيرت صقورى غربان البعير المقيد

هذا البيت لعنترة في قصيدة له . ضرب ذلك مثلا للبعير المقيد ذى الدبر اذا وقعت عليه الغربان ..»[٣٦] وقوله : «ضرب ذلك مثلاً» يؤيد ما لاحظناه وما

(٣٥) طبقات فحول الشعراء ٥٧/١ - ٥٨ .

(٣٦) الحيوان ٤١٦/٣.

عرفه القدامى من أن دخول بعض النصوص الأدبية في بعض ونسبتها الى أكثر من شاعر انما يرجع الى كون هذه النصوص أمثالاً وكلمات سائرة . وشبيه به ما يذكره ابن الأبار القضاعي في قوله : « ... وكما ينسب أيضا الى يحيى بن اسحاق بن غانية المسوفي أنه قال :

واذا تجيش النفس قلت لها قرى ... موت يريحك أو ركوب المنبر

ما قد قضي لا بد أن تلقينه ... ولك الأمان من الذي لم يقدر

وهذا الشعر الأخير انما هو لأبي الحسن التهامي وهو موجود في ديوانه والذي قبله يروى لابن المعتز وغيره ، والظاهر أنهم يتمثلون بما يحفظون فيتوهم سامعهم أن ذلك لهم ..»[٣٧].

وسبب ثان من أسباب الزيادة في النصوص انتبه اليه المؤلفون القدامى هو أن بعض الأبيات الشعرية تكون مما يتغنى به ، وأبيات الغناء - كما هو معروف - تشيع ويرددها كثيرون دون عناية بمصدرها الأصلي ، وقد تدخل بعض هذه الأبيات في نصوص أخرى اذا كانت ملائمة لها في الوزن والقافية والموضوع دون أن ينتبه بعض الرواة الى هذا ، فينتبه اليه المؤلف وينبه عليه مقدماً تعليلاً له ، ومن أمثلة هذه الظاهرة ما ورد في كتاب الأغاني اذ نجد النص التالي : « ... حدثني هارون بن موسى الفروي قال : كان ابن عم للعجير السلولي اذا سمع بأضياف عند العجير لم يدعهم حتى يأتي بجزور ... ثم مات فقال العجير يرثيه :

تركنا أباالأضياف في ليلة الصبا ... بمر ، ومردى كل خصم يجادله

وأرعيه سمعي كلما ذكر الأسى ... وفي الصدر مني لوعة ما تزايله

وكنت أعيرالدمع قبلك من بكى ... فأنت على من مات بعدك شاغله

هكذا ذكر هارون بن موسى في هذا الخبر ، والبيت الثالث من هذه الأبيات للشمردل بن شريك لا يشك فيه ، من قصيدة له طويلة . فيه غناء قد ذكرته في اخباره ...»[٣٨]. وقوله في نهاية تعليقه هذا : «فيه غناء» يشير الى أن

(٣٧) الحلة السيراء ٢/٢٧٧ .

(٣٨) الأغاني ١٣/٧٧ .

رواية هذه الأبيات وهم في عد البيت الأخير منها لكونه من أبيات الغناء المشهورة ، ويبدو أن راوي الأبيات نسي مصدر البيت الأخير فعده في جملة الأبيات السابقة لمشابهته لها في الموضوع والوزن والقافية .

التنبيه على النصوص المسروقة :

والمظهر الأخير من مظاهر نقد المصدر يتحدد بتمييز المصادر التي استعان بها مؤلفو النصوص دون اشارة اليها ، اذ كثيرا ما يسرق بعض المؤلفين نصوصا كاملة دون تنبيه على مصدرها الأصلي ، ومعرفة هذه النصوص المسروقة من أهم ما يجب على الباحث لئلا يقع في خطأ الاستنتاج ان هو عد هذه النصوص منسوبة الى من سرقها . والانتباه الى هذه النصوص المسروقة يرجع أول ما يرجع الى التطابق التام بين النصوص ، اذ لا يمكن أن يتفق مؤلفان في رواية حادثة أو تعليق على نص أدبي اتفاقاً تاماً في التعبير والمصطلحات ، فاذا رأى الباحث شيئاً من هذا القبيل عرف أن المؤلف المتأخر سرق من المؤلف المتقدم ، ومن ثم فما يراه عند هذا المؤلف المتأخر لا يمكن أن ينسب اليه .

ولم تكن هذه الظاهرة خافية عن أذهان المؤلفين القدامى ، فقد عرفوها ونبهوا عليها . اذ وجد فيهم - كما هو الحال في كل عصر ومكان - سراق عديدون ينقلون نصوصا كاملة دون اشارة الى مصدرها ، أو يسرقون كتبا كاملة في بعض الأحيان . ونجد النص على هذه الظاهرة في بداية كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة اذ يقول راوي الكتاب : «حدثني أحمد بن عبيد الله بن أحمد قال : أملى علينا أبو بكر محمد بن يحيى الصولي رحمه الله هذا الكتاب ، وكان سبب املائه اياه علينا أن رجلاً ممن كان يحضر مجلسه يحضر مجلس أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري رحمه الله ، فرأى يوماً في يده كتاباً فأخذ يقرؤه فوجده مجلساً من كتاب الزاهر فقال : هذا منقول من كتاب الفاخر للمفضل ابن سلمة كما نقل أبو محمد بن قتيبة كتابه في المعارف من كتاب المحبر لابن

حبيب ، فلما كان المجلس الآخر أخرج كتابه الفاخر فأملى علينا ..»[٣٩] وواضح من هذا النص أن الرجل الذي قرأ مجلساً من كتاب الزاهر لابن الانباري عرف مباشرة أنه منقول من كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة ، ومعرفته هذه كانت بوساطة قراءته السابقة لكتاب المفضل ، مما يشير الى أن الاتفاق التام بين النصين هو الذي هداه الى هذه المعرفة . ولم يكن ابن الأنباري وحيداً في هذا العمل بل كان ابن قتيبة - كما يشير النص السابق - سارقاً لكتابه في المعارف من كتاب المحبر لابن حبيب[٤٠]، وسارقاً لكتب أخرى من مؤلفين آخرين اذ يقول المسعودي بعد أن يورد بعض المعلومات الجغرافية : «وقد حرر ذلك في كتابه أبو حنيفة الدينوري وقد سلب ذلك ابن قتيبة ونقله الى كتبه نقلاً ... وقد فعل ذلك في كتب من كتب أبي حنيفة الدينوري ..»[٤١]. ويبدو أن ظاهرة السرقة هذه كانت عند بعض القدامى على نطاق واسع ، ولهذا يعمد المسعودي في كتابه مروج الذهب الى ذكر كلمة ردع وتخويف لهؤلاء السراق فيقول : «فمن حرّف شيئاً عن معناه أو أزال ركناً من مبناه أو طمس واضحة من معالمه أو لبس شاهدة من تراجمه أو غيره أو بدله أو أشانه أو اختصره أو نسبه الى غيرنا أو أضافه الى سوانا فوافاه من غضب الله وسرعة نقمته وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره ويحار له فكره ... وقد جعلت هذا التخويف في أول كتابي هذا وآخره ليكون رادعاً لمن ميله هوى ...»[٤٢].

وقد يعمد السراق والمنتحلون للنصوص الى اخفاء مظاهر السرقة ومحاولة طمس معالمها بتغيير بسيط لبعض العبارات والألفاظ ، وقد انتبه القدامى الى هذا النوع من السرقة أيضا ولم يفتهم صنيع السراق هذا ، فنبهوا عليه ، اذ نلاحظ في كتاب التنبيهات على أغاليط الرواة النص التالي : «وكان هذا الكتاب - أعني المقصور والممدود - قرىء على أبي الطيب المتنبي بمصر سنة

(٣٩) الفاخر ١

(٤٠) مطالعة الكتابين تثبت هذا بما لا يقبل الشك .

(٤١) مروج الذهب ٢٠٢/٢ .

(٤٢) مروج الذهب ٢٧/١ .

٣٤٧ هـ فرد فيه على ابن ولاد أغلاطاً وبينها واستشهد عند بعضها فجمع رد أبي الطيب وشواهده بعض المصريين وادعاه لنفسه بعد خروج أبي الطيب عن مصر ، وأضاف اليها أشياء من عنده غلط فيها هو ...»[٤٣]، ويؤيد هذا أيضا قول أبي حيان التوحيدي : «واذا رأيت تلك الرواية محرفة والعبارة فاسدة علمت بأن سارقاً سرق ومنتحلاً انتحل والغارة من الكتاب والمصنفين شديدة على ما سلف للمتقدمين ..»[٤٤].

(٢)

نقد التصحيح

يهدف نقد التصحيح الى التأكد من صحة النصوص والوثائق التي يجمعها الباحث ، ولهذا كان يعني عديداً من العمليات التي توصل الباحث الى هذا الغرض .

وأول عملية يقوم بها الباحث في هذا المجال هي أن يتأكد من أن النص الذي أمامه هو كما تركه صاحبه أو قريب منه . فاذا كان النص قريباً من عصر المؤلف أو معاصرا له ، كانت معرفة هذا الأمر ميسورة لا تحتاج الى كبير عناء ، فيكفي أن يأخذ الباحث ذلك النص من مصدره الأصلي ان كان معاصرا له ، أو يأخذه ممن أخذ هذا النص عن مؤلفه ان كان ممن يوثق به . ونحسب أن القدامى عرفوا هذه المرحلة من مراحل نقد التصحيح فيما يواجهنا في أخبارهم من نصوص تشير الى قراءة الكتب على مؤلفيها وعرضها عليهم ، أو قراءة النصوص على أصحابها وأخذها ممن نقلها عنهم ، فمن مظاهر أخذ النصوص عن أصحابها ما نراه عند الثعالبي في مواضع كثيرة من كتبه ، اذ إنه كان في معظم الأحيان ينقل القطع الشعرية والنصوص الأدبية عن أصحابها أنفسهم ، من مثل قوله في ترجمة القاضي عالي بن علي الشيرازي : «وكنت اقتبست من نوره واستمليت منه أبياتاً وأعددته لهذا الكتاب»[٤٥]، وما يواجهنا في

---

(٤٣) التنبيهات على أغاليط الرواة ٣٢٥ .

(٤٤) البصائر والذخائر ١١٩/٢ .

(٤٥) تنظر : أخبار البحتري ٥٢ .

نصوص أخرى من قراءة المؤلفين للنصوص الشعرية عقب أصحابها أو على من له علاقة بهم ، كالذي يذكره الصولي من أن أحد الأدباء كان يتوجه الى البحتري ويقرأ عليه شعره وما يذكره الحميدي في ترجمة محمد بن عبدالواحد اذ يقول : «ومن نظمه ، ونسخته وقرأته من خطه رحمه الله على الشيخ أبي محمد ابن عمه ...»[٤٦].

ومن الواضح أن هذه الطريقة لا تتأتي لكثير من المؤلفين في سهولة ، وخصوصا اذا وجد المؤلف أمامه كثيراً من النصوص التي تهمه في بحثه ، هذا زيادة على أن كثيراً من النصوص القديمة قد تضيع النسخ الأصلية منها فيجد المؤلف نفسه أمام نسخ منقولة عن تلك النسخ القديمة ، مما يحمله على اتباع طريقة أخرى يتمكن بوساطتها من الحصول على نص قريب من النص الأصلي ، وهذه الطريقة هي طريقة المقابلة والمعارضة أو ما عرف في المصطلح الحديث باسم «التحقيق» .

ويمكن أن نلاحظ اتباع هذه الطريقة عند كثير من المؤلفين القدامى متمثلة في مظهرين متميزين ، الأول هو تحقيق النص الشعري والخبر الأدبي وغيرهما من النصوص التي تأتي بصورة انفرادية داخل الكتاب ، والثاني هو تحقيق الكتب والدواوين الشعرية[٤٧].

أما تحقيق النصوص المفردة فيظهر في كثير من الكتب الأدبية منذ الحقبة الأولى للتأليف الأدبي ، وهو في كتب هذه الحقبة يمثل مرحلة مبسطة من التحقيق . اذ يقابل المؤلف بين المرويات المختلفة للنص ويكتفي بهذه المقابلة دون شرح وتبيان ، ودون ترجيح لاحداها على الأخرى ، ففي كتاب النقائض لأبي عبيدة كثير من النصوص مثبتة في صلب الكتاب ومتلوة بالروايات الأخرى لذلك النص ، من مثل قوله في بيت جرير :

---

(٤٦) جذوة المقتبس ٧٣ - ٧٤

(٤٧) لسنا بصدد عرض كامل لأصول التحقيق العلمي عند المؤلفين القدامى ، ولهذا سنكتفي هنا بما وجدناه في الكتب الادبية فقط دون محاولة للتفصيل وتتبع مظاهر التحقيق في الكتب الاخرى ، فقد سبقنا الى هذا الدكتور شوقي ضيف في كتابه «البحث الادبي» اذ قدم في مواضع عديدة من هذا الكتاب صورة شاملة لأصول التحقيق عند القدامى ، وقد توصل الى نتيجة لا مجال للشك فيها وهي قوله بان اسلافنا لم يبقوا لنا ولا للمستشرقين شيئا يمكن أن يضاف بوضوح الى عالم تحقيق النصوص (البحث

أخوالبؤس أما مابدا من عظامه فبـاد وأمـا مخّهنّ فرير

اذ يقول بعده : «وروى :

أخو البؤس أمالحمه عن عظامه فعـار .....»[٤٨]

وفي سيرة ابن هشام نرى النص التالي : «قال ابن اسحاق : وكان أول شعر قيل في الهجرة بيتين قالهما ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر :

تداركت سعداً عنوة فأخذته وكان شفاء لو تداركت منذراً

ولو نلته طلت هناك جراحه وكان حرياً أن يهان ويهدرا

قال ابن هشام : ويروى : وكان حقيقاً أن يهان ويهدرا ...»[٤٩].

ويلاحظ أن هؤلاء المؤلفين يثبتون رواية للنص ثم يعقبونها بذكر الرواية الأخرى ، مما يحمل على الظن أن هذه الرواية التي يثبتونها هي الرواية المعتمدة لديهم كأن تكون مأخوذة عن عالم أو راو يثقون به ، فهم يثبتونها أولاً ثم يعقبونها بالأخرى التي لا تصل في رأيهم الى درجة الرواية الأولى ، الا انها مع هذا لا تطرح لأنها مأخوذة عن راو معروف ، وهذا ما يفسر تحرج هؤلاء المؤلفين في الترجيح بين هذه الروايات لئلا يؤدي هذا الترجيح الى تخطئة عالم معروف .

ويضاف الى هذه المقابلة بين المرويات أحياناً بعض الشروح اللغوية للمفردات مقترنة بمقابلة المرويات ، وتكون هذه الشروح اللغوية توضيحاً لأوجه المقابلة ، كما نرى هذا في كتاب النقائض اذ ان المؤلف بعد أن يذكر قول الفرزدق :

ومستنفزات للقلوب كأنها مها حول منتوجاته يتصرف

يقول : «ومستنفزات أي محركات للقلوب ، كما ينفز السهم اذا حرك ، ومستنفزات للقلوب يعني يستنفزن القلوب أي يدعونها فتجيب ، وقوله : مها ، المها : البقر الوحشية شبه النساء بهن ورد الهاء في منتوجاته على لفظ المها

(٤٨) النقائض ٣٦/١ .

(٤٩) سيرة ابن هشام ٥٩/٢ .

لأنه مذكر ، وقد يؤنث أيضا فيروى : منتوجاتها ..»[٥٠].

وتتخذ هذه المقابلة بين المرويات شكلاً آخر لا يقتصر فيه على ايراد رواية واحدة مخالفة للرواية المثبتة ، بل تورد عدة مرويات عقب الرواية المثبتة مما يدل على مرحلة أدق من سابقتها في التحقيق ، اذ ان هذا يشير الى أن المؤلف يستقصي المرويات المختلفة ولا يكتفي برواية واحدة أو روايتين محاولة منه لضبط النص وتبيان كل الوجوه المحتملة لقراءته ، ومن أمثلة هذا ما نراه في كتاب النقائض بعد إيراد قول جرير :

فلست بواف بالزبير ورحله ولا أنت بالسيدان بالحق تنصف

إذ يقول : «ويروى : فلست بموف ، ويروى : ولا أنت بالسيدان في الحي منصف ، ويروي : في الحكم تنصف ..»[٥١].

وبتقدم الزمن قليلاً يكتسب اثبات المرويات العديدة دقة أكثر فيما نلاحظه من اثبات وجوده القراءات وتفسيرها وتعليلها وترجيح بعضها على الآخر . ففي طبقات الشعراء لابن سلام نرى النص التالي : «وقال يونس : قال ابن أبي اسحاق في بيت الفرزدق :

وعض زمان يابن مروان لم يدع من المال الا مسحتاً أو مجرف

ويروى أيضاً : مجلف ، المجرف الذي تجرفته السنة وقشرته ، والمجلف الذي صيرته جلفاً ، وللرفع وجه . قال أبو عمرو : ولا أعرف لها وجهاً وكان يونس لا يعرف لها وجهاً . قلت ليونس : لعل الفرزدق قالها على النصب ولم يأبه ، فقال لا ، كان ينشدها على الرفع وأنشدنيها رؤبة على الرفع ، وتقول العرب : سحته وأسحته يقرأ بهما جميعاً في القرآن ...»[٥٢].

ولم يقتصر ايراد المرويات المختلفة على النصوص الشعرية ، بل اتبعت الطريقة نفسها في تصحيح النصوص الاخبارية أيضا ، فابن المعتز مثلاً عندما

---

(٥٠) النقائض ٥٤٩/٢ .

(٥١) نفسه ٥٩١/٢ - ٥٩٢ .

(٥٢) طبقات فحول الشعراء ٢١/١ - ٢٢ .

يتطرق في كتابه طبقات الشعراء الى سبب وفاة علي بن جبلة العكوك يورد أكثر من رواية واحدة تروى في سبب وفاة هذا الشاعر ثم يرجح احداها ويقول : «والأولى عندنا أثبت ، انما مات علي بن جبلة حتف أنفه ...»[٥٣].

وسار القدامى على هذه الطريقة نفسها في تصحيح النصوص المنقولة عن الكتب المدونة والدواوين الشعرية ، اذ يثبت بعض المؤلفين النص أولاً ثم يذكر الخلافات الواردة في قراءة بعض كلماته في الكتب الأخرى ، مما يدل على أن المؤلف كان يقوم بجمع ما يمكن جمعه من الكتب التي تتعلق بالنص ويقابل بينها لغرض التوصل الى القراءة الصحيحة للنص الذي ينقله . فني كتاب الأمالي للقالي نلاحظ النص التالي : «وأملى أبو العهد صاحب الزجاج قال : أنشدنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ، قال : أنشدنا أبو عثمان المازني للفرزدق :

لاخير في حب من ترجى نوافله فاستمطروامن قريش كل منخدع
تخال فيه اذا ماجئته يلها في ماله وهو واني العقل والورع

وقرأت هذين البيتين في عيون الأخبار على أحمد بن عبدالله بن مسلم : مكان نوافله : فضائله ، وفي البيت الثاني مكان تخال فيه اذا ما شا فيه ؛ كأن فيه حاولته عن ماله ...»[٥٤]، والذي يلاحظ في هذا النص هو الاثبات الدقيق للفروق في الالفاظ المختلفة النسخ والعبارات اذ يعين المؤلف الكلمة أو العبارة المختلف فيها ، ويورد القراءة الثانية لها ، مما يشبه الى حد بعيد عمل المحققين المحدثين .

وشبيه بهذا ما نلاحظه عند بعض المؤلفين من رجوعهم الى نسخ عديدة من ديوان الشاعر الذي يترجمون له ، فهم عندما ينقلون نصاً شعرياً من نسخة لديوان الشاعر يرجعون الى النسخ الأخرى ويقابلون بين مروياتها حرصاً على ايراد النص الدقيق أو الأقرب الى ما قاله الشاعر فيما يبدو ، ومن نماذج هذا

---

(٥٣) طبقات الشعراء ١٧٢ - ١٧٣ .

(٥٤) الأمالي ١٥٩/٢ .

ما نراه في كتاب الموازنة من قوله : «وقد جاء في شعر البحتري بيت هو عندي أقبح من كل ما عيب به في هذا الباب وهو قوله :

ولماذا تتبع النفس شيئاً جعل الله الفردوس منه بواء

وكذلك وجدته في اكثر النسخ ، وهذا خارج عن الوزن ، وقد رأيت في بعض النسخ (جعل الله الخلد منه بواء) فان يكن هكذا قال فقد تخلص من العيب»[٥٥]. وواضح أن المؤلف حينما رأى خطأً في شعر البحتري جمع كل ما تمكن من جمعه من نسخ ديوانه وقرأها ليتمكن من تصحيح الخطأ الذي رآه[٥٦].

والمظهر الثاني من مظاهر التحقيق العلمي هو تحقيق الدواوين الشعرية والكتب . ويبدو أن القدامى قاموا بعملية نشطة في ميدان تحقيق الدواوين تهدف الى صنع الدواوين الموثقة بعد أن كثرت النسخ المختلفة للدواوين وتباينت فيما بينها من حيث المادة والقيمة العلمية ، مما حمل بعض العلماء على القيام بجمع هذه النسخ المختلفة ومقابلتها لاخراج نسخة موثقة معتمدة منها . يقول أبو بكر الصولي : «وليس يجب أعزك الله أن تنظر الى اختلاف الناس في أبي تمام واضطراب روايتهم لشعره ، فانهم بعد اتمام هذه النسخة يجتمعون عليها ويسقطون غيرها كما كانوا مختلفين في شعر أبي نواس وأخباره ثم قد اجتمعوا عليه بعد فراغي منه حتى ان النسخة من شعره من غير ما عملته لتباع بدراهم ، قد كانت قبل ذاك تباع بعددها دنانير ولعلها بعد قليل تفقد فلا ترى وتسقط فلا تراد ...»[٥٧]، وهو في كلامه هذا الذي يوجهه الى من جمع له ديوان أبي تمام ، يعلن عن قيامه بعمل نسخة جديدة من شعر أبي تمام كما عمل قبلها نسخة من شعر أبي نواس ، وليس بعيدا أن الصولي في عمله هذا كان يقوم بشبيه مما يقوم به المحققون المحدثون من جمع النسخ المختلفة للديوان ثم

---

(٥٥) الموازنة ٣٨٦/١ - ٣٨٧ .

(٥٦) وشبيه بهذا ما نراه عند ابن سنان الخفاجي . اذ يقول بعد أن يورد بعض ما يستهجن من شعر أبي تمام : «ومنه قوله أيضا ، وليس في كل الروايات» (سر الفصاحة ٩٧) .

(٥٧) أخبار أبي تمام ٥٥ - ٥٦ .

مقابلتها واخراج نسخة جديدة تتسم بمزايا علمية لا توجد في النسخ الأخرى ، والا لما كان الأدباء والعلماء يعتمدونها ويسقطون ما عداها .

ويشير حمزة الأصفهاني (حوالي ٣٦٠ هـ) الى هذه الظاهرة في عصره ، وكيف أن الديوان الواحد كان ذا نسخ كثيرة تختلف اختلافاً شديداً فيما بينها ، وذلك اذ يقول متحدثا عن ديوان أبي نواس : «ان هذا الرجل مع افتنانه في تعاطي القريض وتأتيه لحسن القول من المديح الفاخر والنسيب العذب ... منتشر الشعر لم يحط الرواة بجل شعره ولا صدر الى الناس عنهم فيما رووا عنه نسخة صحيحة معتمدة ، وقد شذ عن النسخ المودعة المجموعة الكثير من شعره حتى ان له بمصر قصائد لا يعرفها من بالعراق ، فقد حكى آل نيبخت - وهم الذين كان أبو نواس منقطعا اليهم ومعاشرا لهم - أنه ذهب من شعر أبي نواس قطعة كبيرة ، وذلك لقلة احتفاله به ، ويشهد بما حكوه عنه ما يروى عن عبدالسلام بن رغبان ديك الجن أنه قال : دخلت مصر بعد أبي نواس فوجدت له أشعارا ليست عند أهل العرق ...»[٥٨] وهذا الذي يذكره حمزة الأصفهاني هو الذي دفعه الى القيام بعمل نسخة جديدة من ديوان أبي نواس ، وقد وصلت الينا هذه النسخة حاملة كثيرا من سمات التحقيق العلمي ، فهو يقابل بين النسخ المختلفة ويثبت الفروق فيما بينها كما يظهر في قوله : «ونظر يوماً الى جارية من جواري الامين في الطريق فقال لها :

يا ربة الديباجه والبغلة الهملاجه

ان اليك حاجة

وفي نسخة أخرى :

يا ربة المطرفة الديباجه والبغلة الرائعة الهملاجه

ان لنا اليوم اليك حاجه ..»[٥٩]

وهذه النسخ التي يقابل فيما بينها ويثبت اختلافاتها لم تكن نسخاً متقاربة

---

(٥٨) ديوان أبي نواس ٣/١ - ٤ .

(٥٩) نفسه ٩١/١ - ٩٢ .

العصر ، بل كان منها - كما يتضح من اشاراته العديدة - نسخة قديمة رجع اليها مرارا ، ويؤيد هذا قوله بعد أن أورد أبياتاً لأبي نواس في الهجاء : «فهذه الأبيات في اكثر النسخ منسوبة الى هجاء حسين بن صبيح ، ووجدت في نسخة عتيقة أنه هجا بها حسين بن علي بن باهان ..»[٦٠].

أما تحقيق الكتب من غير الدواوين الشعرية فيبدو أن أول مجال وجد فيه مثل هذا التحقيق هو في كتب الحقبة الأولى من التأليف والتي كانت تنقل بطريق الرواية التحريرية عن المؤلف الأصلي[٦١]، اذ يكتب كل طالب من طلاب ذلك المؤلف نسخة من الكتاب ويقروّها عليه ، ويبدو أن بعضهم كان يقابل نسخته بنسخ زملائه ويثبت الفروق في نسخته ، ثم تنقل هذه النسخ بوساطة علماء آخرين وتمر بالمرحلة السابقة نفسها من مقابلة بالنسخ الأخرى ، والذي وصل الينا من كتب هذه الحقبة في التأليف يثبت هذا ، ففي كتاب النقائض بعد أن يرد قول الفرزدق :

يرجو سقاطي ابن المراغة للعدى سفها تمنى ضلة الأحلام

نرى النص التالي : «ووجدت بخط أبي أحمد بن عبدالسلام على النسخة أنه وجد في نسخة أبي سعيد السيرافي زيادة على ما في النسخة التي لأبي أحمد ، وهو : وروى عمرو بن أبي عمرو :

ولقد نزلت بك من شقائك بطنة أردتك حتى طحت في القمقام»[٦٢]

وواضح أن راوي الكتاب استفاد من نسخة ترجع الى أحد العلماء الذين كتبوا هذا الكتاب عن المؤلف الأصلي ، واضاف ما وجد فيها من زيادات على نسخته ، ويتضح هذا في موضع آخر من الكتاب ، اذ نرى النص التالي :

---

(٦٠) ديوان أبي نواس ١٠٤/٢ - ١٠٥ .

(٦١) يؤيد هذا ما تبدأ به هذه الكتب من سلسلة رواية تبدأ من أحد علماء العصر العباسي المتأخرين وتنتهي بالمؤلف الأصلي ، ينظر على سبيل المثال : الامثال ٢٨ - ٢٩ ، الاصنام ٥ - ٦ ، معاني القرآن ٢/١ ، وقعه صفين ٣ - ٤ ، النقائض ١/١ ، مجاز القرآن ١/١ ، النوادر في اللغة ١ ، فحولة الشعراء ٩ ، الاشتقاق للاصمعي ٤٢ - ٤٣ ، مجالس ثعلب ٣/١ - ٤ .

(٦٢) النقائض ١٧/١ .

«وقال في ذلك الأحوص ، وهو زيد بن عمرو بن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع ، وفي نسخة ، وهو الصحيح : وقال شريح بن الحارث اليربوعي»[٦٣].

ويتقدم الزمن تترسخ أصول تحقيق الكتب ومبادؤه ، حتى اذا ما وصلنا الى القرن الرابع وجدنا المؤلفين والعلماء يفهمون من أصول التحقيق ومبادئه ما لا يكاد المحققون المحدثون يضيفون اليه شيئاً ، فهم يجمعون النسخ العديدة من الكتاب ويدرسونها فيفرقون بين ما هو موثوق به معتمد عليه ، وما هو غير موثوق به من هذه النسخ ، ثم يقومون بمقابلتها لاخراج النص المحقق ، ومن الأدلة التي تؤيد هذا ما جاء في كتاب جذوة المقتبس من قول أحد العلماء : «أمرنا الحكم المستنصر بالله رحمه الله بمقابلة كتاب العين للخليل بن أحمد مع أبي علي اسماعيل بن القاسم البغدادي ، وأبي سعيد في دار الملك التي بقصر قرطبة ، وأحضر من الكتاب نسخا كثيرة في جملتها نسخة القاضي منذر بن سعيد التي رواها بمصر عن ابن ولاد ، فر لنا صور من الكتاب بالمقابلة فدخل علينا الحكم في بعض الأيام فسألنا عن النسخ ، قلنا نحن : أما نسخة القاضي التي كتبها بخطه فهي أشد النسخ تصحيفا وخطأ وتبديلاً فسألنا عما نذكره من ذلك فأنشدناه أبياتا مكسورة وأسمعناه ألفاظا مصحفة ولغات مبدلة فعجب من ذلك ..»[٦٤].

ولا يقف مفهوم القدامى لعملية التحقيق عند جمع النسخ ومقابلتها واثبات الفروق فيما بينها في متن الكتاب ، بل نراهم يتقدمون في هذا المجال بمرور الزمن فيعرفون من هذه العلمية ما عرف في العصر الحديث منْ اثبات الفروق في الهوامش ووضع رمز خاص لكل نسخة ، وهم يضعون على الكلمة أو العبارة المختلف فيها علامة الاحالة على الهامش وهي تشبه الدال المقلوبة ، وعلى يمين الصفحة - وهو موضع الهامش عندهم - يوردون الخلافات بين النسخ المختلفة

(٦٣) نفسه ٣٠٠ .

(٦٤) جذوة المقتبس ٥١ .

في قراءة هذه اللفظة أو العبارة مشاراً الى كل نسخة برمز خاص بها . ونجد تطبيقا لهذا في النسخة المخطوطة التي وصلت الينا من كتاب التلخيص لأبي هلال العسكري[٦٥]، اذ يقول الدكتور عزة حسن في وصفها : «ويبدو أن ناقل هذه النسخة كان وراقاً ضابطاً فقد اتبع خطة محكمة شبيهة بخطة المحققين الأثبات في عصرنا الحاضر ، وكانت لديه نسختان أو عدة نسخ من الكتاب فاختار منها نسخة اعتمدها أصلاً وهي نسخة أبي منصور الجواليقي فيما نرى ، والتزم النقل عنها وسماها كذلك الأصل ورمز اليها بالحرفين (أ ص) وقد خرج على هذا الأصل في بعض المواضع من الكتاب وأخذ بما جاء في النسخة الثانية أو النسخ الأخرى منه وكان يشير الى ذلك دائما في حواشي الكتاب فيضع الرمز (أ ص) ويثبت الى جانبه ما كان في الأصل ، وكان في أثناء النقل ينظر في النسخة الثانية أو النسخ الأخرى من الكتاب التي كانت عنده وينبه في حواشي نسخته على ما يجده من فروق بين الأصل الذي اعتمده وبين هذه النسخ ، وقد اتخذ حرف (خ) رمزاً لها فكان يثبت هذا الرمز في حاشية نسخته ثم ينقل الى جانبه ما جاء في النسخة أو النسخ الأخرى ، مع توقيع اشارة التنبيه وهي حرف دال مقلوبة فوق الكلمة أو في أول العبارة التي يرى فيها فرقاً ما»[٦٦].

ولنقد التصحيح مجال ثان يتصل بعمل التحقيق ، وهو يتمثل في تصحيح النص من التصحيف والتحريف . ومنشأ ظاهرة التصحيف والتحريف في النصوص العربية القديمة يرجع الى أمور عديدة أهمها نوع الكتابة العربية في العصور المتقدمة اذ أن كثيراً من حروفها يخلو من النقط والاعجام ومن ثم يدخله التصحيف أثناء النقل ، هذا اضافة الى أن كثيراً من النصوص القديمة كانت تؤخذ شفاها في المجالس العلمية وغيرها ، وقد يقع الوهم عند تدوين المؤلفين لما يسمعون اذ قد يسمع بعضهم اللفظة على خلاف ما تروى ومن ثم

---

(٦٥) يقدر الدكتور عزة حسن أن هذه النسخة كتبت في القرن السادس أو السابع .

(٦٦) التلخيص ١٩/١ .

يقع التحريف فيما ينقلون ، ولهذا تحرجوا من حفظ القرآن وتلاوته من الصحف وأوجبوا أخذه قراءة عن العلماء الأثبات وعدم اعتماد القراءة في الصحف وحدها ، وانتقل هذا التحرج الى النصوص العلمية الأخرى ، فلم يجوزوا للعلماء وطلبة العلم أخذ النصوص عن الصحف فقط ، بل أوجبوا عليهم قراءة هذه الصحف على العلماء وضبطها قبل الرواية أو الافادة منها ، فقالوا : «لا تأخذوا القرآن عن مصحفي ولا العلم من صحفي ..»[٦٧]

والذي يلاحظ أن المؤلفين المتقدمين التزموا بهذه الفكرة ، فكانت تصحيحاتهم للنصوص التي يظهر فيها التصحيف مستندة الى الرواية عن العلماء من مثل قول الجاحظ : «وقال الأصمعي : اذا تتعتع اللسان في التاء فهو تمتام واذا تتعتع في الفاء فهو فأفاء وأنشد لرؤبه بن العجاج :

يا حمد ذات المنطق التمتام كأن وسواسك في اللمام
حديث شيطان بني هنام

وبعضهم ينشد :

يا حمد ذات المنطق التمنام

وليس ذلك بشيء وانما هو كما قال أبو الزحف :

لست بفأفاء ولا تمتام ولا كثير الهجر في الكلام ..»[٦٨]

ونلاحظ أن المؤلف يثبت الرواية الصحيحة للنص مباشرة مروية عن عالم معروف ثم يذكر بعدها الرواية المصحفة وينص على خطئها ولا يكتفي بهذا بل يورد شاهداً لاثبات صحة الرواية التي أثبتها .

وأتبع المؤلفون القدامى الطريقة نفسها في تصحيح التحريف والتبديل في ألفاظ النص الذي ينقلونه . ففي كتاب النقائض بعد أن يرد قول الفرزدق :

واذا دعوت بني فقيم جاءني مجر له العدد الذي لا يعدل

نلاحظ النص التالي : «وروى أبو سعيد : مجد ، قال : وهو أجود ،

---

(٦٧) شرح ما يقع فيه التصحيف ١٠ .

(٦٨) البيان والتبيين ٣٧/١ - ٣٨ .

والمجد : الشرف»[٦٩]، وكذلك بعد أن يرد قول الفرزدق :

ان ابن ضبة كان خيراً والداً وأتم في حسب الكرام وأفضل

نرى النص التالي : «ويروى : لهو خير والداً ، قال أبو عبد الله : لا يجوز الا هذه الرواية»[٧٠].

وهذه الظاهرة في تصحيح التصحيف والتحريف لم تستمر في كتب الحقب التالية ، اذ تقدمت الدراسات اللغوية ووضعت الكتب العديدة في الكتابة وضبطها ، ولهذا كان المؤلفون يصححون التصحيفات مباشرة دون استناد الى الرواية عن عالم مشهور ، حتى ان بعضهم خطأ العلماء المشهورين في قراءة بعض الألفاظ ، من مثل ما نراه في كتاب الفاضل للمبرد اذ يقول : « .. حدثني التوزي عن ابي عبيدة قال : أنشدني المفضل :

واذا ألم خيالها طرقت عيني فاء شؤونها سجم

. وانما هي : طرفت ، فصحف ..»[٧١]. وواضح أن المؤلف هنا يخطيء علماً مشهوراً من أعلام الرواية ، مما يحمل على الظن بأن اتجاهه هذا كان بسبب نضج الدراسات اللغوية ، وما تستوجبه الكتابة من معلومات بحيث صارت هذه الدراسات عوناً للمؤلفين في ضبط النصوص وتصحيحها ولهذا كان تحرج المتقدمين من نقل المعلومات عن المدونات والصحف لا داعي له في مثل هذه الحقب التالية للحقبة المتقدمة في التأليف . اذ ان ما توفر للمؤلفين من معلومات جعلهم قديرين على قراءة المدونات والصحف والتنبه الى ما قد تحتويه من أخطاء ، ولهذا يكثر عند هؤلاء المؤلفين اعتمادهم على أنفسهم فيما يصححون ، كما تكثر عندهم الاشارات الى أخطاء الرواة والعلماء من مثل ما نراه عند أبي عبيد البكري بعد أن يورد قول الشاعر :

كأن لمته أهداب مخملة أزرق أحمر لم يمشط وقد صلعا

---

(٦٩) النقائض ١٨٥/١ - ١٨٦ .

(٧٠) نفسه ١٨٩/١ .

(٧١) الفاضل ٨٢ .

اذ يقـول : «هكذا رواه أبو علي - رحمة الله - لم يمشـط أي لم يسرح بالمشط ... وهو تصحيف لا شك فيه وانما هو : لم يشمط وقد صلعا»[٧٢].

ومما يؤكد هذا الذي ذهبنا اليه أننا نرى اتجاها جديدا في التأليف يتمثل في وضع الكتب التي تعالج ظاهرة التصحيف والتحريف ، لتقـدم مثل هذه الكتب العون للمؤلفين وترشدهم الى الصور التي يقـع فيهـا التصـحيف والتحـريف ليتجنبوها وليتمكنوا من ضـبط النصـوص التي يفيدون منهـا بوسـاطة هذه الكتب ، وقد وضعت كثير من المؤلفـات في هذا المجـال نذكر منهـا على سـبيل التمثيل : كتاب التنبيه على حـدوث التصـحيف لحمزة الأصـفهاني ، وكتاب التنبيهات على أغاليط الرواة لعلي بن حمزة البصري ، وكتاب شرح ما يقع فيه التصـحيف والتحـريف لأبي أحمد العسكري ، كما وضـعت كثير من الكتب في ضبط الأسماء والألقـاب المتفقـة نسـتطيع أن نعـد كتاب الآمدي «المؤتلف والمختلف» أولهـا ، هذا زيادة على كتب عديدة أخـرى في الأنسـاب يبدو أن الهدف من وضعها كان لضـبط الأسماء والأنسـاب المتفقـة . وان في كثرة هذه المؤلفات دليلاً على احساس المؤلفـين القـدامى بضرورة ضـبط النصـوص التي ينقلونهـا ، فاذا أضـفنا الى هذا ما وصـلوا اليه في فن تحقيق النصـوص ، وما اتبعوه من خـطوات علمية في نقـد المصـدر عرفنا أنهـم لم يغفلوا عن شيء من عمليات النقد الخارجي المعروفة عند الدارسين المحدثين[٧٣].

---

(٧٢) التنبيه على أوهام أبي علي ٣٢ .

(٧٣) ينظر في العمليات المتبعة في النقد الخارجي للنصوص عند المحدثين : النقد التاريخي ٧٣ - ١٢٤ . مناهج البحث العلمي ١٨٨ - ٢٠٠ .

الفصل السابع

النقـد الداخـلي

مهمة النقد الخارجي تقديم نصوص ووثائق صحيحة في ذاتها ، صحيحة النسبة الى أصحابها ومؤلفيها توطئة لدراستها وتحليلها للوصول الى نتائج علمية .

واستخلاص النتائج من النصوص أو الخروج برأي معين على أساس دراستها وتحليلها هو مهمة عملية أخرى من عمليات البحث سماها الدارسون المحدثون بالنقد الداخلي . وتتكون هذه العملية أساسا من مرحلتين متميزتين أولاهما ما سموه بالنقد الايجابي للتفسير وهو ما يهدف الى معرفة مقصد صاحب النص وحقيقة ما قاله ، وثانيتهما ما سموه بالنقد السلبي للنزاهة والدقة وهو يهدف الى الكشف عن الظروف والدوافع التي أنتج فيها النص لمعرفة مدى أمانة صاحبه ودقته في نقله .

ولم نجد عند القدامى مصطلحا يمكن أن يدل على الخطوات المتبعة في هذه العملية مع أنهم عرفوا كثيراً من خطواتها المعروفة عند الدارسين المحدثين . ولهذا آثرنا الابقاء على المصطلح الحديث في العنوان العام لهذا الفصل والعنوانات الفرعية له - كما فعلنا في الفصل السابق - محاولين أن ندرج تحت كل عنوان منها ما وجدناه للقدامى في موضوعها لنتمكن من معرفة ما توصلوا اليه في هذا المجال .

(١)

النقد الايجابي للتفسير

يقول لانجلوا : «وينبغي أن يتخذ المرء قاعدة له ، أن يبدأ بفهم النص في ذاته قبل أن يتساءل عما يمكن استخلاصه منه من أجل التاريخ ، وهكذا نصل الى هذه القاعدة المنهجية العامة وهي : دراسة كل وثيقة تبدأ بتحليل مضمونها لغير غاية الا تحديد فكرة المؤلف الحقيقية ... وهكذا يرجع التحليل الى نقد التفسير ... والتفسير يمر بمرحلتين : المعنى الحرفي ، والمعنى الحقيقي ...»[١].

وتحديد المعنى الحرفي للنص عملية لغوية[٢] ولهذا كان يعني تحديد المعنى الخاص لكل كلمة في النص ثم التوصل بعد هذا الى معرفة معنى العبارات والجمل ، أما المعنى الحقيقي للنص فيعني تحديد مقصد صاحب النص منه ، فكثيرا ما يعبر المؤلف عن آرائه بأساليب ملتوية أحياناً لا يكشف عنها التحديد اللغوي لمدلالوت الالفاظ ، ومن ثم يكون على الباحث أن يحاول معرفة الأساليب التعبيرية التي تحمل النص على غير معناه الحرفي . وقد عرف المؤلفون القدامى من عملية التفسير هذه كثيرا مما عرفه المحدثون ، فباستقراء مؤلفاتهم وما أبدوه من تعليقات وتحليلات لبعض النصوص نستطيع أن نقول بأنهم عرفوا تحديد المعنى الحرفي للنص كما عرفوا تحديد المعنى الحقيقي له . فمن مظاهر التفسير اللغوى المبسط للنص ، ونعني به ذكر بعض معاني المفردات اللغوية التي ترد في النص ، ما يصادفنا في كتاب النقائض ، اذ انه بعد أن يرد قول الفرزدق :

وعض زمان يابن مروان لم يدع من المال الا مسحتاً أو مجرف

يقول بعده : «قال سعدان : أخبرنا أبو عبيدة قال : سمعت راوية الفرزدق

---

(١) النقد التاريخي ١٢٨ .

(٢) نفسه .

يروي هذا البيت :

. . . . . لم يدع من المال الا مسحت أو مجرف

بالرفع ، يقول : لم يدع من الدعة أي لم يتدع ، قال : والمسحت الذي لا يدع شيئا الا أخذه ، قال : والمجرف الذي اخذ ما دون الجميع ...»[٣].

ومن الواضح أن ماورد من تفسير في النص السابق لم يتعد تفسيراً لغوياً بسيطاً لبعض الألفاظ الواردة في النص ، ومثل هذا التحديد لمدلولات الألفاظ يقود الى تحديد معنى العبارات والجمل ، ولهذا نرى في كثير من الكتب القديمة اقتران هذا التفسير اللغوي للألفاظ بالمعنى العام للجمل والعبارات من مثل ما نراه عند ابن قتيبة في قوله : «وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي أيضا عن عيسى بن عمر أنه قال : لا أدري ما معنى قول أمية بن أبي الصلت ولا رأيت أحدا يحسنه :

عسل ما ومثله عشر ما عائل ما وعالت البيقورا

هكذا رواه (عسل ما) وانما هو سلع ما .

ومعنى البيت أنهم كانوا يستمطرون بالسلع والعشر ، وهما ضربان من الشجر ، فيعقدونها في أذناب البقر ويضرمون فيها النار ، وقوله : وعالت البيقورا يعني سنة الجدب أثقلت بالمطر بما حملت من الشجر والنار فيها ، والعائل الفقير ..»[٤]

ونلاحظ مثل هذا الارتباط بين الشرح اللغوي لمدلولات الألفاظ والمدلول العام للعبارات والجمل بصورة أوضح عند ابن المعتز بعد ايراده قصيدة لأبي نواس في الافتخار باليمن اذ انه يذكر بعدها كثيراً من الشروح اللغوية للكلمات والعبارات منقولة عن المبرد[٥].

وقد يعمد بعض المؤلفين الى الاضراب عن الشرح اللغوي للألفاظ المفردة

---

(٣) النقائض ٥٥٦/٢ - ٥٥٧ .

(٤) تأويل مشكل القرآن ٦٩ .

(٥) ينظر : طبقات الشعراء ١٩٥ - ٢٠٠ .

ويتجه الى شرح المعنى العام للنص ، من مثل ما نراه عند ابن سنان الخفاجي في قوله : «وقد حمل بعضهم قول أبي الطيب :

وعذلت أهل العشق حتى ذقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق

على المقلوب ، وتقديره عنده : كيف لا يموت من يعشق ؟ وقال غيره : ان الكلام جار على طريقته والمراد به : كيف تكون المنية غير العشق أي أن الأمر الذي يقدر في النفوس أنه في أعلى مراتب الشدة هو الموت ، ولما ذقت العشق فعرفت شدته عجبت كيف يكون هذا الأمر الصعب المتفق على شدته غير العشق ، وكيف يجوز ألا تعم علته حتى تكون منايا الناس كلهم به . وكأن هذا أشبه بمراد أبي الطيب من حمل الكلام على القلب ...»[٦].

يظهر في هذه النصوص تفسير المفردات اللغوية حيناً وتبيان المعنى العام للنص حيناً آخر ، وكل هذا لا يتعدى المعنى المباشر للنص أو المعنى الحرفي له ، وقد سبق القول ان كثيراً من النصوص تحمل معنى غير المعنى الحرفي لها ، والتوصل الى هذا المعنى الحقيقي للنص يتطلب تحليلاً أدق مما سبق ، لا يُقْتَصَرُ فيه على شرح المعاني اللغوية للمفردات ، ولا بيان المعنى المباشر للنص بل يتعدى ذلك الى سلوك طرق أخرى من بيان لأوجه التأويل المحتملة للنص زيادة على محاولة التعرف على الوسائل البيانية التي تؤدي الى الكشف عن المعنى الحقيقي .

يقول الجاحظ في معرض كلامه على خلافة أبي بكر : «وقوله : لوددت أن أقوى الناس عليها مكاني ، يقول : وددت أنه لو كان في الناس من هو أقوى عليها مني ، ليس أنه يرى أن في الأرض يومئذ رجلاً هو اقوى عليها منه ، ومثل هذا في كلام العرب كثير ...»[٧].

وواضح من تعليق الجاحظ على كلام أبي بكر أنه يحاول تبيان المعنى الحقيقي لكلامه عن طريق صرف ذهن القارىء عن معناه الحرفي أو الظاهر ،

---

(٦) سر الفصاحة ١٣٠ - ١٣١ .

(٧) العثمانية ٢٣١ .

مما يشبه أن يكون تأويلاً له . ويشبهه في هذا ابن المعتز في ترجمته لعلي بن جبلة العكوك اذ يقول : «ومما يختار له قوله في حميد أيضا :

بطاعة الله طلت الناس كلهم ونصح هاد أمين الملك مأمون
حميد يا قاسم الدنيا بنائله وسيفه بين أهل النكث والدين
أنت الزمان وقد يجرى تصرفه على الأنام بتشديد وتليين
لولم تكن كانت الأيام قدفنيت بالمكرمات ومات المجد مذحين

قال : وتكلم الناس في هذه الأبيات واستجهلوه لأنه جعل للمخلوق قدرة الخالق ، الا أنه قد ابتدأ فقال : بطاعة الله فعلت وصنعت فكأنه أراد أنك بلغت بالله عز وجل ما بلغت وهذا صحيح ...»[٨]، وعبارة ابن المعتز الأخيرة : «فكأنه اراد» تشير بوضوح الى انه يحاول تبيان المقصد الحقيقي لصاحب النص بصرف النظر عن المعنى الظاهر له .

ويبدو أن البحث عن المعنى الحقيقي للنص أصبح رائد كثير من المؤلفين القدامى حتى صار بعضهم يوصي بضرورة البحث عنه كما يتضح هذا في قول ابن طباطبا العلوي : «فاذا اتفق لك في اشعار العرب التي يحتج بها تشبيه لا تتلقاه بالقبول أو حكاية تستغربها فابحث عنه ونقر عن معناه فانك لا تعدم أن تجد تحته خبيئة اذا أثرتها عرفت فضل القوم بها وعلمت أنهم أدق طبعا من أن يلفظوا بكلام لا معنى تحته ، وربما خفي عليك مذهبهم في سنن يستعملونها بينهم في حالات يصفونها في أشعارهم فلا يمكنك استنباط ما تحت حكاياتهم ولا تفهم مثلها الا سماعا فاذا وقفت على ما أرادوه لطف موقع ما تسمعه من ذلك ..»[٩]. ولهذا اتجه كثير من المؤلفين القدامى الى تبيان المعنى الحقيقي للنصوص التي يدرسونها مما قد يختلف عن المعنى الظاهر الواضح للنص ، من مثل قول الآمدي : «وأما قول البحتري : جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه ، فهذا الخبر - ان كان صحيحا - فهو للبحتري لا عليه ، لأن قوله هذا يدل

(٨) طبقات الشعراء ١٨٥ .
(٩) عيار الشعر ١١ .

على أن شعر أبي تمام شديد الاختلاف وشعره شديد الاستواء والمستوي الشعر أولى بالتقدمة من المختلف الشعر ..»[10]، وهو في قوله هذا يحاول تبيان المعنى الحقيقي لصاحب القول بوساطة تحليل قوله والتوصل الى معناه الحقيقي ذلك المعنى الذي يختلف عن المعنى الظاهر له اذ ان الذي يبدو من كلام البحتري السابق هو تفضيل أبي تمام عليه ، في حين أن الآمدي يوجه كلامه هذا وجهة تخالف هذا المعنى الظاهر له . وشبيه به قول ابن الأثير : «ويروي عن بشار أنه وصف نفسه بجودة الشعر والتقدم على غيره فقيل له : ولم ذاك ؟ فقال لأني نظمت اثنتي عشر ألف قصيدة وما تخلو واحدة منهن من بيت واحد جيد فيكون لي حينئذ اثنا عشر ألف بيت وقد تأملت هذا القول فوجدته على بشارلا لَهُ ، لأن باقلاً الذي يضرب به المثل في العي لو نظم قصيداً لما خلا من بيت واحد جيد ، ومن الذي ينظم قصيدا واحدا من الشعر ولا يسلم له منه بيت واحد ...»[11].

واذا لاحظنا في النصوص السابقة أن أصحابها استندوا الى ما يشبه التاويل للنصوص التي يدرسونها فاننا نلاحظ في نصوص اخرى وسيلة جديدة يلجأ اليها القدامى لتبيان المعنى الحقيقي للنص ، وهي الكشف عن الوسائل البيانية في النصوص للتوصل بوساطتها الى المعنى الحقيقي ، فالقاضي الجرجاني يقول في معرض حديثه عن الاستعارة : «وربما جاء من هذا الباب ما يظنه الناس استعارة وهو تشبيه أو مثل ، فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكر أنواعا من الاستعارة عد فيها قول أبي نواس :

والحب ظهر أنت راكبه فاذا صرفت عنانه انصرفا

ولست ارى هذا أو ما أشبهه استعارة وانما معنى البيت أن الحب مثل ظهر ، أو الحب كظهر تديره كيف شئت اذا ملكت عنانه ، فهو اما ضرب مثل أو تشبيه شيء بشيء ..»[12]، وواضح من قول القاضي هذا أن بعض الأدباء

(١٠) الموازنة ١٢/١ .

(١١) المثل السائر ٢٧٢/٣ .

أخطأ في فهم النص السابق لعدم تمكنه من معرفة الوسيلة البيانية في ذلك النص ، مما حمل القاضي على تفسيره وبيان تلك الوسيلة فيه ، ومن ثم نرى في هذا النص أنموذجاً من أنموذجات التفسير على أساس فهم الوسائل التعبيرية للنصوص للتوصل الى معناها الحقيقي . وشبيه به ما يقوله ابن سنان الخفاجي : «وقال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي : كيف يعاب أبو تمام اذا قال : ماء الملام ، وهم يقولون : كلام كثير الماء ، وقال يونس في تقديه الأخطل أنه أكثرهم ماء شعر ، ويقولون ماء الصبابة وماء الهوى يريدون الدمع ... هذه جملة ما قاله أبو بكر وهي غير لائقة بمثله من أهل العلم بالشعر لأن قولهم : كلام كثير الماء وماء الشباب وقول يونس أن الأخطل أكثرهم ماء شعر ، انما المراد به الرونق ، كما يقال : ثوب له ماء ويقصد بذلك رونقه ولا يحسن أن يقال : ما شربت أعذب من ماء هذه القصيدة لأن هذا القول مخصوص بحقيقة الماء لا بماء هو مستعار له . وأبو تمام بقوله : لا تسقني ماء الملام ذاهب عن الوجه على كل حال ، ثم لا يجوز أن يريد هنا بالماء الرونق لأن الملام لا يوصف بذلك ..»[١٣].

ومن الواضح أن هذه النماذج التي قدمناها في النصوص السابقة شملت نوعي التفسير المعروفين ، وهما تحديد المعنى الحرفي للنص ، وتحديد المعنى الحقيقي له ، وهذا التفسير الذي يبدو فيها لم يكن تفسيراً تعليمياً لجأ اليه المؤلف لغرض تفسير النص الذي أمامه دون أن يكون له مقصد واضح من قيامه به ، اذ ارتبطت تفسيرات المؤلفين في النصوص السابقة بدراستهم لها ، فقد فسروا بعضها للتوصل الى آراء معينةمن هذه النصوص كالترجيح بين روايتين مختلفتين أو الرد على خطأ مؤلف سابق وتصحيح أوهام بعض المؤلفين والعلماء السابقين ، وعلى هذا تكون هذه النماذج التي قدمناها من التفسير نماذج علمية لا نماذج للتفسير التعليمي المحض . وهي بمجموعها قد لا تصل الى ما

---

(١٢) الوساطة ٤١ .

(١٣) سر الفصاحة ١٦٢ - ١٦٤ .

وصل اليه الدارسون المحدثون من فهم علمي لعملية التفسير والخطوات الواجب اتباعها في هذا المجال ، فقد فاتهم من التفكير في هذه المسألة بعض ما توصل اليه الدارسون المحدثون[١٤]، ولا نرى في هذا نقصاً أو عيباً اذ ان مجرد تفكيرهم في هذه المسألة بالشكل الذي قدمته النصوص السابقة يدل على أن هذه المرحلة من مراحل النقد الداخلي للنصوص لم تكن خافية عليهم .

(٢)

النقد السلبي للنزاهة والدقة

يعتمد هذا النوع من النقد على تحليل النصوص في محاولة لاكتشاف العوامل العديدة التي تحمل بعض المؤلفين على الكذب والتزيد والخطأ ، وعلى أساس ما يظهر من هذه العوامل يستند الباحث في رده لهذه النصوص ورفض ما جاء فيها أو قبولها ان أثبتت الدراسة التحليلية خلوها من تلك الدوافع . ويتم التوصل الى هذا الهدف بعديد من العمليات الفكرية التي تبدأ بالشك والارتياب في أقوال المؤلفين وأصحاب النصوص ،فعلى الباحث «أن يبدأ أولا بالشك ، ويجب ألا ينسىٰ أبداً المسافة القائمة بين قول المؤلف أياً من كان وبين الحقيقة الثابتة علمياً ، وبهذا يحتفظ دائما بالشعور التام بالمسؤولية التي تقع على عاتقه حين يردد قولا ورد في وثيقة»[١٥].

وهذه المرحلة الأولى من مراحل النقد السلبي للنزاهة والدقة عند المحدثين لم تكن غريبة عن أذهان المؤلفين القدامى ، فالجاحظ مثلا يرى أن الشك سمة من سمات الخاصة لا العامة فيقول : «والعوام أقل شكوكاً من الخواص لأنهم لا يتوقفون في التصديق والتكذيب ولا يرتابون بأنفسهم فليس عندهم الا الاقدام على التصديق المجرد أو على التكذيب المجرد»[١٦]، وغير خفي أن الخاصة يعنون الطبقة المثقفة من طبقات المجتمع من علماء ومؤلفين ، وهؤلاء - حسب

---

(١٤) ينظر :النقد التاريخي ١٢٩ - ١٣٤ في تفصيل الخطوات العلمية للتفسير عند الدارسين المحدثين .

(١٥) النقد التاريخي ١٣٦ .

(١٦) الحيوان ٣٦/٦ - ٣٧ .

القول السابق - تميزوا عن غيرهم بغلبة الشك عليهم ، ولعل الأدباء بوجه خاص كانوا أكثر هؤلاء ميلاً الى الشك لكون المادة التي يدرسونها بعيدة عن التحرج والتأثم في معظمها ، ولهذا كانوا يبدون شكوكهم في كثير مما يدرسون وينقلون . يقول الشريف المرتضى : «وجدت جماعة من أهل الأدب يستبعدون أن يرتج على انسان في خطبة أو كلام قصد له فيبتعث منه في تلك الحال كلام هو احسن مما قصد اليه وأبلغ مما أرتج عليه دونه ويقولون : ان النسيان لا يكون الا عن حيرة وضلالة ، فكيف يجتمع معها البراعة الثاقبة والبلاغة المأثورة مع حاجتها الى اجتماع الفكرة وحضور الذكر ، وينسبون جميع ما يحكى من كلام مستحسن ولفظ مستغرب عمن حصر في خطبة أو في منطق الى أنه موضوع مصنوع»[١٧]. وفي هذا الذي يقوله الشريف المرتضى ما يوضح مسلك بعض الأدباء الذين لم يكونوا ليقبلوا النصوص كما هي بل يشكون في كثير منها ويرتابون . ولم يكن مثل هذا الاتجاه الى الشك مجرد ميل أو هوى عند هؤلاء المؤلفين ، بل كانوا يصدرون في هذا عن تفكير علمي في الايمان به ، اذ رأوا فيه الطريق المؤدي الى التثبت والدقة . وفي هذا يقول الجاحظ : «وبعد هذا فاعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة له لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له ، وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلما ، فلو لم يكن في ذلك الا تعرف التوقف ثم التثبت لقد كان ذلك مما يحتاج اليه ..»[١٨]، ولهذا ترد عند كثير منهم اشارات عديدة تشير لى شكهم فيما ينقلون على الرغم من اثباته في كتبهم ، من مثل قول ابن سلام : «قال ابن دأب : وكان النابغة علوي الرأي وأخذ مروان ابنه وابله بالمدينة فخرج ومدح مروان بن الحكم بأبيات . قال ابن سلام : وأنا منها في شك ..»[١٩]، ويشبهه في هذا الجاحظ بعد أن ينقل قصيدة ليزيد بن ناجية السعدي عن ابن أبي كريمة ثم يقول بعدها : «ونحن نظن أن هذه

---

(١٧) أمالي المرتضى ١٠١/٢ - ١٠٢ .

(١٨) الحيوان ٣٥/٦ - ٣٦ .

(١٩) طبقات فحول الشعراء ١٢٩/١ - ١٣٠ .

القصيدة من توليد ابن أبي كريمة ..»[٢٠]. كما نلاحظ أن حمزة الأصفهاني قبل أن يورد بعض المقطعات المنسوبة الى أبي نواس يقول : ووجدت هذه المقطعات الست منسوبة اليه فأتيت بها وأشك في أنها كلها له ، وانما أتيت بها لجودتها ...»[٢١]. والذي يلاحظ في الأقوال السابقة أن شك المؤلفين في هذه النصوص كان شكاً مطلقاً غير معلل ، اذ انهم جميعا لم يبينوا لنا السبب في شكهم بهذه النصوص مما يدل على أنهم كانوا معتادين على الارتياب والشك في النصوص التي لا يملكون الأدلة على توثيقها .

والشك المطلق في النصوص ليس هو الطريق الوحيد الذي يجب أن يسلكه المؤلف ، اذ أنه لا يمكن أن يطبق على كل النصوص الواردة عن المؤلفين والرواة ، فهناك كثير من المؤلفين الثقات الى جانب كثير من غير الثقات ، ولهذا كان على الباحث أن يحدد موقفه ازاء هؤلاء وأولئك ولا يركن الى الشك في الجميع ، ومن ثم نجد أنفسنا أمام ظاهرتين متميزتين عند القدامى أولاها الشك بالكثير من أصحاب النصوص ورواتها ، والثانية الثقة بكثير من العلماء والرواة . فقد نصوا كثيراً على توثيق بعض الرواة والمؤلفين في حين نصوا على عدم توثيق آخرين ، ومن النصوص الدالة على توثيق بعض العلماء والرواة قول ابن سلام في خلف الأحمر : «اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر وأصدقه لساناً ، كنا لا نبالي اذا أخذنا عنه خبرا أو أنشدنا شعراً ألا نسمعه من صاحبه ، وكان الأصمعي وأبو عبيدة من أهل العلم ، وأعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي ...»[٢٢]، والذي يستند اليه التوثيق السابق هو كون خلف الأحمر ذا علم بالشعر ، ومن ثم كان ما يصدر عنه وما يرويه من نصوص شعرية موثوقا به لا داعي للشك والارتياب فيه .

---

(٢٠) الحيوان ٣٣٤/٥ - ٣٣٥ .

(٢١) ديوان أبي نواس ١٠٠/٢ . ويشبه الأقوال السابقة أقوال عديدة للمؤلفين في الأدب تشير كلها الى شكهم فيما ينقلون على الرغم من اثباته في كتبهم . ينظر على سبيل المثال : الحيوان ٢٢٣/٤ ، الموازنة ١٥٣/١ - ١٥٤ ، معجم الشعراء ٤٩ ، الوساطة ١٥٧ ، ١٦١ ، يتيمة الدهر ٢٨٨/١ ، ٢١٨/٢ ، سر الفصاحة ٩٤ - ٩٥ .

ومن أسس التوثيق عندهم كون الراوية أو المؤلف عالماً مشهوراً بالعربية ضابطاً لها ، مما يشير اليه النص التالي : «قيل لأبي عمر الدوري : لم صحبتم الكسائي وفيه من المجانة والخلاعة والمجاهرة بشرب النبيذ ومداعبة الغلمان ومخالطتهم ما فيه ؟ قال : لضبطه القراءة وعلمه بالعربية وصدقه الحديث ..»[٢٣].

ويقابل هذا التوثيق شك وطعن في رواة وعلماء آخرين وبالتالي شكٌ في نصوصهم ، وقد قالوا في هذا المجال أقوالا تدل على أن هذا الشك والطعن يرجع بصورة عامة الى أمرين .

الأول هو عدم العلم بالشعر وقلة المعرفة به ، مما يدل عليه قول ابن سلام في ابن اسحاق : «وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه محمد بن اسحاق بن يسار مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، وكان من علماء الناس بالسير .... فقبل الناس عنه الأشعار وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر ... ولم يكن ذلك له عذراً ..»[٢٤].

والثاني هو كذب بعض الرواة وتزيدهم فيما ينقلون ، مما يدل عليه قول ابن سلام في حماد : «وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية ، وكان غير موثوق به ، وكان ينحل شعر الرجل غيره وينحله غير شعره ويزيد في الأشعار ...»[٢٥].

ونحسب أن المؤلفين القدامى عرفوا بهذا ما عرفه الدارسون المحدثون فيما سموه بالنقد السلبي للنزاهة والدقة ، فعدم العلم بالشعر أو العربية يمكن أن يقابل النقد السلبي للدقة عند المحدثين ، كما أن عدم الأمانة وهو ما يعنيه الانتحال والتزيد يمكن أن يقابل النقد السلبي للنزاهة عند المحدثين . ولم يكن هذا الأمر عند القدامى مجرد أقوال أطلقوها طعناً وتجريحاً في بعض الرواة

---

(٢٢) طبقات فحول الشعراء ١ ٢٣ . ويشبه هذا ما ورد في العين ١ ٤٤ من قوله : حدثني محمد بن عبد الله بن كاسب كاتب زهير مولى بجيلة من سبي دبى . وكان شاعراً رواية وطلابة للعلم علامة»

(٢٣) نور القبس ٢٨٣ - ٢٨٤

(٢٤) طبقات فحول الشعراء ٧١ - ٨ .

(٢٥) نفسه ١ ٤٨ .

والمؤلفين ، بل انهم فهموا من هاتين المسألتين : النزاهة والدقة كثيرا مما ورد عند الدارسين المحدثين مما يمكن أن نستنتجه فيما تناثر في بطون كتبهم من تعليقات واشارات عديدة .

النقد السلبي للنزاهة .

يهدف هذا النقد الى البحث «عما اذا كان ثم دافع للارتياب في أمانة القول»[٢٦]. والدوافع التي تدفع بالمؤلفين الى الكذب والتزيد عديدة منها : التعصب لطائفة أو مذهب معين أو شاعر واتجاه شعري معين ، وكل هذا يحمل بعض الرواة والمؤلفين على الكذب والتزيد قصداً الى الطعن في الآخرين والتنويه بمكانة من له يتحزبون ، وقد انتبه المؤلفون القدامى الى أثر عامل التعصب هذا في نقل النصوص والتلاعب بها ، ومن الأدلة على هذا قول ابن سلام بعد أن يورد بيتين منسوبين الى سفيان بن الحارث في هجاء حسان بن ثابت : « .. فأخبرني أهل العلم من أهل المدينة أن قدامة بن موسى بن عمر ابن قدامة بن مظعون الجمحي قالها ونحلها أبا سفيان ، وقريش ترويه في أشعارها تريد بذلك الأنصار والرد على حسان ..»[٢٧]، وواضح من الكلام الذي ينقله ابن سلام أن صاحب هذا القول ينتبه الى دور العصبيات القبلية في التزيد والتلاعب بالنصوص .

والعصبيات المذهبية تؤدي الدور نفسه وتكون في معظم الأحيان عاملاً مؤثراً في التلاعب والتزيد بالنصوص بالشكل الذي يتفق وما يبتغيه المتعصبون ، كما يفهم هذا من قول الجاحظ : «وما هو الا أن ولد أبو مخنف

---

(٢٦) النقد التاريخي ١٤٢ .

(٢٧) طبقات فحول الشعراء ١/٢٥٠ .

حديثاً أو الشرقي بن القطامي أو الكلبي أو ابن الكلبي أو لقيط المحاربي ... ثم صورة في كتاب وألقاه في الوراقين الا رواه من لا يحصل ولا يتثبت ولا يتوقف ، وهؤلاء كلهم يتشيعون ...»[٢٨].

وللتعصب مظهر آخر يتمثل في التعصب الأدبي - ان صح التعبير - كأن يكون جماعة من المؤلفين والرواة متعصبين للشعر القديم مما يحملهم على الطعن في الشعر المحدث والغض منه ، ومن ثم يكون ما ينقلونه من نصوص قديمة وما يصدرونه من آراء فيها أمرا غير موثوق به لأنه صادر عن مصلحة خاصة سهم على عدم اظهار الحقيقة . ومن النصوص التي تشير الى هذا قول القاضي الجرجاني : «ولولا أن أهل الجاهلية جُدّوا بالتقدم واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والأعلام والحجة لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مسترذلة ومردودة منفية لكن هذا الظن الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم ونفى الظنة عنهم فذهبت الخواطر في الذب عنهم كل مذهب وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام ...»[٢٩]. وواضح من كلام القاضي هذا أن كثيرا من الشعر الجاهلي وقف منه رواته موقف المتعصب بشكل غطى على مساوىء نصوصه ، مما يشير الى أن هؤلاء الرواة كانوا يتناسون المعايير الفنية بسبب التعصب ، وهذا ما يطعن في صحة آرائهم التي يصدرونها على هذه النصوص . ويبدو أن عامل التعصب هذا حمل كثيرا من الأدباء على الطعن في الشعراء الذين يخرجون على مذهب شعري يتعصبون له ، فألفوا كتبا في هذا المجال لا يمكن الوثوق بها في رأي المؤلفين اللاحقين ، لأنها صادرة عن هذا المصدر الذي يقف حائلا دون رؤية الحقائق ، وهذا ما يعرب عنه القاضي الجرجاني في قوله : «ومتى طالعت ما أخرجه أحمد بن أبي طاهر وأحمد بن عمار من سرقات أبي تمام وتتبعه بشر بن يحيى على البحتري ومهلهل بن يموت على أبي نواس عرفت قبح آثار الهوى وازداد الانصاف فى عينك حسناً ...»[٣٠]، ولهذا السبب يعمد بعض المؤلفين حينما

(٢٨) رسائل الجاحظ ٢/٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢٩) الوساطة ٤ - ٥ .

(٣٠) الوساطة ٢٠٩ .

ينقلون نصاً شعرياً أو غيره الى التنبيه على أن مصدر هذا النص بعيد عن الأهواء والنحل ، وكأنهم بهذا يوثقون النص مقدماً ويبعدون عنه عامل التزييف وعدم الامانة في النقل بهذا التنبيه الذي يذكرونه . ومن أمثله هذا ما نراه عند الجاحظ في قوله : «وقال العجاج بن رؤبة ، وهو أعرابي ليس بذى نحلة ولا صاحب خصومه ، وقد أدرك الجاهلية :

عهد نبي ما عفا وما دثر وعهد عثمان وعهداً من عمر..»[٣١]

وانتبه المؤلفون القدامى الى دافع آخر يحمل على الشك في أمانة صاحب النص وبالتالي الشك في النص نفسه ، ذلك الدافع هو أثر المدارس العلمية في التزييف والتلاعب بالنصوص . فقد كان بعض النحويين يغير في النصوص ويتلاعب بها لتوافق مذهبه النحوي ، كما يفهم من قول أبي أحمد العسكري : «وصدر سيبويه كتابه بباب ضمنه أشعاراً على روايات توافق ما بنى عليه الباب يخالفه رواة الشعر في أكثرها ، فمنه روايته لقول الشاعر :

ألم يأتيك والانباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد

رواه غيره : ألم يبلغك ، واذا روى على هذا لم يكن لسيبويه فيه حجة ، ومنها :

لا بارك الله في الغواني أما يصبحن الا لهن مطلب

وفي هذه الرواية أيضا بطلان قياس بابه ، وعلى هذا المجرى عدة أبيات أخرى في كتابه ...»[٣٢]. ولم يكن العسكري هو الوحيد الذي أشار الى هذا ، فالقاضي الجرجاني أيضا بعد أن يورد كثيرا من أغلاط الشعراء القدامى يقول مخاطباً أحد الأدباء : «ثم تصفحت مع ذلك ما تكلفه النحويون لهم من الاحتجاج اذا أمكن ، تارة بطلب التخفيف عند توالي الحركات ومرة بالاتباع والمجاورة وما شاكل ذلك من المعاذير المتمحلة وتغيير الرواية اذا ضاقت

---

(٣١) العثمانية ١٢٥ ، وشبيه به ماينقله في رسالته «مناقب الترك» اذ يسند بعض الاخبار في امتداح الترك الى غمامة بن أشرس ، ثم يقول بعدها : «فهذا غمامة بن أشرس وهو عربي لا يتهم في الاخبار عنهم» رسائل الجاحظ ٦١/١ .

(٣٢) التنبيه على حدوث التصحيف ٢٢٦ - ٢٢٧ .

الحجـة ، وتبينت ما راموه في ذلك من المرامي البعيدة وارتكبوا لاجله من المراكب الصعبة ...»[٣٣].

وانتبهـوا كذلك الى دافع آخـر يحمل على الشـك في أمانة بعض المؤلفـين والرواة وهو أن بعض هؤلاء يتعمد الاتيان بأخبار كاذبة لغـرض نفعـي ، فهـو اما أن يأتي بأخبار ونصوص ليستميل بها جماعة معينة ، كما يفهم من قول ابن قتيبة في الجـاحظ : «وتجـده يقصـد في كتبه للمضـاحيك والعبث ، يريد بذلك استمالة الأحـداث وشراب النبيذ»[٣٤]، واما أن ياتي الراوي أو المؤلف بأخبار مفتعلة لغـرض السـمر والقصـة والتندر في المجـالس ، ولمثل هذا النوع من الأخبار والنصوص نماذج عديدة منها ما نراه في قول الجاحظ : «وما علمت في العـرب قبيلة لقيت من جميع ما هجيت به ما لقيت نمير من بيت جـرير ، ويزعمون أن امرأة مرت بمجلس من مجـالس نمير فتأملهـا ناس منهـم فقـالت : يابني نمير ، لا قول الله سمعتم ولا قول الشـاعر أطعـتم ، قال الله تعـالى : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) . وقال الشاعر :

فغض الطرف أنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

وأخلق بهذا الحديث أن يكون مولداً ، ولقد أحسن من ولده ...»[٣٥]، وشـك الجـاحظ في هذا الخـبر يرجـع الى أنه يرى فيه تصـنعاً يدل على أن راويه رتبه ترتيباً قصصـياً ليروج ويشـيع ، وهذا ما يدل عليه قوله : «ولقـد أحسـن من ولده» ، وبهذا ينتبه الجـاحظ الى دأع مهـم من دواعي الشـك في النصـوص ، يتمثل في كون النص مرتباً ترتيباً متسلسلاً يدل على أنه وضع للسمر والقصة . وشبيه به ما نراه عند الجـاحظ أيضـاً في قوله : «وقد يكون هذا الذي نسـمعه من اليمانية والقحطانية ونقرؤه في كتب السيرة قص به القصاص وسمروا به عند الملوك . زعموا أن بلقيس ... وهي ملكة سبأ ذكرها الله في القرآن فقال (ولهـا

---

(٣٣) الوساطة ١٠ .

(٣٤) تأويل مختلف الحديث ٥٩ - ٦٠ .

(٣٥) البيان والتبيين ٣٦/٤ .

عرش عظيم) .. زعموا أن أمها جنية وأن أباها أنسي ..»[٣٦].

ويمكن أن نعد موقف المؤلفين القدامى ازاء الأخبار ذات الطابع الاسطوري شبيهاً بموقفهم السابق ، فقد رفضوا تصديق مثل هذه الأخبار التي يظهر فيها طابع الاسطورة والخرافة احساساً منهم بان مثل هذه الاخبار لا بد أن تكون مفتعلة موضوعة ، يضعها الرواة لترويج وتشيع وتصادف هوىً في نفس من يميل الى هذا النوع من الخرافات والأساطير ، كما يظهر في قول الجاحظ بعد أن يذكر بعض الأخبار عن الجن : «وللناس في هذا الضرب ضروب من الدعوى وعلماء السوء يظهرون تجويزها وتحقيقها ، كالذي يدعون من أولاد السعالي من الناس ، كما ذكروا عن عمرو بن يربوع ، وكما يذكر أبو زيد النحوي عن السعلاة التي أقامت في بني تميم ... ولم أعب الرواية وانما عبت الايمان بها والتوكيد لمعانيها ...»[٣٧]. وشبيه به ما نلاحظه عند أبي الفرج الأصفهاني بعد أن يورد حكاية عن ظهور ابليس لابراهيم الموصلي والقائه عليه بعض الأغاني الجديدة ، فيقول معلقا على هذه الحكاية : «هكذا خبرنا ابن أبي الأزهر بهذا الخبر وما أدرى ما أقول فيه ، ولعل ابراهيم صنع هذه الحكاية لينتفع بها أو صنعت أو حكيت عنه ..»[٣٨].

---

(٣٦) رسائل الجاحظ ٣٧١/٢ .

(٣٧) الحيوان ١٨٥/١ - ١٨٦ .

(٣٨) الأغاني ٢٣٦/٥ ، وشبيه بهذا ما ورد في درة الغواص ٥٥ من تعليق للحريري على رواية رواها ابن الانبارى .

وهذه الافكار التي عرضناها في الصفحات السابقة تتفق والافكار التي عرضناها في تشخيص بواعث الوضع والانتحال في القسم الخاص بنقد المصدر من الفصل السابق ، ومن الواضح أننا كنا مضطرين الى اعادتها هنا لأن الهدف منها مختلف عما هو هناك فورودها في هذا الموضع ضروري لتبيان الاسس التي حملت المؤلفين على رفض بعض النصوص أو الشك فيها ، أما ما عرض في القسم الخاص بنقد المصدر فقد كان الهدف منه توضيح الأسس التي استند اليها القدامى في تصحيح نسبة النص الى صاحبه أو رفضها .

النقد السلبي للدقة :

يهدف هذا النقد كما يقول سينوبوس الى البحث «عما اذا كان ثم دافع الى الارتياب في دقة القول ، هل وجد المؤلف في ظرف من الظروف التي تسوق الانسان الى الخطأ ...»[٣٩].

هذا النوع من النقد اذن يبحث عن عوامل الخطأ في النصوص بسبب خطأ أصحابها ، وتشخيص الأخطاء في النصوص يرجع الى دراسة هذه النصوص دراسة داخلية تحليلية يتمكن الباحث بوساطتها من معرفة ماهية الخطأ الذي وقع فيه صاحب النص وبالتالي يتمكن من التوصل الى ان هذا النص مرفوض أو مشكوك فيه لما يظهر فيه من حالات تناقض واستحالة وغيرها من الحالات التي سنعرض لها الآن .

تكشف الدراسة الداخلية للنص عن تناقض مضمونه مع ما هو معروف عمن ينسب النص اليه ، ومن ثم يكون هذا التناقض وسيلة للشك في صحة النص أو رفضه ، كما نرى هذا عند الجاحظ بعد أن يورد خطبة لمعاوية بن أبي سفيان ثم يقول بعدها : «وفي هذه الخطبة - أبقاك الله - ضروب من العجب ، منها ان الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية ، ومنها ان هذا المذهب في تصنيف الناس وفي الاخبار عما هم عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف أشبه بكلام علي رضي الله عنه ومعانيه وحاله منه بحال معاوية ومنها أنا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب العباد ، وانما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه والله أعلم بأصحاب الأخبار وبكثير منهم ..»[٤٠]، وفي قول الجاحظ هذا ما يكشف عن سبب شكه بهذه الخطبة ، وواضح أنه لم يهتد الى هذا الشك فيها الا بعد تحليلها ودراستها دراسة داخلية ، كما أنه بعد أن يتوصل الى هذا الشك في خطبة معاوية يلقي التبعة على ناقلها وكأنه يشير بهذا الى أن هؤلاء الرواة الذين

---

(٣٩) النقد التاريخي ١٤٦

(٤٠) البيان والتبيين ٦١/٢ .

نقلوها غفلوا عما فيهـا من تناقض ، مما يدل على فهمه لعـامل الغفلة وعدم الانتباه عند الرواة ، وأثره في تقديم نصوص غير صحيحة . وشبيه به قوله في موضع آخر : «وقال أعرابي يتأله لامرأته وما الأعراب وهذا المذهب ؟ ، ولكن كذا وقع والله أعلم بكثير من الرواية :

لولا مخافة ربي أن يعاقبني وأنها عدة تقضى وأوطار

لقد جعلت مكان الطوق ذاشطب وتبت بعد فان الله غفار»[41]

وتكشف الدراسة الداخلية للنص عن كون الخبر الوارد فيه منافياً للحوادث التاريخية مما يدل على أن صاحب النص أو ناقله كان غافلا وغير دقيق في تتبع المعلومات مما يوقعه في الأخطاء . ومن النصوص التي تدل على هذه الفكرة قول ابن سلام في ابن اسحاق صاحب السيرة : «فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط وأشعار النساء فضلا عن أشعار الرجال ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود فكتب لهم أشعارا كثيرة وليس بشعر .... أفلا يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ومن أداه منذ آلاف من السنين ، والله تبارك وتعالى يقول : (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي لا بقية لهم ، وقال أيضاً : (وانه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى) ...»[42]. وكلام ابن سلام هذا يدل على انتباهه الى الخطأ الذي وقع فيه ابن اسحاق ، ورفضه لكثير من النصوص التي أوردها استناداً الى تشخيصه لهذا الخطأ الذي كان مرده الى أن ابن اسحاق لم يكن مدركاً أو منتبهاً الى عدم امكان وجود هذه النصوص التي يوردها .

ويسوق أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني النص التالي : «أخبرني أحمد بن عبيدالله بن عمار قال : ... خرج الوليد بن يزيد من مقصورة ، فاذا هو ببنت له معها حاضنتها فوثب عليها فافترعها فقالت له الحاضنة : انها المجوسية ، قال : اسكتي ، ثم قال :

---

(٤١) الحيوان ١٦١/٧ .

(٤٢) طبقات فحول الشعراء ٨/١ .

من راقب الناس مات هماً وفاز باللذة الجسور

وأحسب أنا أن هذا الخبر باطل لأن هذا الشعر لسلم الخاسر ولم يدرك زمن الوليد»[٤٣]. وواضح أن أبا الفرج يستند الى المعلومات التاريخية في رفض صحة هذا الخبر ، والذي هيأ له هذا ماورد في النص من معلومات تاريخية متناقضة ، فالوليد بن يزيد في هذا النص يستشهد ببيت شعر لشاعر وجد بعد عصره ، ومن ثم كان راوي هذا الخبر مخطئاً وغافلاً عن الانتباه الى هذا الخبر الموضوع[٤٤].

وترشد الدراسة التحليلية للنص أيضا الى رفضه استناداً الى ما يرد فيه من معلومات تناقض ما هو معروف عن سيرة رجل معين يتصل النص به ، فأبو الفرج الأصفهاني يقول في موضع من كتابه أسماه بأغاني الخلفاء وأولادهم : «المنسوب الى الخلفاء من الأغاني والملصق بهم منها لا أصل لجله ولا حقيقة لأكثره ولا سيما ما حكاه ابن خرداذبة ، فانه بدأ بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر أنه تغنى في هذا البيت ..... ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحدا بعد واحد حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الامامة ... يخبط خبط العشواء ويجمع جمع حاطب الليل ، فأما عمر ابن الخطاب فلوجاز هذا أن يروي عن كل أحد لبعد عنه وانما روى أنه تمثل

---

(٤٣) الأغاني ٧٥/٦ - ٧٦ .

(٤٤) شبيه بالنص السابق ما ورد في الأغاني ٣٠/٦ - ٣١ ، من خبر عن المغني دحمان والفضل بن يحيى ، ثم قول أبي الفرج بعده : «هكذا اخبرنا ابن المرزبان بهذا الخبر ، وأظنه غلطا لان دحمان لم يدرك خلافة الرشيد وانما ادركها ابناء زبير وعبيدالله ، فاما أن يكون الخبر لأحدهما أو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيى» . وما ورد في ديوان أبي نواس (رواية حمزة الاصفهاني) من خبر لأبي نواس في عصر المأمون يعلق المؤلف بعده بقوله : «وهذا مما لا خفاء به على رواة السير في أنه باطل لأن المأمون ورد بغداد بعد موت أبي نواس» (ديوان أبي نواس ٩/١) . وما ورد في أمالي المرتضى من قوله : «ومن غلط ابن عمار القبيح قوله بعد أن أنشد شعر المجنون ، قال : وهذا هو الأصل ثم استعاره الناس من بعد فقال الشاعر :

النشر مسك والوجوه دنا نير واطراف الأكف عنم

وهذا الشعر للمرقش الاكبر ، وهو والمرقش الاصغر جميعا كانا على عهد مهلهل بن ربيعة وشهدا حرب بكر بن وائل ، فكيف يكون قول المرقش الاكبر بعد قول المجنون لولا الغفلة» (أمالي المرتضى ٢٥٧/٢) .

بهذا البيت ...» .

وللمؤلفين والرواة أخطاء أخرى تكشف عنها الدراسة الداخلية للنص وتشير الى أن هذه الأخطاء ترجع الى غفلة هؤلاء الرواة والمؤلفين الناتجة عن قلة اطلاعهم ، مما يجعل النصوص التي يوردونها تحمل كثيرا من الأخطاء سواء في لغة هذه النصوص ، أم في الاحكام والآراء التي تعرب عنها . ومن نماذج هذه النصوص التي انتبه المؤلفون القدامى الى ما فيها من أخطاء ، ما نراه في كتاب النوادر من قوله : «أبو زيد : وقال عبدة بن الطبيب :

يا أم عمرو لا تجذي صرمنا وكيف تصرمين حبل من يصل

أبو حاتم : وصلنا أجود وهي الرواية ، قال أبو الحسن : هكذا قال : صرمنا ، وهو غير جائز لأنه اذا قال لا تجذي صرمنا ، فلا تجذي : لا تقطعي ، فكأنه قال لها اصرمينا وهذا محال ..»[٤٦]. وشبيه بهذا النص قول الجاحظ : «وقالت هند : كنت والله في أيام شبابي أحسن من النار الموقدة . وأنا أقول : لم يكن بها حاجة الى ذكر الموقدة وكان قولها : أحسن من النار يكفيها ، وكذلك اتهمت هذه الرواية ..»[٤٧]وتعليق الجاحظ هذا يكشف عما اتبعه من تحليل للنص أدى به الى الشك في صحته ، لما وجده فيه من زيادة لا يستوجبها المعنى اللغوى للنص .

ويقول ابن الأثير في نقد رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية ، معددا الأخطاء الواردة فيها : «الثاني : أنه يذكر معنى للمتنبي في بعض المواضع ويقول : هذا مأخوذ من أبي تمام في قوله كذا وكذا ، فاذا تصفح ذلك لا يوجد هذا مأخوذا من هذا ولا بينه وبينه مماثلة ولا مشابهة وهذا العيب أقبح من الاول . الثالث : أنه يذكر بيتاً من الشعر ويعزوه الى المتنبي ولا يكون له ويذكر بيتاً آخر ويعزوه الى أبي تمام أو الى أبي عبادة البحتري ولا يكون له ،

---

(٤٥) الأغاني ٩/٢٥٠ .

(٤٦) النوادر ٣٩ - ٤٠ .

(٤٧) الحيوان ٥/٩٤ - ٩٥ .

وهذا عيب ثالث الا أنه دون الثاني في القبح ...»[٤٨]، وواضح من كلام ابن الأثير هذا أن دراسة النصوص التي أشار اليها ابن الدهان هي التي أرشدته الى رفض ما توصل اليه ابن الدهان من أحكام وآراء .

ونحسب أن ما قدمناه من نماذج للتمثيل لا للحصر ، يدل دلالة كافية على فهم المؤلفين القدامى لمرحلة ثانية من مراحل النقد الداخلي للنصوص ، وهي ما سماها الدارسون المحدثون بالنقد السلبي للنزاهة والدقة ، وقد رأينا أنهم انتبهوا الى كثير من العوامل التي تؤثر في نزاهة المؤلفين والرواة أو دقتهم مما يقدم اليهم الأسس التي يستندون اليها في رفض نص أو قبوله ، وهذه المرحلة وما سبقها من مرحلة تفسير النصوص هي ما يمكن أن يعمد اليه الباحث في دراسة النصوص التي يجمعها من المصادر الأخرى ، ذلك أن هاتين المرحلتين تؤديان الى رفض نص أو رأي لمؤلف سابق أو قبوله ، كما تؤديان الى استنتاج حكم معين واصدار نتيجة خاصة بالمؤلف . وفي كل هذا ما يهيء له اعداد دراسة بشكلها الأخير والقيام بكتابتها لاخراجها نهائياً مما سنعرض له في الفصلين القابلين .

---

(٤٨) الاستدراك ٢

الفصل الثامن

كتابة الموضوع

(١)
المسودة

يبدأ الباحث بكتابة موضوع بحثه على شكل مسودة تمثل الشكل الأولي للبحث ، اذ تحتوي على كثير من الزيادات حيناً وبعض النواقص حيناً آخر ، وقد تتكرر فيها بعض المعلومات ويشوب لغتها شيء من الاطالة وعدم التهذيب ، لأن الباحث في هذه المرحلة يركز اهتمامه على عرض الأفكار والآراء التي توصل اليها دون تهذيب وتنقيح ودون عناية باللغة والأسلوب في كثير من الأحيان . ولهذا وصف القدامى المسودة بأنها أصل الكتاب أي أساسه وصورته الأولى التي لا تصل الى درجة الصورة النهائية له ، ويتضح هذا فيما ورد في كتاب معجم الأدباء من قوله : «قال أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد : اتصل بي أن مسودة كتاب الأغاني وهي أصل أبي الفرج أخرجت الى سوق الوراقين لتباع فأنفذت الى ابن قرابة وسألته انفاذ صاحبها لأبتاعها منه لي ، فجاءني وعرفني أنها بيعت ... وأن أكثرها في ظهور وبخط

التعليق ..»[1].

ويبدو أن هذا الذي يصفونه بالأصل هو المسودة الأولية للكتاب بدليل ما جاء من وصف لمسودة أبي الفرج في النص السابق ، وتكون مثل هذه المسودة في أحيان كثيرة غير مبوبة تبويباً نهائياً اذ يتركها مؤلفها مرتبة ترتيباً أولياً ، وقد يكون كثير منها مدوناً على أوراق منفصلة محتوية على المعلومات الخاصة بالموضوع ، ثم يفكر المؤلف بعد هذا بتبويب ما دونه وتنسيقه بعد أن يكتمل الموضوع الأصلي عنده ، وهناك بعض النصوص التي تدل على هذا ، منها ما يقوله ابن النديم متحدثاً عن ابن دريد : «له من الكتب ...كتاب أدب الكاتب على مثال ابن قتيبة ولم يجرده عن المسودة فلم يخرج منه شيء يعول عليه ...»[2]، وما يقوله الصفدي متحدثاً عن مؤلفات ابن سينا : «وصنف الشيخ كتاباً سماه لسان العرب لم يصنف في اللغة مثله ، ولم ينقله الى ألبياض حتى توفي ولم يهتد أحد الى ترتيبه ..»[3] والذي يدل عليه النصان السابقان أن هاتين المسودتين كانتا خليطاً من التقييدات والمدونات المضطربة غير المنقحة ، ولهذا لم يستطع أحد الافادة منها أو الاهتداء الى ترتيبها .

ونستطيع أن نتبين من نصوص أخرى أن هذه المسودات الأولية كانت تراجع ويحذف منها ما يحذف أو يزاد فيها بعض الزيادات وتجري لها جملة من التنقيحات قبل أن تنقل الى المبيضة التي قد تكون أقل كثيراً من حجم المسودة الأصلية ، ونستدل على هذا بقول المرزباني : «سودت عشرة آلاف ورقة فصح لي منها مبيضاً ثلاثة آلاف ورقة ...»[4]، ومثل هذا الاختلاف الكبير بين حجم المسودة والمبيضة يدل على انهم تناولوا مسودات كتبهم بجملة من التنقيحات وأكثروا من مراجعتها وتصحيحها وحذف ما يرونه مكرراً أو اختصار ما يرونه مطولاً .

---

(١) معجم الأدباء ١٦٤/٥ .

(٢) الفهرست ٦٧ .

(٣) الوافي بالوفيات ٨٢/١١أ .

(٤) تأريخ بغداد ١٣٥/٣ - ١٣٦

وعملية التنقيح والتصحيح هذه كانت عند القدامى على جانب كبير من الأهمية اذ احتفظت لنا كتبهم بكثير من النصوص الدالة على هذا ، منها ما يقوله الجاحظ : «وينبغي لمن كتب كتاباً ألا يكتبه الا على أن الناس كلهم له أعداء وكلهم عالم بالأمور وكلهم متفرغ له ... ولا يرضى بالرأي الفطير ، فان لابتداء الكتاب فتنة وعجباً ، فاذا سكنت الطبيعة وهدأت الحركة وتراجعت الأخلاط ، وعادت النفس وافرة ، أعاد النظر فيه فتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طمعه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب ...»[٥]. وقد أشاروا الى صعوبة هذه العملية وكثرة ما يعانيه المؤلف من مصاعب عند قيامه بها ، مما يدل على إنهم نظروا الى هذه العملية نظرة جدية ولم تكن عندهم مجرد اصلاحات بسيطة سريعة لما يكتبون . ومن النصوص الدالة على هذا قول الجاحظ : «ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفا أو كلمة ساقطة فيكون انشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من اتمام ذلك النقص حتى يرده الى موضعه من اتصال الكلام ..»[٦].

(٢)

المبيضة

بعد اتمام عملية تنقيح المسودة وتصحيحها تصبح هذه المسودة جاهزة للنقل الى المبيضة ، وكتابة المبيضة تمثل المرحلة النهائية لكتابة الموضوع ، ومن الطبيعي أن يتبع المؤلف في هذه المرحلة جملة من القواعد والأسس التي توصله الى ما يبتغيه من اخراج الكتاب اخراجاً نهائياً . ويمكننا القول بأن القدامى عرفوا كثيراً من القواعد في هذا الموضوع يمكننا ايضاحها وتبيانها حسب الموضوعات الأساسية التي تنتظمها وهي كالآتي :

لغة البحث

يقول الجاحظ : «وليس الكتاب الى شيء أحوج منه الى أفهام

---

(٥) الحيوان ٨٨/١ .

(٦) نفسه ٧٩/١ . وورد شبيه بهذا الكلام في المقابسات ١٠٢ .

معانيه ، حتى لا يحتاج السامع لما فيه من الروية ، ويحتاج من اللفظ الى مقدار يرتفع به عن ألفاظ السفلة والحشو ، ويحطه من غريب الاعراب ووحشي الكلام ، وليس له أن يهذبه جدا وينقحه ويصفيه ويروقه حتى لا ينطق الا بلب اللب ، وباللفظ الذي قد حذف فضوله وأسقط زوائده ، حتى عاد خالصاً لا شوب فيه ، فانه ان فعل ذلك لم يفهم عنه الا بأن يجدد لهم أفهاماً مراراً وتكراراً لأن الناس كلهم قد تعودوا المبسوط من الكلام وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم الا بأن يعكس عليها ويؤخذ بها ...»[٧].

وكلام الجاحظ هذا يشير الى قاعدة مهمة تتعلق بلغة البحث أو لغة التأليف ، وهي وجوب كون هذه اللغة مفهومة واضحة دون أن تتدنى الى مستوى اللغة العامية ، زيادة على وجوب ابتعاد المؤلف عن المبالغة في تهذيب كلامه وتزويقه بشكل يجعل منه غريباً مستغلقاً على الافهام فتضيع الفائدة منه .

وهذه القاعدة قصد اليها كثير من المؤلفين القدامى وطبقوها حين اشترطوا في لغة التأليف البسط والوضوح ، بدليل أنهم نصوا عليها وأوصوا باتباعها ، وخصوصاً اولئك الذين كتبوا في صناعة التأليف ، كالكلاعي الذي يقول في كتابه «احكام صنعة الكلام» ما نصه : «ومما يستحب في التواليف البيان والبسط ، وقد يتعمد في بعضها استبهام المعنى وتعقيد اللفظ ، وانما ذلك لامتحان الخواطر وانتهاء البصائر ...»[٨] وهو اذ يشير في أول كلامه الى وجوب وضوح لغة التأليف فانه يشير بعد هذا الى أن قسماً من المؤلفين يتعمد الاغراب والتعقيد ، ونحسب أن مثل هؤلاء المؤلفين كانوا قلة ، اذ يذكر الكلاعي نفسه أن كتبهم هذه كانت للاختبار والامتحان مما يدل على أنها كانت توضع للخاصة فقط .

وكان لثبات هذه القاعدة عندهم أن امتدحوا من يلتزم بها من

---

(٧) الحيوان ٨٩/١ - ٩٠ .

(٨) احكام صنعة الكلام ٢٣٣ . ووردت الفكرة نفسها في : التعريف بآداب التأليف ٣ . العقد ٧٩ .

المؤلفين ، كما يتضح هذا في قول الغبريني متحدثاً عن ابن عصفور النحوي : «وكلامه في جميع تأليفه سهل منسبك محصل ...»[٩]، كما افتخر بعض المؤلفين باتباع هذه القاعدة كما نلاحظ هذا عند الشريشي شارح المقامات اذ يقول متحدثاً عن شرحه : «وسبكت العبارة عن المعاني سبكاً يدل على الالقاء والاصغاء ، وهذا الفضل وان سبقني اليه من تقدمني من الشارحين قبلي فلي فيه مزية ايراد اللفظ البعيد عن الاشكال والمطابقة بين الأقوال وأرباب الأقوال ...»[١٠].

وذموا المؤلفين الذين تتصف لغتهم بالركاكة على الرغم من احسانهم في جمع كتبهم وتبويبها ، ومن أدلة هذا ما ينقله أبو حيان التوحيدي من قول علي بن عيسى الوزير في قدامة بن جعفر : «عرض علي قدامة كتابه سنة عشرين وثلاثمائة واختبرته فوجدته قد بالغ وأحسن وتفرد في وصف فنون البلاغة ... ولكني وجدته هجين اللفظ ركيك البلاغة في وصف البلاغة حتى كأن ما يصفه ليس ما يعرفه وكأن ما يدل به غير ما يدل عليه ... ولولا أن الأمر على ما ذكرت لكان ذلك الطريق الذي سلكه ... في أحسن معرض ..»[١١].

وأوصوا كذلك بتجنب التكرار في الكتابة الا ان مست الحاجة اليه . يقول الكلاعي : «ومما يستحب للمؤلف أن يتجنب تكرير المعنى واللفظ لا سيما في الكتب الموضوعة للحفظ ، وقد يستحبون التكرار فيما المرغوب فيه التفقه في معناه والوقوف على حقيقته ومنحاه ، ككتاب المدونة في الفقه ، فان ما فيه من التكرار موافق لأهل الطلب والاستبصار لأنه ان لم يقف على المسألة في باب وقف عليها الكتاب ...»[١٢].

واشترطوا على المؤلف أيضا سلامة لغته من اللحن والأخطاء ،

---

(٩) عنوان الدراية ٣١٨ .

(١٠) شرح المقامات ٧/١ .

(١١) الامتاع والمؤانسة ١٤٥/٢ - ١٤٦ .

(١٢) احكام صنعة الكلام ٢٣٣ .

ولحرصهم على تطبيق هذه القاعدة أوصوا الكاتب أو المؤلف الذي يشك في كلمة أو عبارة ما ولا يأنس في نفسه علماً أكيداً بها أن يتركها الى غيرها مما يعرفه ليسلم كلامه من الخطأ واللحن ، وفي هذا يقول ابن وهب : «وينبغي لمن لم يقو في علم اللغة اذا وقع في كلامه ما لا يدري كيف اعرابه أن يدعه ويفعل في مكانه ما يعرفه فان الكلام واسع ليس يضطر أن يأتي بذلك اللفظ بعينه ، بل يجوز له أن يأتي بالمعنى الذي يريده بلفظ آخر أقل اشكالاً عليه ...»[١٣]، ويقول ابن حزم : «اني لاعجب ممن يلحن في مخاطبة أو يجيء بلفظة قلقة في مكاتبة لأنه ينبغي له اذا شك في شيء أن يتركه ويطلب غيره فالكلام أوسع من هذا ...»[١٤].

الشكل والاعجام

للشكل والاعجام عند القدامى أصول ومبادىء نصوا عليها والتزموا بها في كتبهم . ولهم في هذه المسألة موقفان متميزان ، الأول يمثله الكتاب ، والثاني يمثله المؤلفون والعلماء .

ويتحدد موقف الكتاب بعدم الاكثار من الشكل والاعجام ، والميل الى اهماله الا في المواضع التي تشكل اشكالاً شديداً ، وفي هذا يقول ابن المدبر : «واياك والنقط والشكل في كتابك ، الا أن تمر بالحرف المعضل الذي تعلم أن المكتوب اليه يعجز عن استخراجه ، فلأن يشكل علي الحرف أحب الي من أن يعاب بالنقط والاعجام ..»[١٥]. وموقفهم هذا - كما هو واضح - يرجع الى طبيعة عملهم وحرصهم على جمال ما يكتبون ، وغير خفي أن كثرة الشكل والاعجام تؤثر في جمال المكتوب وقد تذهب بحسن الخط ورونقه .

أما موقف العلماء والأدباء من المؤلفين فيبينه ابن درستويه في قوله : «واعلم أن من شأن أهل النحو والشعر والغريب تقييد كل كلمة على ما

---

(١٣) البرهان في وجوه البيان ٣٢٤

(١٤) جمهرة انساب ١٢٦

(١٥) الرسالة العذراء ٢٥

يستحق كل حرف منها مبسوطاً ومركباً واستيفاء الشكل والنقط احكاماً واستيثاقاً لأن علمهم أغمض فتقييده أوضح على قارئيه ...»[١٦]. ومن هنا يظهر أن عادة المؤلفين جرت على شكل معظم ما يحس شكله حرصاً منهم على ايضاح الكتاب للقارىء ، اذ ان ما يرمون اليه هو نقل الفكرة بوضوح الى قرائهم ، ودور الشكل والاعجام في ايضاح الكتابة وعدم استبهامها على القراء واضح وجلي .

وللشكل عندهم علامات خاصة يحددها ابن درستويه بقوله : «اعلم أن الشكل زيادة تلحق الحروف للحاجة اليها ، وهو على ضربين : ضرب هو صور الحركات والسكون اللذين تعرف بهما الحروف وتبين ... وضرب هو زيادة يؤتى بها مع الحرف للفروق ، كما كان النقط كذلك .

أما الشكل الذي هو صور للحركات والسكون فأربعة أشياء : الفتحة والضمة والكسرة والوقفة ، وهي رقوم مشتقة من حروف أسمائها .....

أما الشكل الذي هو زيادة للفرق فهو خمس علامات : التشديد والتنوين والهمزة والمدة وعلم ألف الوصل ...»[١٧].

ويبدو أن هذه الصور والعلامات التي يذكرها ابن درستويه لم توضع بهذا الشكل الا بعد أن تقدمت الكتابة وكثر التأليف ، اذ يشير القلقشندي الى علامات خاصة تستعمل في الشكل عند الأوائل ، تتمثل في وضع نقاط بألوان مختلفة ، وفي هذا يقول : «واعلم أن المتقدمين يميلون في شكل غالب الصور الى النقط بلون يخالف لون الكتابة . وقال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله : وأرى أن يستعمل للنقط لونان الحمرة والصفرة ، فتكون الحمرة للحركات والتنوين والتشديد والتخفيف والسكون والوصل والمد وتكون الصفرة للهمزة خاصة ، وأما المتأخرون فقد أحدثوا لذلك صورا مختلفة الاشكال لمناسبة تخص كل شكل منها ...»[١٨].

---

(١٦) كتاب الكتاب ٥٩ - ٦٠ ، وينظر : أدب الدنيا والدين ٥٦ .

(١٧) كتاب الكتاب ٥٧ - ٥٨ .

(١٨) صبح الأعشى ٣/١٦٠ .

أما طرق الشكل عندهم فكانت ثلاثا :

الأولى : استعمال الحركات والعلامات التي سبقت الاشارة اليها قبل قليل .

الثانية : الشكل بالعبارة لا بالحركات ، وقد اتبعت هذه الطريقة في كثير من المؤلفات وخصوصاً تلك التي تحتوي على أعلام كثيرة مما يجعل الشكل بالحركات أمراً لا يؤمن اشكاله لاحتمال تقارب تلك الأسماء والكلمات المشكلة بالعلامات واختلاطها . ومن نماذج استعمال هذه الطريقة ما نراه في كتاب اللباب لابن الأثير اذ اتبع المؤلف هذا في صفحات كتابه كافة من مثل قوله : «الآمدي : بمد الألف وكسر الميم وفي آخرها الدال المهملة ، هذه النسبة الى آمد ...»[١٩].

ولم يقف استعمال هذه الطريقة عند ضبط الأعلام وما شابهها فقط بل استعملها بعض المؤلفين لضبط التواريخ ، اذ نجد في كتاب طبقات النحاة واللغويين النص التالي : «محمد بن أحمد بن حمدان أبو عمرو النيسابوري المحدث ... توفي في ذي القعدة سنة سبع وسبعين بتقديم السين وثلاثمائة عن ثلاث وتسعين سنة بتقديم التاء»[٢٠].

أما الطريقة الثالثة من طرق الشكل فهي الشكل بالوزن ، وتعني ذكر كلمة مشهورة بعد الكلمة التي يراد ضبطها تشبهها وزناً . ويبدو أن طريقة ذكر الوزن استعملت زيادة في الضبط اذ انها تعصم من الأخطاء المحتملة في الشكل بالحركات كما أنها أكثر اختصاراً من الشكل بالعبارة . وفي هذا يقول الصفدي : «اذا أرادوا ضبط كلمة قيدوها بهذه الأحرف على هذه الصورة ، فان أرادوا لها زيادة بيان قالوا : على وزن كذا ، فيذكرون كلمة توازنها هي أشهر منها ...»[٢١].

واستعملوا في الاعجام النقط والعلامات الخاصة بالاهمال ، وفي هذا

---

(١٩) اللباب ١٥/١

(٢٠) طبقات النحاة واللغويين ٣٥ ، واستعمل المؤلف هذه الطريقة في ضبط التواريخ في مواضع عديدة من كتابه ، أشار المحقق الى قسم منها في مقدمته .

(٢١) الوافي بالوفيات ٤٣/١ .

يقول ابن الصلاح : «كما تضبط الحروف المعجمة بالنقط كذلك ينبغي أن تضبط المهملات غير المعجمة بعلامة الاهمال لتدل على عدم اعجامها ، وسبيل الناس في ضبطها مختلف ، فنهم من يقلب النقط فيجعل النقط الذي فوق المعجمات تحت ما يشاكلها من المهملات ، فينقط تحت الراء والصاد والطاء والعين ونحوها من المهملات . وذكر بعض هؤلاء أن النقط التي تحت السين المهملة تكون مبسوطة صفاً والتي فوق السين المعجمة تكون كالأثافي ومن الناس من يجعل علامة الاهمال فوق الحروف المهملة كقلامة الظفر مضجعة على قفاها ومنهم من يجعل تحت الحاء المهملة حاء مفردة صغيرة ، وكذا تحت الدال والطاء والصاد والسين والعين وسائر الحروف المهملة الملتبسة مثل ذلك ...»[٢٢].

وهناك طريقة أخرى للاعجام استعملها بعض المؤلفين زيادة في الضبط ، تتمثل في الاعجام بالعبارة اضافة الى الاعجام بالنقط . ومن أمثله هذا ما نراه في معجم الأدباء من قوله : «محمد بن أحمد بن سليمان النوقاتي بالتاء قبل ياء النسبة»[٢٣]، وما نراه في كتاب المطرب لابن دحية من قوله : «أبو عبد الله محمد بن حسين بن عبد الله بن حبوس بالباء بنقطة واحدة من أسفل ..»[٢٤] وما نراه في مرآة الجنان من قوله : «ولما مات الشيخ أبو اسحاق رثاه أبو القاسم ابن نافيا بالنون وبعد الألف فاء ثم المثناة من تحت ...»[٢٥].

الاقتباسات والاحالة على المصادر :

جاء في كتاب المغرب : «اعتمدت أن أذكر في هذا الكتاب ما تمس اليه الحاجة عند المحاضرة في دولة بني طغج الذين توارثوا سلطنة مصر من أول ملك محمد بن طغج لها الى أن أخذها جوهر غلام المعز الاسماعيلي منهم ، والنقل في ذلك من كتاب الحسن بن زولاق ... وغيره من الكتب التي تأتي أسماؤها مذكورة في أماكن الاحالة عليها ...»[٢٦]. ويلاحظ بوضوح أن المؤلف

(٢٢) مقدمة ابن الصلاح ٢٠٦ ، وتنظر : تذكرة السامع والمتكلم ١٨١ - ١٨٢ .
(٢٣) معجم الادباء ٣٢٤/٦ .
(٢٤) المطرب ١٩٩ .
(٢٥) مرآة الجنان ١١٨/٣ .
(٢٦) المغرب (مصر) ١٤٨ .

ينص صراحة على أنه يحيل ما يورده من معلومات الى المصادر التي استق تلك المعلومات منها ، ويستعمل لفظة «الاحالة» مصطلحا للدلالة على هذه العملية بمفهوم يشبه مفهومها حاليا عند الدارسين المحدثين .

والاحالة على المصادر تكون - كما هو معروف - على نوعين ، الاول : ذكر المصدر في بداية النص المنقول ، والثاني : ذكر المصدر في نهاية النص المنقول . وقد عرف القدامى هذين النوعين من الاحالة ، ففي كتاب الأغاني مثلا نرى النص التالي : «نسخت من كتاب الحرمي بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار ... قال : أنشد الحطيئة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدة نال فيها من قومه ...»[٢٧].

ومن أمثلة النوع الثاني ما نراه في كتاب البيان والتبيين من قوله : «وقد ذكروا أن خالد بن صفوان تكلم في بعض الأمر فأجابه رجل من أهل المدينة بكلام لم يظن خالد أن ذلك الكلام كان عنده ، فلما طال بهما المجلس ، كأن خالداً عرض له ببعض الأمر فقال المدني : يا أبا صفوان ، مالي من ذلك الا اتفاق الصناعتين ، ذكر ذلك الأصمعي ...»[٢٨]، وشبيه به قوله في موضع آخر : «والذين هجوا فوضعوا من قدر من هجوه ومدحوا فرفعوا من قدر من مدحوا وهجاهم قوم فردوا عليهم فأفحموهم ، وسكت عنهم بعض من هجاهم مخافة التعرض لهم وسكتوا عن بعض من هجاهم رغبة بأنفسهم عن الرد عليهم ، وهم اسلاميون جرير والفرزدق والاخطل ، وفي الجاهلية زهير وطرفة والأعشى والنابغة . هذا قول أبي عبيدة»[٢٩].

والذي يلاحظ في هذين النصين أن ذكر المصدر يأتي أخيرا في نهاية النص ، كما يلاحظ أن هذا الذكر مبهم غير واضح ، يقتصر فيه المؤلف على قوله : ذكر ذلك فلان ، أو هذا قول فلان دون تحديد لنوعية المصدر وهل كان مصدراً مدوناً أو رواية شفهية ، مما يشير الى أن هذا النوع من الاحالة يمثل

---

(٢٧) الأغاني ١٦٥/٢ - ١٦٦ . وهذه الطريقة هي الطريقة الشائعة عند المؤلفين القدامى .

(٢٨) البيان والتبين ١٧٣/١ .

(٢٩) نفسه ٨٣/٤ .

مرحلة أولى من مراحل الاحالة على المصادر ، ولهذا نجد هذا النوع يكتسب صفة الدقة عند المؤلفين المتأخرين ، فنراهم يذكرون المصدر وينصون على نوعيته ، ومن أمثله هذا ما ورد في كتاب التكملة لابن الأبار في مواضع كثيرة منها قوله في ترجمة أحد بني الأغلب : «زيادة الله بن عبد الملك.... يكنى أبا نصر ، روى عن أبيه أبي مروان وغيره ، روى عنه أبو علي الغساني بعض أخبار أبيه ... من كتاب ابن بشكوال»[٣٠].

وهذه الاحالات التي رأيناها في النصوص السابقة تمثل نوعاً واحداً وهو الاحالة على مصدر واحد ، ولم يكن النقل عند القدامى مقتصراً على هذا النوع فقط ، فكثيراً ما كانوا ينقلون النص من مصادر عديدة ، ثم يذكرون هذه المصادر جميعها متتالية ، ويصدر بعضهم كل جزء من النص المنقول باسم المصدر المنقول عنه ، ومن أمثلة هذا ما نراه في كتاب المغرب اذ يقول في ترجمة أحد الكتاب : «كتب عن هشام بن عبد الرحمن وكان والده كاتباً لعبد الرحمن .

ومن تأريخ ابن حيان : أنه كتب عن الحكم بن هشام فاتهمه بولائه لعمه سليمان الثائر عليه فعزله .

وذكر الفرضي أنه مات خاملاً في مدة عبد الرحمن بن الحكم ...»[٣١].

ويلاحظ أن هذا الجزء من الترجمة التي يكتبها صاحب المغرب ، اعتمد فيه على أكثر من مصدر ، كان يلخص فكرة بعضها حينا وينقل بالنص من بعضها حينا آخر ، ويصدر كل نقل بمصدره ، وقد يتبع في مواضع أخرى طريقة النقل بالنص في كل قسم من أقسام الترجمة التي يكتبها ، فيقول مثلا في ترجمة ابن خفاجة : «من الذخيرة : الناظم المطبوع الذي شهد بتقديمه الجميع ، المتصرف بين أشتات البديع .

ومن القلائد : مالك أعنة المحاسن وناهج طريقها العارف بترصيعها

---

(٣٠) التكملة لكتاب الصلة ٣٣٢/١ .

(٣١) المغرب (الأندلس) ٧١/١ .

وتنميقها ، الناظم لعقودها الراقم لبرودها .

من المسهب : هو اليوم شاعر هذه الجزيرة . لا أعرف فيها شرقاً ولا غرباً نظيره ...»[٣٢].

ولبعض المؤلفين طريقة أخرى في ذكر المصادر والاحالة عليها ، تتمثل في استعمال رمز خاص لكل مصدر يعتمد عليه المؤلف كثيراً . ويبدو ان لجوء المؤلفين الى هذا كان بسبب حرصهم على عدم التكرار الكثير للأسماء ، ومن ثم استغنوا بهذه الرموز عن ذلك التكرار . ومن أمثلة هذا النوع ما نراه عند التبريزي في شرحه لديوان أبي تمام ، اذ اعتمد في شرحه هذا على عدة شروح سابقة له وضع لكل منها رمزاً خاصاً به في متن الكتاب عند ايراد الشروح ، ونص على هذه الرموز ودلالتها في خاتمة شرحه بقوله : «هذا آخر شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وجمع ما اتفق اثباته من التفاسير والاعراب ، مما ذكره أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري ... ومما ذكره أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي في تفاسيره ، ... ومما ذكره ابو عبدالله محمد ابن عبدالله الخطيب ... ومن كلام الصولي وغيره ، وعلامة أبي العلاء (ع) في بعض المواضع ، وعلامة المرزوقي (ق) وعلامة الخطيب (الشيخ) ...»[٣٣].

وعمل المؤلفين القدامى هذا في النص على المصدر واسمه ونوعيته يشبه

---

(٣٢) نفسه ٣٦٧/٢ .

(٣٣) ديوان أبي تمام ٦٠٢/٤ - ٦٠٣ وقد التزم المؤلف باثبات هذه الرموز قبل كل شرح يذكره في صفحات كتابه كافة .

ووجد مثل هذا النوع من استعمال الرموز للدلالة على المصادر في كتب التراجم ايضا من مثل ما نراه في كتاب الرجال لأبن داود الحلي اذ ينص على هذا في مقدمته بقوله : «وضمنته رموزا تغني عن التطويل وتنوب عن الكثير بالقليل . وبينت فيها المظان التي أخذت منها . واستخرجت عنها . فالكشي (كش) والنجاشي (جش) وكتاب الرجال للشيخ (جخ) . والفهرست (ست) والبرقي (ق) ... وهذه لم يسبقني أحد من أصحابنا رضي الله عنهم الى خوض غمارها وقاعدة أنا أبو عذرها ..» (كتاب الرجال ٢٥/١ - ٢٦) . ويشبهه في هذا ايضا ابن الجزري في كتابه غاية النهاية اذ يقول في مقدمته : « ... ثم اني رمزت لما هو في الكتب المشهورة من كتب القراءات . فلما كان مذكورا في كتابي النشر (ن) ولما في كتاب التيسير (ت) وكتاب جامع البيان للداني (ج) وكتاب الكامل للهذلي (ك) . وكتاب المبهج (مب) وكتاب المستنير (س) ...» (غاية النهاية ٣/١) . وقد طبق هذان المؤلفان خلال كتابيهما ما ذكراه في مقدمتيهما اذ اقترنت كل ترجمة من تراجم كتابيهما بذكر مصادرها على شكل رموز يذكرانها في بداية كل ترجمة وخلالها .

شبهاً كبيراً ما يقوم به الدارسون المحدثون اليوم أثناء كتابة البحوث ، والفارق الوحيد بين القدامى والمحدثين هنا هو ذكر القدامى للمصادر في المتن لا في الهامش ، وعدم ذكر أرقام الصفحات عند القدامى ، وهو أمر طبيعي اذ أن الكتب التي ينقلون عنها كانت كتبا مخطوطة لا مطبوعة ، كما هو الحال في العصر الحاضر ، ومعروف أن الكتاب المخطوط تختلف نسخه حجماً حسب النساخين والوراقين الذين ينسخونه ولهذا تختلف أرقام الصفحات بين نسخ الكتاب المختلفة ، ومن ثم لم يكن من الممكن أن يشير المؤلف القديم الى رقم الصفحة في الكتاب الذي ينقل عنه لأن هذا الرقم سيكون مختلفا بالنسبة الى القراء الذين يمتلكون نسخة أخرى من هذا الكتاب أو يطالعونه في المكتبات وغيرها .

على أن القدامى تلافوا هذه الصعوبة في الاحالة بطريقة أخرى فيها شيء من التحديد والتعيين لمكان المعلومات التي ينقلونها عن المصادر ، ففي كتاب البصائر والذخائر مثلا نلاحظ النص التالي : «قال الجاحظ في كتاب الحيوان في الجزء الأول : الكتب توجد في كل زمان وتقرأ بكل مكان ..»[٣٤] والمؤلف هنا يعين الجزء الذي ينقل عنه من كتاب الحيوان ، وهذا هو النوع الممكن من التحديد والتعيين عند القدامى ، وهو - على عموميته - يعد تحديداً لمكان المعلومات المنقولة بالنسبة الى القاريء القديم ، وهناك نوع من التحديد والتعيين لمكان المعلومات أدق مما سبق نجده عند ابن خلكان في قوله : «وذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتاب الجنان في الجزء الأول في ترجمة أبي الحسن علي بن عبد العزيز المعروف بالفكيك ، أن الحصري المذكور ألف كتاب زهر الآداب في سنة خمسين واربعمائة ...»[٣٥] والتحديد هنا أكثر دقة مما سبق اذ أن النص الذي ينقله ابن خلكان من كتاب الجنان يُحَدِّدُ فيه الجزء أولاً ثم المكان الذي يوجد فيه النص ، وهو ترجمة أحد

(٣٤) البصائر والذخائر ١٧٤/٢ - ١٧٥ .
(٣٥) وفيات الأعيان ٥٥/١ .

الأدباء المترجم لهم في ذلك الكتاب ، مما يجعل العثور بهذا النص يسيراً كل اليسر على القراء .

وفي حين يكون النقل من أماكن متفرقة من المصدر يشير المؤلف القديم الى هذا نصاً ، كما نرى هذا عند ابن خلكان بعد أن أورد كثيرا من أخبار ابن هبيرة أمير واسط ، اذ يقول : «الى هنا انتهى ما نقلته من تاريخ الطبري مقتضباً ، فانني جمعته من عدة مواضع حتى انتظم على هذه الصورة ...»[٣٦]، ويشبهه في هذا الصفدي في قوله : «ونقلت من كتاب المواليد لأبي معشر جعفر بن محمد البلخي من أماكن متفرقة ...»[٣٧]. ومثل هذا العمل أيضاً يشبه ما يفعله الباحثون المحدثون حينما ينقلون من أماكن متعددة من المصدر الواحد فيشيرون الى أن النص منقول من عدة صفحات .

الرموز والمختصرات وعلامات الترقيم :

تقتضي كتابة البحث أحياناً كثيرة اللجوء الى رموز ومختصرات لبعض الصيغ والأسماء والمصطلحات التي ترد كثيراً أثناء الكتابة . ومن هذه الرموز عند القدامى ما كانوا يستعملونه للدلالة على مصدر معين تكثر الاشارة اليه كما رأينا في الفقرة السابقة . والذي يلاحظ في هذه الرموز التي يستعملونها للدلالة على المصادر أنها لا تسير وفق وتيرة واحدة ، اذ قد يرمز بحرف واحد للدلالة على اسم المصدر ، وقد يرمز بحرفين ، كما لاحظنا هذا عند التبريزي وابن داوود الحلي وابن الجزري . الا أن الذي نستطيع قوله ان هذه الرموز كانت دالة على اسم المصدر ، اذ يختار المؤلف حرفاً معيناً أو حرفين من حروف ذلك الاسم لتكون رمزاً له . فالتبريزي يستعمل الحرف (ع) دالاً على ابي العلاء المعري ، والحرف (ق) دالاً على المرزوقي[٣٨]، وابن داوود الحلي يستعمل الحرفين (كش) للدلالة على اسم الكشي و (جش) للدلالة على

---

(٣٦) نفسه ٣١٧/٦ - ٣١٨ .

(٣٧) نكت الهميان ٦٣ .

(٣٨) ينظر : ديوان أبي تمام ٦٠٣/٤ .

النجاشي[٣٩]، مما يدل على أن هذه الرموز رموز دالة على الاسم المقصود للمصدر .

ونستطيع أن نعد ضمن هذه الرموز ما كانوا يستعملونه من علامات وألفاظ للدلالة على صحة حرف معين يشك في صحته ، مما يرد في النصوص التي يقرأونها أو ينقلونها . وكان اللجوء الى استعمال مثل هذه العلامات منذ القرن الرابع ، اذ يذكر ياقوت في ترجمة ابن الكوفي أحد علماء القرن الرابع ، ما نصه : «ورأيت بخطه عدة كتب فلم أر أحسن ضبطاً واتقاناً للكتابة منه ، فانه يجعل الاعراب على الحرف بمقدار الحرف احتياطاً ويكتب على الكلمة المشكوك فيها عدة مرار صح صح صح ...»[٤٠]، كما ينقل الحميدي في كتابه جذوة المقتبس النص التالي : « ... حدثنا أبو القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا القرشي الزهري قال : كان شيوخنا من أهل الأدب يتعالمون أن الحرف اذا كتب عليه بصح بصاد وحاء ، أن ذلك علامة لصحة الحرف لئلا يتوهم متوهم عليه خللاً ولا نقصاً ، فَوُضِعَ حرف كامل على حرف صحيح ، واذا كان عليه صاد ممدودة دون حاء كان علامة أن الحرف سقيم إذ وُضع عليه حرف غير تام ليدل نقص الحرف على اختلاف ويسمى ذلك الحرف أيضا ضبة ، أي أن الحرف مقفل بها لا يتجه لقراءة كما أن الضبة مقفل بها ..»[٤١]. وراوى هذا النص وهو ابراهيم بن محمد بن زكريا القرشي كان من علماء القرن الخامس ، اذ يذكر الضبي أنه توفي سنة ٤٤١ هجرية[٤٢]، وهو في هذا النص ينقل عن شيوخه في الأدب لجوءهم الى استعمال مثل هذه الرموز ، مما يدل على أن هذه الطريقة العلمية عرفت منذ القرن الرابع للهجرة .

واستعمال المختصرات شبيه باستعمال الرموز ، وقد لجأ المؤلفون

---

(٣٩) ينظر : كتاب الرجال ٢٥/١ - ٢٦ .

(٤٠) معجم الأدباء ٣٢٦/٥ .

(٤١) جذوة المقتبس ١٥٢ . وورد هذا النص أيضا في الكتب التالية : بغية الملتمس ١٩٩ . معجم الادباء ٣١٦/١ - ٣١٧ . طبقات النحاة واللغويين (خ) ١٤٨ .

(٤٢) بغية الملتمس ١٩٩ . وينظر : طبقات النحاة واللغويين (خ) ١٤٨ .

القدامى الى استعمال المختصرات منذ القرن الثالث للهجرة ، اذ نجد في كتاب بلاغات النساء لابن أبي طاهر النص التالي :

«قد اختار مرداساً على العين قاتله ولو عاده كناته وحلائله

كناته : ج كنة وهي امرأة الابن أو الأخ ..»[٤٣]. وواضح أن المؤلف يستعمل الحرف (ج) اختصار الكلمة جمع ، ويشبهه في استعمال المختصرات بهذا الشكل ابن الأثير في كتابه اللباب ، أذ أنه في اختصاره لكتاب الأنساب للسمعاني كان يلجأ الى بعض المختصرات للدلالة على بعض العبارات ، من مثل استعماله الحرف (م) للدلالة على أن الترجمة تامة لم يحذف منها شيئاً[٤٤]، وللفيروزابادى في معجمه «القاموس المحيط» مختصرات معروفة ذكرها في مقدمته واستعملها في معجمه هذا قصداً منه الى اختصار الكثير من العبارات .

ولعلامات الترقيم مجال في كتب القدامى أيضا . وأكثر ما عرفوه منها هو الفاصلة بين جملتين ، واختلفوا في العلامة الدالة على هذا ، فابن جماعة يقول : «وينبغي أن يفصل بين كل كلامين بدائرة أو ترجمة أو قلم غليظ ، ولا يوصل الكتابة كلها على طريق واحدة لما فيه من عسر استخراج المقصود ..»[٤٥]، ويقول القلقشندي : «وقد اختلفت طرق الكتاب في فصول الكلام الذي لم يميز بذكر باب أو فصل ونحوه ، فالنساخ يجعلون لذلك دائرة تفصل بين الكلامين ، وكتاب الرسائل يجعلون للفواصل بياضاً يكون بين الكلامين من سجع أو فصل كلام الا أن بياض فصل الكلامين يكون في قدر رأس ابهام وفصل السجعتين يكون في قدر رأس خنصر ..»[٤٦].

وعلى الرغم من اختلاف علامة الترقيم بهذا الشكل الذي يوضحه النصان السابقان ، فان وجود مثل هذه العلامة عند القدامى دليل على اهتمامهم بالكتابة واتضاحها . ومما يؤيد هذا أنهم حددوا موقع علامة الترقيم هذه ، فلم

(٤٣) بلاغات النساء ١٦٨ . ومثله في ص ١٧٣ ومواضع أخرى . وهذا الكتاب هو جزء من كتاب ابن أبي طاهر الموسوم باختيار المنظوم والمنثور .

(٤٤) ينظر : اللباب ٦/١ .

(٤٥) تذكرة السامع والمتكلم ١٩٢ .

(٤٦) صبح الأعشى ١٤٦/٣ .

يجيزوا وقوعها في أول سطر بعد انتهاء الجملة في آخر السطر الذي يسبقه ، وأوصوا الكاتب بضرورة تلافي هذا الأمر بجمع بعض الحروف وتقريبها لتنتهي الجملة خلال سطر ثم تقع الفاصلة بعدها وتبدأ جملة أخرى دون أن تكون في آخر سطر أو أوله : ويظهر هذا فيما ينقله القلقشندي من قول صاحب كتاب مواد البيان : «وينبغي ألا تكون الجملة في آخر السطر والفاصلة في أول السطر الذي يليه لأنه ملبس لاتصال الكلام بل لا يجعل في أول السطر بياضاً أصلاً لأنه يقبح بذلك لخروجه عن نسبة السطور ، ولا أن يفسح بين السطر والذي يليه افساحاً زائداً عما بين كل سطرين ، ولكن يراعي ذلك من أول شروعه في كتابة السطر فيقدر الخط بالجمع والمشق حتى يخلص من هذا العيب ..»[47].

تنظيم الكتابة وتنسيقها

اشتملت كتب القدامى على كثير من الاشارات والنصوص التي تدل على تفكيرهم بتنظيم الكتابة وتنسيقها لاخراج الكتاب بالشكل النهائي ومن الواضح أن هذه الاشارات والنصوص تتناول الناحية الشكلية في الكتابة ، أو أنها تدل على التنظيم الشكلي للكتابة متمثلا في أمور عديدة مختلفة منها ما قالوه في كيفية كتابة الكلمات ه لمتلازمة أو المتصلة ببعضها اتصالاً معنوياً أو نحوياً ، فقد نصوا على عدم جواز وقوع احداها في آخر السطر والثانية في أول السطر الذي يليه لئلا تنفصل عن بعضها ويؤثر هذا الانفصال على علاقتها المعنوية بالنسبة الى القارىء ، وفي هذا يقول الصولي : «ويستقبح أن ينقطع دعاء فيقع أوله في آخر السطر وبعضه في أول السطر الآخر ، وكذلك الكنية والمضاف وغير ذلك ما عمل بعضه في بعض وما جعل اسماً واحداً وهو اثنان في الأصل مثل أعزه الله في الدعاء وعبدالله في الأسماء وغلام زيد في الاضافة وتأبط شراً في العامل بعضه في بعض وخمسة عشر فيما جعل الاسمان اسماً واحداً ومعدى كرب وحضرموت وأيادى سبأ ...»[48].

---

(٤٧) صبح الأعشى ١٤٦/٣ .

(٤٨) أدب الكتاب ٥٦ ، وقد نص كثير من المؤلفين القدامى على هذه القاعدة . ينظر على سبيل المثال : مقدمة ابن الصلاح ٢٠٧ - ٢٠٨ ، صبح الأعشى ١٤٧/٣ - ١٤٨ .

ولحسن الخط وتنظيمه مكانة كبرى في تنظيم الكتابة وتنسيقها عند الكتاب والمؤلفين القدامى ، فقد اهتم به الكتاب وجعلوه أساس صناعتهم وألفوا في ذلك الكتب والرسائل العديدة ، في حين اهتم به المؤلفون لما له من علاقة وطيدة بصناعتهم ، وما بين الأثنين اختلاف في التوكيد على حسن الخط وهندسته وتنظيمه .

لقد علق الكتاب ومن ألف الكتب في صنعة الكتابة أهمية كبرى على حسن الخط ونوعه وتنظيمه منذ أوائل عصور التأليف الادبي كما يتضح هذا في قول ابراهيم بن المدبر : «وأما حسن الخط فلا حد له ، قال علي بن زير النصراني الكاتب : أعلمك الخط في كلمة واحدة ، لا تكتبن حرفاً حتى تستفرغ مجهودك في كتابة الحرف المبدوء به ، وتجعل في نفسك أنك لا تكتب غيره حتى لا تعجل عنه الى غيره ...»[٤٩]. وواضح ما بهذا القول من دعوة الى التأني الشديد أثناء الكتابة حرصا على حسن الخط ، وما هذا الا لأن الكتاب كانوا يعدونه ركناً أساسياً من أركان صنعتهم ، وأداة من أدوات جذب انتباه القارىء ، كما نرى هذا قول الصولي : «ومن فضل حسن الخط أنه يدعو الناظر اليه الى أن يقرأه وان اشتمل على لفظ مرذول ومعنى مجهول وربما اشتمل الخط القبيح على بلاغة وبيان فوائد مستظرفة فيرغب الناظر عن الفائدة التي هو محتاج اليها لوحشة الخط وقبحه ...»[٥٠]. ودفعهم اهتمامهم هذا بالخط وحسنه الى وضع القواعد والمقاييس التي يزنون بها هذا الأمر ، من توكيد على امتداد بعض الأحرف وقصر بعضها الآخر ، وما الى ذلك مما يذكره الصولي في قوله : «وسئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة فقال : اذا اعتدلت أقسامه وطالت ألفه ولامه واستقامت سطوره وضاهى صعوده حدوره وتفتحت عيونه ولم تشبه راءه نونه وأشرق قرطاسه وأظلم أنقاسه ولم تختلف أجناسه ...»[٥١].

---

(٤٩) الرسالة العذراء ٢٥ .

(٥٠) أدب الكتاب ٤٢ .

(٥١) نفسه ٥٠ .

هذه هي نظرة الكتاب الى الخط وحسنه ، ومن الطبيعي أن يبتعد المؤلفون عن هذه النظرة ويخالفون الكتاب فيها فكل هم المؤلف - وخصوصاً العالم المكثر - أن يكتب كتابه بشكل واضح غير مستبهم ، ولهذا كانت أهمية الخط عند المؤلفين والعلماء تتمثل في مدى وضوحه لا حسنه . وفي هذا يقول الماوردي : «غير أن العلماء اطرحوا صرف الهمة الى تحسين الخط لأنه يشغلهم عن العلم ويقطعهم عن التوفر عليه ولذلك تجد خطوط العلماء في الأغلب رديئة لا يخط الا من أسعده القضاء ، وقد قال الفضل بن سهل : من سعادة المرء أن يكون رديء الخط لأن الزمان الذي يفنيه بالكتابة ما يشغله بالحفظ والنظر ، وليست رداءة الخط هي السعادة وانما السعادة ألا يكون له صارف عن العلم ، وعادة ذي الخط الحسن ان يتشاغل بتحسين خطه عن العلم ، فمن هذا الوجه صار برداءة خطه سعيداً ...»[٥٢]. وهذا الذي يذكره الماوردي صار فيما يبدو قاعدة من قواعد الكتابة والتأليف بالنسبة الى المؤلفين ، ومن ثم نرى العلموي يقول متحدثا عن آداب العالم وطالب العلم : «لا يهتم المشتغل بالمبالغة في حسن الخط وانما يهتم بصحته وتصحيحه ويجتنب التعليق جدا وهو خلط الحروف التي يجب تفريقها ، والمشق وهو سرعة الكتابة مع بعثرة الحروف»[٥٣].

ولتنظيم الأسطر وتمييز العنوانات الخاصة بموضوعات الكتاب علاقة وطيدة بتنظيم الكتابة وتنسيقها . وقد رأى القدامى وجوب تعديل السطور وجعلها مستقيمة ذات مسافات متساوية فيما بينها ، وفي هذا يقول الكلاعي : «واستقامة الأسطار أصل جلل في الخط ، واعوجاجها قبيح لاسيما اعواج أوائل الاسطار الى أول الكتاب واعوجاج أواخرها الى أواخره ...»[٥٤]. وكان سبيلهم الى الأسطر وموازنتها هو كتابة الحروف نفسها وموازنة بعضها لبعض طولاً وقصراً وأشكالاً ، وفي هذا يقول ابن درستويه : «ومما يعدل به السطور

---

(٥٢) أدب الدنيا والدين ٥٣ .

(٥٣) المعيد ١٣٣ .

(٥٤) احكام صنعة الكلام ٤٥ .

أن تجعل أعالي ألفاتها ولاماتها وكافاتها المنتصبة وطاءاتها متآزية على مقدار واحد غير متفاضلة وتجعل أسافل الحروف المعرقة كالصادات والسينات والنونات والباءات متساوية بمقدار واحد غير متفاوتة وكذلك أسافل المعقف كالجيمات والعينات فانها تسلم بذلك من الاعوجاج ...»[٥٥].

وقد دققوا في مسألة التوازن بين الأحرف والكلمات داخل الأسطر تدقيقاً كبيراً وفكروا في تفصيلات هذه المسألة وجزئياتها كافة حرصا منهم على استقامة الأسطر واظهار الكتابة بمظهر متناسق ، فعينوا بعض الأحرف التي يجوز المد فيها أثناء الكتابة وما يجوز فيها هذا ، وقرنوا هذا ببنية الكلمة ومقدار ما فيها من أحرف ، وفي هذا يقول ابن درستويه : «ومن بنات الثلاثة ما يجوز مده ، ومن ذوات الأربعة ما يقبح على حسب ما توجبه القسمة ، فمن المد على القسمة في الأربعة ما كان في مثل (محمد) تقرن الميم بالحاء ثم تمد وتجعل الميم والدال بعد المد : (محـــمد) وكذلك ما شاكل هذا في الأقسام وان زاد على الأربعة . ومن المد في الثلاثة على أصوب القسمة ما كان في كلمة أولها جيم أو سين أو عين وفي آخرها ألف أو لام ، لأن كل واحد من الألف واللام يقوم مقام حرفين مثل سماء ، عماء ، سيل ، ... تبتديء بحرفين ثم تمد وتجعل الألف واللام بعد المدة : سمـــاء عـــماء ...»[٥٦].

أما العنوانات العامة والداخلية للكتاب فقد نصوا على وجوب تمييز كتابتها عن كتابة بقية الأسطر فجعلوها أكبر حجماً في الخط وحبذوا في كتابتها استعمال مداد من لون يخالف لون المداد الذي كُتِبَتْ به الأسطر ، وفي هذا يقول ابن جماعة : «لا بأس بكتابة الأبواب والتراجم والفصول بالحمرة ، فانه أظهر في البيان وفي فواصل الكلام وكذلك لا بأس به على أسماء ومذاهب أو أقوال أو طرق أو أنواع أو لغات أو أعداد ونحو ذلك ، ومتى فعل ذلك بين اصطلاحه في فاتحة الكتاب ليفهم الخائض فيه معانيها ... فان لم يكن ما ذكرناه

---

(٥٥) كتاب الكتاب ٧٥ - ٧٦ .

(٥٦) نفسه ٧٢ .

من الأبواب والفصول والتراجم بالحمرة ، أتى بما يميزه عن غيره من تغليظ القلم وطول المشق واتحاده في السطر ونحو ذلك ليسهل الوقوف عليه عند قصده .. »[٥٧] .

(٣)

الاضافة والالحاق

تمثل الخطوات التي استعرضناها في الصفحات السابقة المراحل التي تكتمل بها كتابة الموضوع بالشكل النهائي . ولكن الذي يحدث غالبا أن يجد المؤلف معلومات جديدة بعد انتهائه من كتابة الموضوع ، ومن ثم يلزمه اضافة هذه المعلومات والحاقها بالكتاب . ويبدو أن المؤلفين القدامى كانوا يعالجون هذا الأمر بطريقتين ، الأولى هي اضافة هذه المعلومات الجديدة في آخر الكتاب ، كما نلاحظ هذا عند حمزة الأصفهاني اذ يقول في آخر كتابه التنبيه على حدوث التصحيف : «نمط من المصحف جار على السهو والغلط نسيت الحاقه وبيانه وتذكرته ها هنا ، وهو عشرة أبيات محكية عن الرواة كانوا يروونها قبل أن يرووا ..»[٥٨] .

ومن الواضح أن مثل هذا العمل قد يؤدي الى ارتباك الخطة العامة للكتاب وتوزيع المواد توزيعا غير متناسق ، ومن ثم عالج المؤلفون القدامى هذا الأمر بطريقة أخرى تسهم في الابقاء على وحدة الموضوعات واتساق الخطة العامة للكتاب ، وهي تتمثل في ترك أوراق بيض بعد كل قسم أساسي من أقسام الكتاب ، ومما يدل على هذا قول الآمدي : «قد ذكرت في الجزء الأول احتجاج كل فرقة من اصحاب أبي تمام والبحتري على الأخرى في تفضيل أحدهما على الآخر ، وقلت اني ابتدىء بعد هذا بذكر معايبهما لأختم الكتاب بوصف محاسنهما فأتبعت ذلك بما خرجته من سرقات أبي تمام وبيضت آخر الجزء

---

(٥٧) تذكرة السامع والمتكلم ١٩١ - ١٩٢ . وينظر : المعيد ١٣٩ . وما ذكره هنا نراه واضحا في معظم مخطوطات الكتب العربية .

(٥٨) التنبيه على حدوث التصحيف ٢٧٦ .

لألحق ما وجدته منها في دواوين الشعراء»[٥٩].

ويبدو أن كثيرا من المؤلفين القدامى كانوا يعيدون النظر في كتبهم على توالي الأيام فيجدون فيها بعض النواقص والأخطاء وبعض الاشكال فيضطرون الى اضافة ما يصحح الخطأ ، وما يوضح الاشكال ، ويغيرون في بعض ما كتبوه سابقا . وللثعالبي نص قيم في هذا الموضوع اذ يقول متحدثا عن كتابه اليتيمة : «وحين أعرته على الأيام بصرى وأعدت فيه نظري تبينت مصداق ما قرأته في بعض الكتب : ان أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتابا فيبيت عنده ليلة الا أحسب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة ..»[٦٠].

والذي يتضح مما تناثر في ثنايا الكتب الأدبية القديمة أن المؤلفين القدامى كانوا يثبتون هذه التصحيحات والتنبيهات على حواشي الكتاب في حالة اتساع مجال الحاشية لها ، ومن ثم وجدت في كتبهم بعض الحواشي أو ما يقابل في العصر الحاضر ما نسميه بالهوامش ، وهي تتضمن هذه الأمور والفوائد التي يعرب عنها ابن جماعة في قوله : «لا بأس بكتابة الحواشي والفوائد والتنبيهات المهمة على حواش كتاب يملكه ... ولا يكتب الا الفوائد المهمة المتعلقة بذلك الكتاب مثل تنبيه على اشكال أو احتراز أو رمز أو خطأ أو نحو ذلك ...»[٦١]. ويلاحظ في قوله هذا أن الفوائد والمعلومات التي خصصوا الحاشية لها تكاد تقتصر على التنبيهات على الأخطاء والاشكال الوارد في متن الكتاب . وكان سبيلهم الى ضبط الألفاظ المشكلة في المتن يتمثل في اعادة كتابة تلك الألفاظ مفردة مضبوطة في الحاشية ، وفي هذا يقول ابن الصلاح : «يستحب في الألفاظ المشكلة أن يكرر ظبطها بأن يظبطها في متن الكتاب ثم

---

(٥٩) الموازنة ١٣٣/١ . ويشبه الامدي في عمله هذا كثير من المؤلفين . ينظر على سبيل المثال : اخبار الشعراء ١٤٣ . شرح ما يقع فيه التصحيف ٧٠ . يتيمة الدهر ٤١٦/٤ . دمية القصر ٢٩٣/١ . وفيات الاعيان ١٦٧/٥ - ١٦٨ .

(٦٠) يتيمة الدهر ١٨/١ .

(٦١) تذكرة السامع والمتكلم ١٨٦ - ١٩٠ .

يكتبها قبالة ذلك في الحاشية مفردة مضبوطة فان ذلك أبلغ في ابانتها ..»[٦٢].

وطبيعي ألا تشمل الحاشية عند القدامى غير هذه المعلومات والفوائد إذْ أن ذكر المصادر والشروح اللغوية لبعض الألفاظ واختلاف الروايات في بعض النصوص ، كانت تدون جميعاً في متن الكتاب ، ومع أن هذه الفوائد والتنبيهات التي خصصوا الحاشية لها تبدو قليلة محددة ، الا أنهم توصلوا الى قاعدة مهمة في هذا المجال كثر توكيد الدارسين المحدثين اياها ، وهي عدم اكثار الحواشي واثقالها بالمعلومات ، وفي هذا يقول ابن جماعة في حديثه عن الحاشية متوجها بالنصيحة الى العلماء والمؤلفين : «ولا يسوده بنقل المسائل والفروع الغريبة ، ولا يكثر الحواشي كثرة تظلم الكتاب أو يضيع معالمها على طالبها ...»[٦٣].

واستعملوا علامة خاصة للاحالة على الحاشية توضع فوق الكلمة التي يراد التعليق عليها ، يصفها ابن جماعة في قوله : «اذا أراد تخريج شيء في الحاشية ويسمى اللحق بفتح الحاء علم له في موضعه بخط منعطف قليلاً الى جهة التخريج ، وجهة اليمين أولى ان أمكن ، ثم يكتب التخريج من محاذاة العلامة صاعداً الى اعلى الورقة لا نازلاً الى أسفلها ...»[٦٤]، ويذكر ابن الصلاح ان العلامة التي يشار بها الى الحاشية تكون كالضبة[٦٥] ، الا أن أكثر ما نلاحظه في المخطوطات القديمة يؤيد استعمال العلامة التي ذكرها ابن جماعة ، وهي الخط المنعطف قليلاً أو ما يشبه الدال المقلوبة .

وقد يحدث أن تكون مثل هذه التعليقات والاضافات عديدة بشكل لا يتسع له مجال الحاشية فيضطر المؤلف الى اخراج الكتاب اخراجاً ثانياً أو ما يقابل ما نسميه حالياً بالطبعة الثانية . وهناك كثير من النصوص الدالة على اتجاه القدامى هذا الاتجاه واخراج الكتاب مرات عديدة حسب ما تمليه طبيعة

---

(٦٢) مقدمة ابن الصلاح ٢٠٥ .

(٦٣) تذكرة السامع والمتكلم ١٨٥ - ١٨٦ .

(٦٤) نفسه .

(٦٥) مقدمة ابن الصلاح ٢١٣ .

تلك الزيادات والاضافات التي تتوفر لهم بتوالي الأيام ، فقد ذكر ابن النديم أن لأبي عمرو الشيباني كتاباً اسمه كتاب النوادر الكبير في ثلاث نسخ[٦٦]، كما ذكر أن كتاب البيان والتبيين للجاحظ ظهر في نسختين «أولة وثانية والثانية أصح وأجود»[٦٧]، وذكر ابن درستويه أنه ألف كتابه الموسوم بكتاب الكتاب مرتين كانت كل واحدة منهما مختلفة عن الأخرى زيادة ونقصاناً[٦٨]، كما يذكر ابن خير الاشبيلي أن كتاب أبي بكر الزبيدي الموسوم بلحن العامة ألف مرتين[٦٩]، وينص الثعالبي على أنه أخرج كتابه اليتيمة مرتين كانت الثانية منهما مستوعبة شاملة في حين كانت الأولى مختصرة[٧٠].

وبهذا يمكن القول بأن المؤلفين القدامى لم يكونوا ليجهلوا شيئاً عن كتابة الموضوع واخراج البحث ، وما قدمناه في الصفحات السابقة من أصول كتابة الموضوع ومبادئها يشمل كتابة الموضوع الأصلي للبحث كما تشمل كثير من خطواته كتابة المكملات الأساسية للموضوع مما سنتناوله في الفصل القابل

---

(٦٦) ينظر : الفهرست ٧٥ .

(٦٧) نفسه ٢١٠ .

(٦٨) ينظر : كتاب الكتاب ٦ .

(٦٩) فهرسة ابن خير ٣٤٦ .

(٧٠) تنظر : يتيمة الدهر ١٧/١ - ١٩ ، كما ذكر الثعالبي أنه أخرج كتابه سحر البلاغة بثلاث نسخ كانت الثالثة أتمها (سحر البلاغة ٦) .

الفصل التاسع

المكـــملات

تعقب مرحلة كتابة الموضوع مرحلة ثانية تسهم في اظهار البحث أو الكتاب بشكله النهائي ، وهي تتمثل في كتابة موضوعات لها بالموضوع الأصلي علاقة الا أنها ليست من صميمه . ومن هنا يمكن القول بأن هذه الموضوعات هي مكملات أساسية للموضوع الأصلي[1]. وهذه المكملات أربعة أقسام رئيسة هي : المقدمة والتمهيد والخاتمة والفهارس ، وهي بمجموعها لم تكن خافية عن أذهان المؤلفين القدامى اذ اشتملت معظم كتبهم عليها ، وان لم تكن مصطلحاتها مستقرة عندهم تماما . ولمعرفة مدى التزام المؤلفين القدامى بهذه المكملات ومدى فهمهم لقيمتها وأهميتها نحاول الحديث عن كل واحدة منها مستقلة حسب وضعها الطبيعي في الكتاب ، ولهذا ستكون الخطبة (المقدمة) أولى هذه المكملات .

---

(١) استعمل مصطلح «المكملات» الاستاذ عبدالسلام هارون للدلالة على ما يقوم به المحقق بعد اتمامه تحقيق النص ، وقد عنى بالمكملات ما يلي : العناية بتقديم النص ووصف مخطوطاته ، العناية بالاخراج الطباعي ، صنع الفهارس الحديثة ، الاستدراكات والتذييلات (تحقيق النصوص ونشرها ٧٧) . وقد رأينا ان هذا المصطلح يمكن أن يدل على ما يكتبه الباحث بعد انتهائه من كتابة الموضوع الأصلي للبحث ومن ثم اخترناه عنوانا لهذا الفصل .

(١)

الخطبة (المقدمة)

وردت المقدمة عند القدامى بأسماء مختلفة كان لا بد من الوقوف قليلاً عندها للتعرف فيما بعد على مدى فهمهم لأهميتها وتحديدهم عناصرها . فقد أطلقوا على المقدمة في بعض الأحيان اسماً يشير الى مدلولها دون أن يكتسب صفة المصطلح الخاص بها ، كما نلاحظ هذا في قول الآمدى في حديثه عن دعبل الخزاعي وكتابه طبقات الشعراء : «وكذلك كان أبو علي دعبل بن علي الخزاعي يهجو الملوك والخلفاء ولا يكاد يعرض لشاعر الا ضرورة ، وقد حذر في أول كتابه الذي ألفه في الشعراء من التعرض للشاعر ...»[٢]. ولفظة «أول» تشير الى معنى المقدمة ومكانها من الكتاب ، الا انها لا تكتسب صفة المصطلح الخاص بالمقدمة .

ومصطلح «الخطبة» هو أكثر وروداً المصطلحات عند القدامى للدلالة على منذ القرن الرابع للهجرة ، فأبو حيان التوحيدي حينما ينقل عن بعض الكتب ومقدماتها في كتابه البصائر والذخائر يقول مثلاً : «خطبة كتاب الزند ...»[٣]، وهو ينقل هنا عن مقدمة لكتاب اسمه الزند[٤] ويسميها بالخطبة . ويشبهه في استعمال هذا المصطلح أبو منصور الثعالبي اذ يقول في ترجمة القاضي الجرجاني : «وأنا أكتب من خطبة كتاب القاضي في تهذيب التاريخ فصلين ...»[٥].

واستعمل بعض المؤلفين مصطلح المقدمة ذاته منذ القرن الرابع ، اذ ينقل القلقشندي عن كتاب للزجاجي يسميه بشرح مقدمة أدب الكاتب[٦]،

---

(٢) الموازنة ١٣/١ .

(٣) البصائر والذخائر ٥٢/٣ .

(٤) وردت نقول أخرى عن هذا الكتاب نفسه في البصائر ٥٢٣/٣ .

(٥) يتيمة الدهر ٧/٤ ، وقد استعمل هذا المصطلح كثير من المؤلفين القدامى ، ينظر على سبيل المثال : دمية القصر ٣٥٢/١ ، فهرسة ابن خير ٢١٦ ، احكام صنعة الكلام ٣٨ ، خريدة القصر (عراق) ٢٠٢/١ ، خريدة القصر (شام) ٣/١ - ٤ ، شرح المقامات ٩/١ ، وفيات الاعيان ٢١/١ ، ١٢٧ ، المغرب (مصر) ٢٦٧ - ٢٦٨ ، المغرب (أندلس) ٣٥/٢ ، البلغة ١٢١ ، خزانة الأدب ٩٣ - ٩٤ .

(٦) ينظر : صبح الأعشى ١٥١/١

وينص الخطيب البغدادي على هذا المصطلح في كتابه تاريخ بغداد اذ يقول بعد أن يذكر بعض المعلومات في ترجمة سفيان بن عيينة مما أورده في مقدمة الكتاب : «وقد ذكرنا ذلك في مقدمة هذا الكتاب ...»[٧]، كما يستعمل ابن الأثير هذا المصطلح نفسه في نقده لرسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية[٨]. وكل هذا يدل بصورة واضحة على أن مصطلح المقدمة عرف عند القدامى منذ القرن الرابع وما بعده وظل مستعملاً الى جانب المصطلح الآخر وهو الخطبة .

واستُعملتْ لفظة «الصدر» مصطلحاً للمقدمة عند بعض المؤلفين ومما يدل على هذا قول الحصري في حديثه عن الثعالبي وكتابه سحر البلاغة اذ يقول : «قال في صدر هذا الكتاب ..»[٩]، وقول ابن بسام : «وقد وعدت في صدر هذا الكتاب أن أتخلل أشعار الشعراء ورسائل الكتاب والوزراء ...»[١٠]. ويعدد ابن خير الاشبيلي جملة من الكتب التي وضعت شرحاً لكتب سبقتها فيذكر منها : «كتاب شرح صدر أدب الكتاب لابن القوطية ، وكتاب صدر أدب الكتاب تأليف أبي القاسم الزجاجي ...»[١١]. ونحسب أن لفظة الصدر في النصوص التي أوردناها كافة تشير الى معنى المقدمة ومكانها مما يدل على أن هؤلاء المؤلفين في استعمالهم أياها أطلقوها مصطلحاً خاصاً بالمقدمة .

وعلى هذا نرى أن المصطلح الشائع للمقدمة عند القدامى هو مصطلح الخطبة ويليه مصطلح المقدمة ، ووضع هذين المصطلحين نصاً في بداية مقدمات الكتب كان نادراً جدا عند القدامى[١٢]، اذ كثيراً ما يكتفي المؤلف بالبسملة ثم يبدأ بعدها بالدعاء والحمد ، وينتقل بعد هذا الى الكلام على موضوعه وما تتضمنه المقدمة من معلومات أخرى ، بعبارة أو لفظة كثر ترددها بين المؤلفين

---

(٧) تاريخ بغداد ١٧٤/٩ .

(٨) ينظر : الاستدراك ٢ .

(٩) زهر الآداب ١٢٧/١ .

(١٠) الذخيرة ٢٣/١/١ ، وينظر : ١٨/٢/١ - ١٩ .

(١١) فهرسة ابن خير ٣٤٤ ، ويشبه هذا ما ورد في المغرب اذ يقول في ترجمة ابن الصيرفي : «وقال في صدر كتاب منائح القرائح الذي صنفه ...» (المغرب - قاهرة - ٢٥٣) .

(١٢) يلاحظ فيما طبع من كتب قديمة أن المحققين يتدخلون أحيانا كثيرة فيضعون عبارة «مقدمة المؤلف» أو «خطبة المؤلف» دون أن ترد هذه العبارة في النسخ المخطوطة للكتاب مما يجعلنا نتحرج في القول بورود لفظة المقدمة أو الخطبة نصا في مقدمات الكتب .

القدامى وهي قولهم «أما بعد» أو «وبعد» ، مما يحملنا على القول بأن البسملة وهذه اللفظة صارتا عنصراً أساسياً من عناصر مقدمات الكتب عند القدامى ودليلاً على أن الكلام الذي يبدأ بهما هو مقدمة للكتاب .

ونستطيع أن نتبين في كثير من النصوص الواردة في كتب القدامى ومن خلال مطالعة مقدمات كتبهم أيضاً أنهم فهموا من المقدمة معناها العلمي ولم يكونوا يدرجونها في كتبهم تقليداً . ومظاهر التصور العلمي للمقدمة عندهم تبدو واضحة في جملة أمور ، منها : أهمية المقدمة وضرورتها ، ومنها المواد التي احتوت عليها المقدمات عندهم .

يقول ابن خلكان : «وكان العلماء يقولون : اصلاح المنطق كتاب بلا خطبة ، وأدب الكاتب تأليف ابن قتيبة خطبة بلا كتاب ، لأنه طول الخطبة وأودعها فوائد ...»[١٣].

ولهذا النص دلالته على فهمهم لضرورة وجود المقدمة في الكتاب ، اضافة الى دلالته على فهمهم لماهية المقدمة ووجوب تحديدها وعدم السماح باطالتها وتعدد صفحاتها بشكل لا يتناسب وحجم الكتاب ، ذلك أنها تقديم لموضوع الكتاب لا الكتاب نفسه ، وهذا ما يفهم من قول ابن الأثير في نقد رسالة ابن الدهان : «المآخذ الكندية» ، اذ أنه يقول معدداً مآخذ هذه الرسالة : «الرابع : أنه أطال المقدمة واختصر الكتاب الذي وضعت المقدمة من أجله ، فكان كمن بني داراً فجعل دهليزها ذراعاً وعرضها شبراً ، وكمن صلى الفريضة ركعة واحدة وصلى النافلة عشراً ...»[١٤].

ورأوا كذلك وجوب اتصال ما يرد في المقدمة من معلومات بموضوع الكتاب وعدم احتوائها على معلومات خارجة عن الموضوع ، ولهذا نرى ابن الأثير في نقده لرسالة ابن الدهان السابقة يقول : «الخامس : أن المقدمة لا تشاكل الكتاب لأنه قصرها على أشياء خارجة عن الغرض المقصود ، منها أنه

---

(١٣) وفيات الأعيان ٦/٤٠٠ .

(١٤) الاستدراك ٢ .

ذم العصبية ومراده بذلك أن ينفي عن نفسه أنه تعصب على المتنبي ... ومنها أنه ذم العصبية ومراده بذلك أن ينفي عن نفسه أنه تعصب على المتنبي ... ومنها أنه ذكر أن قول الشعر مباح وذكر طائفة من قائليه ... فطول في ذلك وعرض وأورد أخباراً كثيرة وقضايا متعددة وهذا كله لا يناسب الكتاب ولا يشاكله لأنه مقصور على السرقات الشعرية ...»[١٥].

هذا وما سبقه يؤكد فهم المؤلفين القدامى لماهية المقدمة ، ولهذا لم يكن بعيداً أن نرى مقدمات كتبهم تقترب كل القرب مما يكتبه الدارسون المحدثون من مقدمات ، ولا نغالي اذا قلنا أن المحدثين لا يضيفون شيئاً جديداً على ما ذكره أو فعله القدامى في هذا الموضوع . فمن المعروف بين الدارسين المحدثين أن المقدمة هي أول ما يواجه القارىء من الكتاب ولهذا كان لزاما أن تحتوي على جملة مسائل في اسهام توضيح الفكرة العامة للكتاب عند القارىء ابتداء ، من تبيان لسبب اختيار المؤلف لموضوعه الى تقديم فكرة مختصرة وواضحة عن خطة الكتاب اضافة الى الحديث عن أهم مراجعه ومصادره والكتب المشابهة له في الموضوع ، وغير ذلك من الموضوعات التي تفرضها طبيعة البحث مما تختلف فيها مقدمة عن أخرى .

ولمعرفة مدى فهم المؤلفين القدامى لما هو معروف عند المحدثين في هذا الموضوع ، نرى لزاما علينا أن نستعرض بعض مقدمات الكتب الأدبية سالكين الطريقة التاريخية في هذا لنرى ما احتوته مقدماتهم من موضوعات ، وعلاقة هذه الموضوعات بصميم بحوثهم .

من الملاحظ على الكتب الأدبية المتقدمة أنها تخلو من المقدمة ، فنوادر أبي زيد والنقائض لأبي عبيدة ومعاني القرآن للفراء وفحولة الشعراء

---

(١٥) نفسه ٢ - ٣ .

للأصمعي والأصنام لابن الكلبي ، كل هذه الكتب تبدأ بسلسلة الرواة الذين رووا الكتاب ثم يواجهنا نص الكتاب مباشرة ، ولا غرابة في هذا اذ ان هذه المؤلفات - كما سبق القول مرارا - كانت مجموعة من المرويات المدونة عن العلماء ، ولم تكن تأليفا بالمعنى العلمي للتأليف ، ولهذا فلا مجال ولا موجب لوضع المقدمات لها اذ انها تحتوى على آراء وأقوال لعديد من العلماء والمؤلفين ولم تختص بعالم ومؤلف واحد ، زيادة على كون معظمها مجموعة من الأمالي التي كان يمليها الشيوخ في المجالس العلمية في حقبة زمنية قد تكون طويلة ، وبفترات متقطعة مما يجعل ذكر مقدمة لها أمراً لا مبرر له .

واذا ما انتهينا الى أوائل القرن الثالث واجهنا كتاب ابن سلام طبقات الشعراء ، وفيه مقدمة طويلة مضطربة الموضوعات لا يمكن أن نعدها مقدمة بالمعنى العلمي اذ انها احتوت على كثير من الموضوعات التي لا علاقة لها بصميم مادة الكتاب ، فهي على هذا مزيج من المقدمة والتمهيد ، ولو وصلت الينا كاملة غير مضطربة لأمكننا أن نقف عندها طويلاً .

ويصعب تمييز مقدمة لكتب الجاحظ لأنها تبدأ بموضوعات مشابهة لمادة الكتاب نفسه ، وتتصل هذه الموضوعات بغيرها ، مما لا يمكننا فيه تمييز مقدمة لها .

ونستطيع القول بأن أول ما يواجهنا من مقدمات علمية للكتب الأدبية يتمثل في كتب ابن قتيبة . ولعل ابن قتيبة - على الرغم من تقدمه في الزمن - أفضل المؤلفين القدامى في كتابة المقدمات وصياغتها بالشكل العلمي الذي قد لا يختلف أبدا عن مقدمات الكتب الحديثة . ولاثبات هذا نستعرض مقدمة كتابه «عيون الأخبار» فنرى أنه ابتدأ هذه المقدمة بالحمد والدعاء ، ثم أعقبه بكلام موجز عن أهمية العلم ، وكأنه بهذا يمهد للقول في سبب اختياره الموضوع اذ انتقل بعد هذا الكلام مباشرة الى سبب اختياره موضوع كتابه ، فذكر أنه وضعه لمساعدة الكتاب والأدباء عموماً فجمع لهم كل ما يحتاجونه من معارف ، ومض يثني على ما جمع مبيناً قيمته وفائدته ، ثم أعقب هذا باعتذار

عما يرد في الكتاب من بعض الموضوعات التي قد يراها القارىء خارجة عن الذوق أو غير ملائمة لما يتضمنه الكتاب من موضوعات أخرى كالمزاح والفكاهة وبعض المجون ، ويفصل القول في تبيان وجهة نظره في هذا الموضوع ثم ينتقل الى وصف ما عاناه في جمع مادة هذا الكتاب والمصادر التي رجع اليها . وحديثه عن مصادره هنا حديث عام لا تخصيص فيه اذ انه يكتفي بالاشارة الى نوعية هذه المصادر فيقول : «واعلم أنا لم نزل نلتقط هذه الأحاديث في الحداثة والاكتهال عمن هو فوقنا في السن والمعرفة وعن جلسائنا واخواننا ومن كتب الأعاجم وسيرهم وبلاغات الكتاب في فصول كتبهم وعمن هو دوننا غير مستنكفين أن نأخذ عن الحديث سناً لحداثته ولا عن الصغير قدراً لخساسته ...»[16]، وبعد هذا ينتقل الى تبيان لخطة الكتاب وما احتواه من أقسام بصورة تفصيلية تعطي فكرة واضحة لقارىء الكتاب عن محتواه . وقد كان يقصد من هذا الى تعريفَ القارىء بموضوعات الكتاب ابتداء ليسهل عليه الرجوع الى أي موضوع يشاء ، وقد نص على هذا بقوله : «فهذه أبواب الكتب جمعتها لك في صدر أولها لأعفيك من كد الطلب وتعب التصفح وطول النظر عند حدوث الحاجة الى بعض ما أودعتها ، ولتقصد فيما تريد حين تريد الى موضعه فتستخرجه بعينه أو ما ينوب عنه ويكفيك منه ...»[17]، ثم يختم مقدمته هذه بكلمة اعتذارية عما يظهر في الكتاب من موضوعات قد لا تعجب بعض القراء . ومن هنا نرى أن مقدمة ابن قتيبة هذه شملت جملة أمور تتميز بها المقدمات العلمية للكتب ، من تبيان لسبب اختيار الموضوع الى وصف لعمل المؤلف وما عاناه في جمع مادة الكتاب وتأليفه ، الى حديث مختصر عن المصادر ثم بيان مفصل لخطة الكتاب ثم كلمة اعتذارية للقراء .

ومقدمة أبي الفرج الأصفهاني لكتابه الأغاني شبيهة بمقدمة ابن قتيبة في كونها مطولة تفصيلية ، تناول فيها عديدا من المسائل التي تعالج في المقدمات

---

(١٦) عيون الأخبار ١/م .

(١٧) نفسه ١/ف .

العلمية للكتب ، فهو يبدأ هذه المقدمة بتعريف عام بموضوع الكتاب وما يحتويه من أخبار وأشعار ، ثم يعقب ذلك ببيان وتوضيح لخطة الكتاب وسبب توزيعه هذا التوزيع المخالف لغيره من كتب الأدب والتراجم ، ناسباً ذلك إلى طبيعة موضوع الكتاب . ثم ينتقل بعد هذا الى توضيح آخر لسبب تبويب الكتاب بشكل يخالف تبويب الكتب الموضوعة في الغناء ، ثم يذكر بعد هذا سبب تأليف الكتاب ، فينقد خلال هذا الكلام كتاباً مشابهاً لموضوع كتابه منسوباً خطأ الى اسحاق الموصلي ، ويبين ما فيه من تزوير وأخطاء ، ويختم مقدمته هذه بكلمة موجزة عما لاقاه من مصاعب في جمع الكتاب وتأليفه ، وكلمة موجزة يعتذر فيها عما قد يبدو في كتابه من نواقص وأخطاء . وبهذا نرى في مقدمة أبي الفرج هذه تطوراً جديداً يطرأ على كتابة المقدمات يتمثل في نقد الكتب المشابهة لموضوع الكتاب ، مما يشبه ما يفعله الدارسون المحدثون حينما يتناولون موضوعا سبق التأليف فيه فينقدون ما ألف قبلهم وكأنهم بهذا يوجدون العذر لأنفسهم في الكتابة في موضوع مطروق .

وأنموذج آخر من انموذجات المقدمات العلمية نراه في كتاب يتيمة الدهر للثعالبي ، والموضوعات التي يتطرق المؤلف اليها في مقدمته هذه عديدة تبدأ بأهمية الموضوع ، اذ يتحدث الثعالبي في بداية مقدمته عن الأدب ومحاسنه ثم ينتقل الى تفضيل الشعراء المحدثين على القدامى ، وكأنه بهذا يحاول اثبات أهمية الموضوع الذي هو بصدده ، اذ أن كتابه خاص بالشعراء المحدثين ، ثم ينتقل بعد هذا الى ذكر الكتب المصنفة في تراجم الأدباء قبله ، وهو يذكرها ذكراً عاماً دون تسمية لأحدها ، وينقده نقداً عاماً أيضاً في قوله بأنها أصبحت مكررة المعلومات لا تكاد تضيف جديدا ممتعاً للقارىء وهو بهذا يقدم السبب الرئيس لاختياره الموضوع ، وهو التصدي لأخبار الشعراء المحدثين لتقديم شيء جديد للقراء ، ثم يصف لنا عمله في الموضوع وكثرة ملازمته اياه ، ثم ينتقل بعد هذا الى تحديد موضوع كتابه من الناحية الزمنية ، ويذكر ماهية اختياراته في هذا الكتاب فيحددها بالجيد المستحسن من الشعر والنثر ، الا أنه يستدرك

بعد هذا ويشير الى أن ما يرد في الكتاب مخالفاً هذا التحديد يرجع الى ضرورة اقتضته وكأنه بهذا الكلام كله يعتذر الى القارىء عما قد يراه غير مرض في الكتاب ، ثم يختم هذه المقدمة بذكر الخطة العامة للكتاب بشكل مجمل لا مفصل ، وينهي مقدمته هذه بكلمة اعتذارية تدل على تفكير علمي سديد ، وذلك اذ يقول : «وفيما لم يقع الي من جنس هذا الكتاب كثرة ولعله يزيد على ما حصل لدى ، ومن يقدر على حصر الأنفاس وضبط بنات الأفكار وفي الزوايا خبايا ولا نهاية للخواطر ، ولا منقطع لمواد المحاسن ، وما على المؤلف الا جهده ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ...»[١٨].

ولكل هذا نرى فيما اخترناه من نماذج لمقدمات الكتب الأدبية منذ القرن الثالث أن هذه المقدمات احتوت على مسائل عديدة لا تختلف عما تحتويه مقدمات الكتب الحديثة ، وكثير من مقدمات الكتب الأدبية لا تختلف موضوعاً عما استعرضناه . ولم يكن هذا النوع من المقدمات هو الوحيد عندهم ، فقد عرفوا كتابة نوع ثانٍ من المقدمات الداخلية المختصرة للأبواب أو الفصول ، فكثير من المؤلفين القدامى يفتتحون الأقسام الرئيسة أو الفرعية من كتبهم بمختصر لما سيرد فيها من موضوعات مما يمكن أن نسميه مقدمة داخلية لهذه الأقسام .

ونماذج هذه المقدمات الداخلية عديدة يكفي أن نشير الى بعض منها للتمثيل ، ففي كتاب «عيار الشعر» لابن طباطبا ، وفي بداية القسم الذي يسميه بالأشعار المحكمة وأضدادها ، نلاحظ النص التالي : «ونذكر الآن أمثلة للأشعار المحكمة الرصف المستوفاة المعاني السلسة الالفاظ ، الحسنة الديباجة ، وأمثلة لأضدادها وننبه على الخلل الواقع فيها ونذكر التي زادت قريحة قائليها فيها على عقولهم والأبيات التي أغرق قائلوها فيما ضمنوها من المعاني والأبيات التي قصروا فيها عن الغايات التي جروا اليها في الفنون التي وصفوها ...»[١٩].

---

(١٨) يتيمة الدهر ٢٢/١ .

(١٩) عيار الشعر ٣٢ .

وواضح أن المؤلف يذكر مختصراً لما سيرد في هذا القسم من كتابه مما يشير اشارة صريحة الى أن هذا الذي يذكره هو مقدمة مختصرة للقسم المذكور .

وتتخذ هذه المقدمة الداخلية لكل قسم رئيس من الكتاب مصطلحاً خاصاً عند ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد ، اذ يسميها بالفرش ويبدأ كل كتاب من الكتب الرئيسة في كتابه هذا بفرش خاص به من مثل ما نلاحظه في كتاب الحروب مثلاً ، اذ يبدأ بالشكل التالي : «فرش كتاب الحروب .

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله : قد مضى قولنا في السلطان وتعظيمه وما على الرعية من لزوم طاعته وادامة نصيحته وما على السلطان من العدل في رعيته والرفق بأهل مملكته . ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الحروب ومدار أمرها وقود الجيوش وتدبيرها ...»[٢٠]. وشبيه بهذه المقدمات الداخلية للأقسام الرئيسة من الكتب ما نراه في كثير من الكتب القديمة[٢١]، مما يدل على أن المؤلفين القدامى فهموا من المقدمة وأقسامها نفس المفهوم العلمي الذي نراه عند الدارسين المحدثين .

(٢)

التوطئة (التمهيد)

نستطيع من خلال دراسة كتب القدامى معرفة ماهية التمهيد عند كثير منهم ، وذلك فيما نلاحظه مما يرد بعد مقدمات الكتب من دراسة لا تتناول صلب الموضوع ، بل تتناول معلومات لها علاقة به وتعد تمهيداً له ومدخلاً اليه ، مما يدل على انها كتبت لغرض الدخول في الموضوع الأساس للدراسة أو البحث ويشير الى أن المؤلفين يفهمون مادة التمهيد ويعرفون ضرورتها .

---

(٢٠) العقد الفريد ٩٣/١ .

(٢١) ينظر على سبيل المثال : أشعار أولاد الخلفاء ٣ ، نشوار المحاضرة ١٣/١ ، ٧/٢ - ٨ ، ٧/٣ ، الصناعتين ٢٦٦ - ٢٦٧ ، البصائر والذخائر ٢٩٠/٢ - ٢٩١ ، الامتاع والمؤانسة ١/٢ - ٢ ، الخريدة (شام) ٣/٣ - ٤ ، نهاية الأرب ١/٢ - ٢ .

الا أن الذي نلاحظه في هذا المجال هو أن المؤلفين القدامى اضطربوا في تحديد مصطلح خاص بالتمهيد فكانوا يشيرون اليه أحيانا بألفاظ تدل على معنى التمهيد والتقديم للموضوع ، ويستعمل قسم منهم «التوطئة» مما يفهم منه أنهم يطلقونها مصطلحاً خاصاً بالتمهيد ، كما يستعمل قسم منهم مصطلح المقدمة ذاته للدلالة على هذا الذي يكتبونه تمهيداً للموضوع . في حين نص مؤلف واحد - فيما نعلم - على مصطلح التمهيد صراحة .

فمن الألفاظ التي دلت على معنى التمهيد عندهم ما نراه عند قدامة بن جعفر حينما يتناول دراسة بعض الموضوعات التي لها علاقة بموضوعه الأصلي اذ يقول في بدايتها : «ومما يجب تقدمته وتوطيده قبل ما أريد أن أتكلم فيه ...»[٢٢] ونحسب أن لفظة «التوطيد» هنا هي التي تعني التمهيد عنده ، اذ اقترنت بلفظة التقديم ، وفي هذا اشارة الى موقع التمهيد من الكتاب ، كما أنه تناول في هذا القسم من كتابه معلومات عامة عن الشعر تعد تمهيدا لما يريد الخوض فيه من موضوعات في نقد الشعر .

ووردت عند القاضي الجرجاني لفظة «التوطئة» بعد أن تكلم في بداية وساطته على موقف الأدباء من المتنبي ثم تحدث عن أغاليط الشعراء وشيء من فنون الشعر ثم قال بعد هذا : «وانما قدمنا هذا النبذ توطئة لما نذكره على أثره وتدريجاً الى ما بعده ..»[٢٣] . وواضح أن التوطئة هنا هي التمهيد نفسه ، اذ ان ما قدمه من معلومات في الصفحات السابقة يعد تمهيداً لما يريد الخوض فيه من دفاع عن المتنبي أو بيان لموقف الأدباء منه .

ويستعمل الحصري في كتابه «زهر الآداب» مصطلح المقدمة دالاً على التمهيد اذ أنه أفتتح الكتاب بمقدمة ذكر فيها سبب تأليفه ، ثم أعقب هذه المقدمة - التي هي المقدمة العامة للكتاب أو خطبة المؤلف - بحديث مطول عن فضل البيان واسترسل في ذكر أقوال بليغة للنبي والصحابة ، ثم قال بعد

---

(٢٢) نقد الشعر ١٧ .

(٢٣) الوساطة ٤٨ .

هذا : «قد تم ما استفتحت به التأليف وجعلته مقدمة التصنيف ..»[٢٤]، ولا نظن أن هذا الكلام الكثير كله كان مقدمة للكتاب بالمفهوم العلمي للمقدمة ، اذ ان مقدمة المؤلف تنتهي بذكر سبب اختياره الموضوع ثم وصف عمله في الكتاب ثم كلمة اعتذار اختتم بها هذه المقدمة الأصلية . وما بدأ بعد هذه المقدمة مما استغرق الكلام فيه تسعين صفحة تقريباً لا شك في كونه تمهيداً لموضوع الكتاب الأصلي .

ويقسم ضياء الدين بن الأثير كتابه المثل السائر الى مقدمة ومقالتين بعد الخطبة أو مقدمة الكتاب الأساسية . أما المقدمة فقد جعلها خاصة بأصول علم البيان ، وأما المقالتان فقد جعل احداهما للصناعة اللفظية والأخرى للصناعة المعنوية ، ومن هنا نحسب أن هذه المقدمة التي قسمها الى عدة فصول وجعلها خاصة بأصول علم البيان هي التمهيد نفسه ، وربما كان مصطلح المقدمة عنده هو ما يعني التمهيد ، اذ ان مقدمته الاصلية التي لم تتجاوز الصفحتين لم يسمها بالمقدمة ، ولعل مما يؤكد هذا أن مصطلح المقدمة استعمل عند المؤلفين المتأخرين دالاً على التمهيد اذ تناول الموضوعات التي تقدم في أول الكتاب وليست من صميمه ، فالصفدي في كتابه «نكت الهميان» يقسم الكتاب الى عشر مقدمات ونتيجة ، أما المقدمات العشر فقد تناول فيها معلومات عامة عن العمى وأخبار العميان ، وأما النتيجة فهي التي تحتوي على تراجم العميان أي أنها هي الموضوع الأصلي للكتاب ، وقد نص على هذا بقوله : «النتيجة هي الغرض المطلوب من هذا الكتاب ، فأنا أذكر كل من وقع الي ذكره وهو أعمى سواء ولد أعمى أو طرأ عليه العمى فأسردهم على حروف المعجم ليسهل كشفه ..»[٢٥]. والقلقشندي في كتابه صبح الأعشى يستعمل مصطلح المقدمة دالاً على التمهيد أيضاً ، اذ انه يقول في نهاية مقدمته الأصلية أو خطبته : «وقد رتبته على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة ، المقدمة : في مباد يجب تقديمها قبل الخوض

---

(٢٤) زهر الآداب ٩٧/١ .

(٢٥) نكت الهميان ٨٧ .

في كتابه الانشاء وفيها خمسة أبواب ...»[٢٦]. ونحسب أن هؤلاء المؤلفين في استعمالهم لفظة المقدمة للدلالة على التمهيد انما ينظرون الى المعنى اللغوي للفظة المقدمة الذي يدل على ما يقدم من معلومات قبل الموضوع الأصلي .

ولعل ابن الزملكاني (٦٥١ هـ) هو الوحيد من المؤلفين القدامى في استعمال مصطلح التمهيد صراحة ، فقد ذكر في مقدمة كتابه البرهان الكاشف ما نصه : «وقد سميته بالبرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ، ورتبته على تمهيد وثلاثة أقسام ، أما التمهيد ففيه ثلاثة فصول ...»[٢٧].

ومن هنا نرى أن مصطلح التمهيد لم يستقر عند القدامى ولم يأخذ شكل المصطلح الواحد ، فقد تعدد ما بين مقدمة وتوطئة وتمهيد ، مما يدل على أنهم لم يكونوا ملتزمين بمصطلح واحد له . أما ماهية التمهيد عندهم ومكانه من كتبهم فقد سبق أن رأينا أنهم يأتون به بعد المقدمة مباشرة ، وقد يكون هذا التمهيد عند بعضهم معنوناً بباب أو بفصل . ففي كتاب الموشى للوشاء نرى النص التالي بعد مقدمة المؤلف أو خطبته : «وأصدر كتابي هذا مستعينا بالله راغباً اليه بذكر الأدب وصفته وما تحتاج الأدباء الى معرفته وأشفعه بأشياء يستحسنها الأديب ويرغب في دراستها الأريب وبالله التوفيق .

باب البيان عن حدود الأدب وما يجب على الأدباء من الفحص والطلب ...»[٢٨].

ونحسب أن هذا الذي يسميه باباً هو التمهيد نفسه ، فالمعلومات الواردة فيه ليست من صميم مادة الكتاب ، الا أنها ذات علاقة بها ممهدة لها .

وينقل الآمدي عن كتاب في السرقات الشعرية لأبي الضياء بشر بن يحيى وينقده بقوله : «غير أني اطرحت سائر ما ذكره أبو الضياء بعد ذلك لأنه لم يقنع بالمسروق الذي يشهد التأمل الصحيح بصحته حتى تعدى ذلك الى

---

(٢٦) صبح الأعشى ١٠/١ - ١١ .

(٢٧) البرهان الكاشف ٤٤ .

(٢٨) الموشى ٥ - ٦ .

التكثير والى أن أدخل في الباب ما ليس منه بعد أن قدم مقدمة افتتح بها كلامه وقال : ينبغي لمن نظر في هذا الكتاب ألا يعجل بأن يقول هذا مأخوذ من هذا ..... فجعل هذه التقدمة توطئة لما اعتمده من الاطالة والحشر ...»[٢٩]، ومن وصف الآمدي لمقدمة أبي الضياء هذه يتضح أنها تمهيد قدمه لبحث السرقات الذي ألف الكتاب فيه ، كما أن قول الآمدي «فجعل هذه التقدمة توطئة» يؤكد كون هذا الكلام تمهيداً لموضوع الكتاب الأصلي اذ نص على تسميته بالتوطئة .

أما المرزباني في كتابه الموشح ، فبعد أن تنتهي مقدمته يبدأ بباب يتضمن حديثا عن عيوب الشعر بصورة عامة ويقول في هذا : «وابتدأنا بباب أبنا فيه عن حال السناد والايطاء والاقواء والاكفاء وان لم يكن هذا الكتاب مفتقراً الى ذكره ، وانما أوردناه لما جاء فيه من الأشعار المعيبة ...»[٣٠]، وكلامه واضح الدلالة على أن ما يقدمه في هذا الباب انما هو معلومات تمهيدية لما يريد الخوض فيه بعد هذا من حديث عما عيب على الشعراء ، وهو في تسميته لهذا التمهيد بالباب يشبه الوشاء الذي سبقه الى مثل هذا العمل .

ويقول الصاحب بن عباد في رسالته «الكشف عن مساوىء شعر المتنبي» قبل الخوض فيما يراه من مساوىء في شعر المتنبي : «وأنا أقدم شذوراً سمعتها من الاستاذ الرئيس أدام الله علوه في نقد الشعر تدل على ما بعدها وتنبي عما قبلها ...»[٣١]، وكلامه هذا واضح في أن ما يقدمه قبل الخوض في مساوىء شعر المتنبي انما هو تمهيد للموضوع اذ ان ما جاء فيه يتناول موضوعات عامة عن نقد الشعر تكون تمهيداً مناسباً لما سيقوله في شعر المتنبي .

وسبق القول بأن القاضي الجرجاني كان يقدم في وساطته معلومات عامة عن أغاليط الشعراء ليجعلها تمهيداً لموضوعه الأصلي ، وهو ينص على هذا صراحة اذ يقول : «وانما قدمنا هذا النبذ توطئة لما نذكره على أثره ...»[٣٢]،

---

(٢٩) الموازنة ٣٢٥/١ .

(٣٠) الموشح ٢ .

(٣١) الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ٣٤ .

(٣٢) الوساطة ٤٨ .

وهو في قوله هذا يستعمل «التوطئة» صراحة مصطلحاً للتمهيد ، ويدل على هذا أيضاً أنه بعد كلامه هذا يشير الى أنه سينتقل الى موضوع الكتاب الأصلي فيقول : «ثم نعدل الى ما تكلفناه في هذه الوساطة فنقول ...»[٣٣]، مما يشير الى أنه يفهم المعنى العلمي لمادة التمهيد ، ألا وهو جملة من المعلومات تقدم قبل البدء بالموضوع الأصلي .

ويقول ابن الفرضي في مقدمة كتابه تاريخ علماء الأندلس : «ولما رأيت كثيرا من الوفيات ترتبط بدول الملوك لم أجد بداً من ذكرها في صدر هذا الكتاب ليكون دليلاً على ما تعلق بها وأضيف اليها مع ما في علم ذلك من الفائدة ...»[٣٤]، ثم يبدأ بعد هذا بذكر الحوادث التاريخية للأندلس منذ افتتاحها حتى عصره ، مما يدل على أن هذه المعلومات التاريخية التي يقدمها هي تمهيد عام لموضوع الكتاب الأصلي ، وهو بهذا يصل الى درجة قيمة في فهم ماهية التمهيد تظهر في تقديمه للمعلومات التاريخية التي تتصل بصميم موضوعه مما يشبه الى حد بعيد ما يكتبه الدارسون المحدثون من دراسات تمهيدية قبل البدء بالموضوع الأصلي لبحوثهم .

وللحصري القيرواني في كتابه «جمع الجواهر» الذي خصصه للفكاهات والنوادر حديث مطول يبدأ بعد مقدمته ويتناول فيه أهمية الفكاهات وعدم تحرج الكبار ورجال العلم منها ، ويستغرق الكلام فيه أكثر من خمسين صفحة ، ونحسب أن مثل هذا الحديث هو بمثابة تمهيد للموضوع الأصلي اذ انه بعد أن ينتهي منه يقول : «وهذا حين ابتدىء متصرفاً بك من بلاغة خطاب الى براعة جواب ، وصريح منادرة الى مليح مهاترة ...»[٣٥]، أي أن ما سبق من كلام لم يكن من صميم الكتاب وانما تمهيداً له ، وفي هذا ما يدل على أنه يفهم من التمهيد معناه العلمي ، وهو تقديم معلومات تمس صميم الكتاب وتعد مفتاحاً له ، وكذلك الحال بالنسبة لكتابه زهر الآداب ، وقد سبقت الاشارة الى هذا .

---

(٣٣) الوساطة ٤٩ .

(٣٤) تاريخ علماء الأندلس ٣/١ .

(٣٥) جمع الجواهر ٦٣ .

وابن سنان الخفاجي في كتابه «سر الفصاحة» يذكر عدة فصول بعد المقدمة ، منها فصل في الأصوات وفصل في الحروف وفصل في الكلام وفصل في اللغة ، وهذه الفصول - كما هو واضح - معلومات تمهيدية لموضوع كتابه ، فهي تشكل بمجموعها تمهيداً عاماً للكتاب ، والدليل على هذا أنه يقول بعد انتهاء هذه الفصول : «ونبتدىء الأن بالكلام فيما أجرينا القول اليه ونقول : ان الفصاحة على ما قدمنا نعت للألفاظ ...»[٣٦]. فهو ينص صراحة على أن ما قدمه كان معلومات تمهد له القول في موضوعه الأصلي ، وهو يستند الى ما تقدم من معلومات تمهيدية أثناء كلامه على بعض الموضوعات الأساسية في كتابه ، ومنها قوله في النص السابق : «إن الفصاحة على ما قدمنا نعت للألفاظ ...» أي يستند الى هذه المعلومات التي قدمها لتبيان مسألة من مسائل موضوعه الأصلي وشرحها مما يؤكد أن هذا الذي قدمه سابقا هو تمهيد للموضوع ، وهو تمهيد علمي اذ انه شرح فيه موضوعات تعد مفاتيح للخوض في الموضوع الأصلي .

ونرى ابن الجوزي في كتابه «أخبار الظراف والمتماجنين» يقسم الكتاب بصورة عامة الى ثلاثة أبواب ، ثم يقدم على هذه الأبواب الثلاثة فصلاً في معنى الظرف والمجون ، مما يدل على أن هذا الفصل هو التمهيد نفسه ، فقد قال بعد المقدمة : «فصل يقدم قبل أخبار القوم في معنى الظرف والمجون ...»[٣٧] أي أنه يحس بأن هذا الفصل هو تقدمة ضرورية لما يريد الخوض فيه من موضوع أصلي ، وهو وان سماه بالفصل فقد رأينا أن بعض المؤلفين قبله سماه بالباب ، وهي تسميات لاتمس الفكرة الأساسية للتمهيد[٣٨].

ولكل ما قدمناه نرى أن التمهيد لم يكن خافيا عن أذهان كثير من المؤلفين القدامى ، فهم وان اضطربوا في تحديد مصطلح خاص به الا أنهم

---

(٣٦) سر الفصاحة ٥٣ - ٥٤ .

(٣٧) أخبار الظراف والمتماجنين ٣ - ٤ .

(٣٨) وقد سبقت الاشارة الى ما قدمه ابن الأثير من تمهيد لكتابه المثل السائر وسماه بالمقدمة ، وكذلك الحال بالنسبة الى الصفدي والقلقشندي وابن الزملكاني الذي نص صراحة على تسميته بالتمهيد .

اتفقوا تقريباً على ماهيته وكونه مجموعة من المعلومات الممهدة للموضوع الأصلي . وهذا لا يمنع من القول بأن فكرة التمهيد لم تكن مستقرة عند جميع المؤلفين القدامى بدليل اهمال كثير منهم له ، زيادة على أن بعضا منهم كان يقسمه الى أبواب وفصول كما يقسم المادة الأساسية للكتاب مما يدل على أن هؤلاء لم يكن لديهم فرق واضح بين التمهيد وبين المادة الأساسية للكتاب .

(٣)

الخاتمة

احتوت بعض الكتب القديمة على كلمة ينهي المؤلف موضوعه ويتناول فيها معلومات تختلف من مؤلف الى آخر دون نص صريح على أن هذا الكلام الذي يكتبه هو خاتمة للكتاب ، الا أن موضعه وما يتناول فيه من كلمات اعتذارية أو تلخيص لفكرة الكتاب يدل على أن هذا الكلام هو خاتمة للكتاب .[٣٩]

وعمد بعض المؤلفين الى النص على ختام الكتاب صراحة ، اما بقول المؤلف انه يختم الكتاب في هذا الموضوع ثم يذكر معلومات مختلفة تعد خاتمة للكتاب ، واما باستعمال مصطلح الخاتمة نصاً .

والذي يلاحظ أن المؤلفين المتقدمين لم يستعملوا مصطلح الخاتمة صراحة بل استعملوا في معظم الاحيان الفعل الدال على الختام أو بعض مشتقاته كما نرى هذا عند المبرد في قوله في آخر كتابه الكامل : «هذا كتاب قد وفيناه جميع حقوقه ... ونحن خاتموه بأشعار ظريفة ، وآخر ذلك الذي نختم به آيات من كتاب الله عز وجل»[٤٠] ، ويشبه المرزباني في هذا اذ يقول في كتابه

---

(٣٩) من نماذج هذا ما نراه في الكتب التالية : الرسالة العذراء ٤٨ ، الموشى ٢٥٣ - ٢٥٤ ، جمع الجواهر ٣٦٧ - ٣٦٨ ، الاشباه والنظائر ٣٦٢/٢ - ٣٦٣ ، الوساطة ٤٧٩ ، الصناعتين ٤٦٢ - ٤٦٣ ، البرهان في وجوه البيان ٤٣٧ ، الصداقة والصديق ٤٦٩ ، شرح الحماسة ١٨٨٥/٤ - ١٨٨٦ ، البديع في وصف الربيع ١٦٠ - ١٦١ ، سر الفصاحة ٣٤٣ ، المنتخب من كنايات الادباء ١٤٧ - ١٤٨ ، الجمان ٣٨٥ ، درة الغواص ٢٠٨ - ٢٠٩ ، احكام صنعة الكلام ٢٦١ ، بدائع البدائه ٤٠٧ - ٤٠٨ ، اعتاب الكتاب ٢٥٤ .

(٤٠) الكامل ١٢٥/٤ .

الموشح : «وختمنا هذا الكتاب بباب أتينا فيه بما روى من ذم ردىء الشعر ...»[41]ظ(، وأبو حيان التوحيدي يستعمل الفعل نفسه فيقول في كتابه الامتاع والمؤانسة : «ولأنه آخر الكتاب ختمته برسالة ..»[42].

وأول من استعمل مصطلح الخاتمة نصاً أبو منصور الثعالبي في كتابه تتمة اليتيمة اذ قال في آخره : «خاتمة الكتاب . يشتمل على ذكر أقوام مختلفي الترتيب متفاوتي التاريخ ...»[43]. وكذلك يستعمل القلقشندي هذا المصطلح صراحة فيكتب في آخر كتابه صبح الأعشى بحثاً مطولاً محتوياً على عدة أبواب يسميه الخاتمة ، وذلك اذ يقول : «الخاتمة : في ذكر أمور تتعلق بديوان الانشاء غير أموز الكتابة ، وفيها أربعة أبواب ..»[44]، كما نرى النص على مصطلح الخاتمة صراحة عند النواجي اذ يقول في مقدمة كتابه حلبة الكميت : «ورتبته على خمسة وعشرين باباً وخاتمة ..»[45].

أما موضوع الخاتمة عند القدامى فختلف وتتفاوت مادته بينهم طولاً وقصراً ، ففي بعض الكتب الأدبية نرى الخاتمة مجرد كلمة ختامية قصيرة للكتاب لا تكاد تتجاوز الصفحة أو بعضا منها ، وهذه الكلمة اما أن يطرى بها المؤلف كتابه ، واما أن يصف ما قدمه فيه وما لاقاه من مصاعب ، واما أن يتوجه بالاعتذار الى القراء عما يبدو في كتابه من نقص . ويكثر هذا النوع من الخاتمة في الكتب المتقدمة وبعض الكتب المتأخرة ذات الموضوع المحدد غير المتشعب . ففي نهاية الرسالة العذراء لابن المدبر نرى النص التالي : «وهذه الرسالة عذراء لأنها بكر معان لم تفترعها بلاغة الناطقين ولا لمستها أكف المفوهين ، ولا غاصت عليها فطن المتكلمين ، ولا سبق الى ألفاضها أذهان الناطقين ، فاجعلها مثالاً بين عينيك ومصورة بين يديك ومسامرة لك في ليلك

---

(٤١) الموشح ٢ .

(٤٢) الامتاع والمؤانسة ١٨٧/٢ .

(٤٣) تتمة اليتيمة ٨٨/٢ .

(٤٤) صبح الأعشى ٣٦٦/١٤ .

(٤٥) حلبة الكميت ٥ - ٦ .

ونهارك ...»[٤٦] ويستمر في مثل هذا الاطراء والتنويه برسالته هذه في هذه الكلمة الختامية مما يجعل خاتمته مقتصرة على موضوع واحد فقط .

ويختم الوشاء كتابه الموشى بكلمة يركز الكلام فيها على موضوع واحد أيضا ، هو الاعتذار الى القارىء عن عدم استقصاء الكتاب لكل ما يتعلق بموضوعه ، وذلك اذ يقول : «هذه جملة ما بلغنا وفيها كفاية لمن اكتفى وبيان لمن تبين واقتفى ، وما استوعبنا كل ما انتهى الينا ولو قصدنا الى تكثير لما استصعب علينا ، وانما قصدنا التخفيف لا التأليف والاقتصار والاختصار ، وليس كل ما سمعناه ذكرناه ...»[٤٧].

وللقاضي الجرجاني في كتابه الوساطة خاتمة قصيرة يعلن فيها عن عزمه على اضافة مايجد لديه من معلومات في المستقبل ، وما يفيده به القراء ، مصرحاً بأنه يشير الى كل من يفيده شيئاً جديداً ويعترف له بفضله[٤٨] ، وهو بهذا يقدم الينا أنموذجاً جديداً من نماذج الخاتمة يختلف عما سبقه ، ألا وهو الاعلان عن مواصلة البحث والاستقصاء لموضوع الكتاب الذي انتهى منه . وكثير من الكتب الأدبية التي ختمت بكلمة قصيرة غير مطولة لاتتعدى خواتيمها المختصرة ماسبق ، فكل ما في هذه الكلمات الختامية المختصرة لايتجاوز اطراء الكتاب والتنويه به أو وصف جهد المؤلف ، أو الاعتذارال القراء [٤٩]

ونلاحظ في كتب أدبية أخرى أن الخاتمة يتجه فيها المؤلفون اتجاهاً جديداً لا يُقْتَصرُ فيه على كلمة مختصرة كما رأينا فيما سبق ، وانما يتناول المؤلف جملة من الموضوعات التي قد تكون ذات علاقة بموضوع الكتاب أو تكون قريبة

---

(٤٦) الرسالة العذراء ٤٨ .

(٤٧) الموشى ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٤٨) تنظر : الوساطة ٤٧٩ .

(٤٩) ينظر على سبيل المثال : الصناعتين ٤٦٢ - ٤٦٣ . البرهان في وجوه البيان ٤٣٧ . الصداقة والصديق ٤٦٩ . البديع في وصف الربيع ١٦٠ - ١٦١ . سر الفصاحة ٣٤٣ . المنتخب من كنايات الادباء ١٤٧ - ١٤٨ . الجمان ٣٨٥ . درة الغواص ٢٠٨ - ٢٠٩ . احكام صنعة الكلام ٢٦١ . بدائع البدائه ٤٠٧ - ٤٠٨ .

منه ، ويجعلها فصلاً أو باباً ، وقد تتكون الخاتمة أحيانا من عدة أبواب . ففي آخر كتاب الكامل للمبرد نرى النص التالي : «وهذا باب من منتحل طريف الشعر وذكر آيات من القرآن ربما غلط في مجازها النحويين ، قال أبو العباس : هذا الكتاب قد وفيناه جميع حقوقه ووفينا بجميع شروطه الا ما اذهل عنه النسيان فانه قلما يخلى من ذلك ، ونحن خاتموه بأشعار طريفة ، وآخر ذلك الذي نختم به آيات من كتاب الله عز وجل ...»[٥٠].

والذي يلاحظ هنا انه ينص على ان هذا الباب هو خاتمة للكتاب وان ما يتضمنه من معلومات يشبه ما أورده في الأبواب الأخرى السابقة اذ يتناول مسائل ادبية ولغوية عامة ، وهذا يشير الى انه يكتب في الخاتمة مافاته فيما سبق[٥١].

وللرماني في كتابه «النكت في اعجاز القرآن» باب أخير يسميه «باب البيان عن الوجوه التي ذكرنا في أول الكتاب»[٥٢]، وقد استعرض في هذا الباب كل ما توصل اليه من بيان لأوجه الاعجاز في القرآن ، ولم ينص على كون هذا الباب خاتمة أو يشير الى شبيه لهذا ، الا أن مجيء هذا الباب آخر الكتاب أولاً واستعراضه لجملة الآراء التي توصل اليها ثانياً يرجح كون هذا الباب خاتمة للكتب ، وان صح هذا الترجيح ، فاننا نكون قد وقفنا على أنموذج علمي مهم من نماذج كتابة الخاتمة لا يختلف عما يفعله بعض الدارسين المحدثين في هذا المجال[٥٣].

أما الثعالبي فقد سبق القول بأنه اول من نص على مصطلح الخاتمة في كتابه تتمة اليتيمة فقال : «خاتمة الكتاب ، يشتمل على ذكر أقوام مختلفي الترتيب متفاوتي التاريخ غير معطين حقهم من التقديم والتأخير من كل

---

(٥٠) الكامل ١٢٥/٤ .

(٥١) وشبيه بهذا خاتمة لكتابه الفاضل اذ يقول في بدايتها : «ونحن خاتمو كتابنا هذا بباب يشتمل على فنون من الآداب ويتضمن بعض ما نستحسنه من الاخبار والاشعار» (الفاضل ١٠٠) .

(٥٢) ينظر : ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ١٠١ - ١٠٢ .

(٥٣) ونعني بهذا تلخيص المؤلف لجملة الآراء والنتائج التي توصل اليها خلال البحث وعرضها في الخاتمة .

الأقسام الأربعة ....»[٥٤]. وهذه الخاتمة تشتمل على ذكر مجموعة من التراجم مما لم يتمكن المؤلف ادخالها في الأقسام الأربعة الأساسية من كتابه لنسيانه بعضاً منها أثناء كتابته للكتاب ، ولكون قسم منها مما تجمعت لديه المعلومات عنها بعد كتابة الكتاب ، وقد نص على هذا بقوله : «وهم من كل الأقسام الأربعة فبعضهم من استفدتهم بأخرَة ، ومنهم قوم ما أنسانيهم الا الشيطان أن أذكرهم في أماكنهم ....»[٥٥]. وهذا يدل على أن خاتمة الثعالبي هذه تحتوي على معلومات لها بصميم الكتاب علاقة وطيدة الا أنها لم تدخل في صلب الموضوع ، أي أنها تحتوي على معلومات مستدركة فات المؤلف ادخالها في صميم الكتاب ، وهي نوع من أنواع الخاتمة سبق أن رأينا مثيلاً له عند المبَرِّد .

ويقول ابن الأثير في كتابه المثل السائر : «واذ فرغت من تصنيف هذا الكتاب وحررت القول في تفصيل اقسام الفصاحة والبلاغة والكشف عن دقائقهما وحقائقهما فينبغي أن أختمه بذكر فضيلتهما ..»[٥٦]. وهذه الخاتمة - كما هو واضح - تعنى ببيان ما لم يذكره المؤلف في الأقسام الأساسية للموضوع ، مما له علاقة بالموضوع الأصلي ، مما يشير الى ان المعلومات الواردة فيها تمثل ذكر ما لم يذكر في صلب الكتاب .

واذا ما انتهينا الى القلقشندي في كتابه صبح الأعشى واجهتنا خاتمة مطولة للكتاب لا تخرج عن الفكرة التي رأيناها عند الثعالبي وابن الأثير ، ألا وهي تخصيص الخاتمة لمعلومات لم ترد في الموضوع الأصلي للكتاب الا أنها ذات علاقة به ، فقد نص على مصطلح الخاتمة وذكر موضوعها بقوله : «الخاتمة : في ذكر أمور تتعلق بديوان الانشاء غير أمور الكتابة وفيها أربعة أبواب ...»[٥٧]. ومعروف ان كتابه يتضمن شرح ما له علاقة بالكتابة الانشائية أو الكتابة في ديوان الانشاء ، أما خاتمته هذه فقد تضمنت معلومات أخرى عن ديوان

---

(٥٤) تتمة اليتيمة ٨٨/٢ .

(٥٥) نفسه .

(٥٦) المثل السائر ٤/٤ - ١٢ .

(٥٧) صبح الأعشى ٣٦٦/١٤ .

الانشاء مما لا علاقة له بالكتابة ، وكأنها جاءت تكملة للمعلومات عن ديوان الانشاء .

ومن هنا نرى أن الخاتمة عند المؤلفين القدامى كانت تحتل مكانها في كتبهم ، وقد اختلفت فيما بينهم طولاً وقصراً كما اختلفت موضوعا ، ففي حين نراها عند بعضهم كلمة ختامية قصيرة ، نراها عند الآخرين تحتل صفحات عديدة وتشتمل على فصول وأبواب ، وهي في موضوعاتها التي تناولتها لا تخرج عن جملة موضوعات منها : تلخيص الفكرة العامة للكتاب ، ومنها بيان جهد المؤلف والتنويه بكتابه ، ومنها كلمة اعتذارية يتوجه بها المؤلف الى القراء ، ومنها ايضاً ذكر معلومات جديدة لها علاقة بصميم الكتاب الا انه لم تدخل في أقسامه الرئيسة . ويلاحظ أن هذه الموضوعات لم ترد مجتمعة في خاتمة من الخاتمات القديمة ، فأغلب هذه الخاتمات تأتي مستقلة بموضوع واحد ، كما يلاحظ أن هذه الموضوعات تمثل أغلب عناصر الخاتمة في البحث العلمي الحديث ، الا أن بعض عناصر الخاتمة عند القدامى تعد حالياً من عناصر المقدمات العلمية الحديثة للكتب ، ومنها ما لاحظناه من وصف المؤلف للجهود التي بذلها في اعداد الكتاب ، أو الأسطر التي يكتبها معتذراً عن الخطأ والنقص .

تعد الفهارس في العصر الحديث لازمة اساسية من لوازم البحث العلمي والاخراج العلمي للكتب ، ومن هنا كانت ذات أقسام عديدة تتنوع حسب ما يتضمنه الكتاب من مواد ومعلومات .

الفهارس

ويمكن ان ترجع فهارس القدامى الى ثلاثة أنواع هي : فهرس الموضوعات وفهرس المصادر ، وفهرس الأعلام . وهذه الأنواع الثلاثة قد يرد واحد منها في كتاب معين في حين يفقد النوعين الآخرين ، وقد يرد اثنان منها أو جميعها في كتاب واحد . وليس في هذا ما يلغي القول بمعرفة القدامى اياها فيما نحسب ، اذ ان وجود أى نوع من هذه الأنواع الثلاثة يكفي دليلاً على أنهم كانوا يعرفونه ويعرفون غيره ، ولهذا سنتناول بالحديث هذه الأنواع الثلاثة مستقلة حسب اهميتها وكثرة ورودها في الكتب القديمة .

فهرس الموضوعات

يحتل هذا الفهرس في كثير من الكتب الأدبية القديمة مكاناً متقدماً من الكتاب ، فهو اما أن يأتي خلال المقدمة أو آخرها ، واما أن يأتي مستقلاً ويقع بعد المقدمة مباشرة .

وقد نص بعض المؤلفين القدامى على ان وضعهم لفهرس الموضوعات في بداية الكتاب يرمي الى تعريف القارىء ابتداء بما سيتضمنه الكتاب من موضوعات ، ومن النصوص التي تدل على هذا قول ابن قتيبة بعد ان ذكر موضوعات كتابه عيون الأخبار بصورة تفصيلية في مقدمته : «فهذه ابواب الكتب جمعتها لك في صدر أولها لأعفيك من كد الطلب وتعب التصفح وطول النظر عند حدوث الحاجة الى بعض ما أودعتها ، ولتقصد فيما تريد حين تريد الى موضعه فتستخرجه بعينه وما ينوب عنه ويكفيك منه ...»[٥٨]. وهذه الفكرة في سبب وضع الفهرس المحتويات في أول الكتاب عند القدامى تلتقي مع فكرة الدارسين المحدثين في هذا الموضوع[٥٩].

---

(٥٨) عيون الاخبار ١/ف . وشبيه به ما ذكره ابن درستويه في كتاب الكتاب ٧ . والثعالبي في ثمار القلوب ٤ . والمنتحل ٥ .

(٥٩) من المعروف ان الرسائل العلمية حاليا يشترط فيها أن يكون فهرس محتوياتها في بدايتها

وهذا النوع من الفهارس يرد في الكتب القديمة بأشكال مختلفة ، فهو اما أن يأتي موجزاً لا يحتوي الا على تسمية الأبواب أو الأقسام العامة من الكتاب ، واما ان ياتي مفصلاً محتوياً على تسمية الاقسام العامة والفرعية أيضاً . فمن أمثلة النوع الأول ما نراه عند الثعالبي في كتابه «المنتحل» اذ يقول في نهاية المقدمة : «وهذا ذكر ترجمة الأبواب والله تعالى الموفق للصواب ، الباب الأول : في الخط والكتابة والبلاغة نظماً ، الباب الثاني : في التهاني والتهادي وما يجري مجراها ، الباب الثالث : في التعازي والمراثي وما يتصل بها ...»[٦٠]. ويلاحظ ان هذا الفهرس احتوى على تسمية الأبواب فقط دون تفصيل لما تحتويه من فصول او اقسام فرعية ، وهذه سمة معظم فهارس الموضوعات التي تقع داخل المقدمة[٦١]، مما يجيز لنا القول بأن مثل هذه الفهارس هي الى تلخيص الخطة العامة للكتاب أقرب منها الى فهرس الموضوعات .

وقد يأتي فهرس المحتويات منفصلاً عن المقدمة واقعاً بعدها مباشرة ، وهذا النوع من الفهارس يأتي في بعض الكتب مفصلاً تفصيلاً دقيقاً كما نرى هذه في كتاب الكتاب لابن درستويه ، اذ يقول بعد المقدمة : «وهذه ترجمة الابواب على مراتبها وذكر فصولها في منازلها :

الباب الأول وهو باب الهمزة : خمسة عشر فصلاً منها : شروط الهمزة ومعرفة لفظها وكتابتها ، الهمزة المبتدأة الواقعة أولاً ، المبتدأة بعد همزة من كلمة أخرى ، المبتدأة المقطوعة الواقعة بعد همزة الاستفهام ، المبتدأة الموصولة الواقعة بعد همزة الاستفهام ....»[٦٢].

ويلاحظ في بعض الكتب الأخرى الابتعاد عن التفصيل وذكر

---

(٦٠) المنتحل ٥ - ٦ .

(٦١) ينظر على سبيل المثال ما جاء في الكتب التالية : أخبار الحمق والمغفلين ٥٦ - ٥٧ ، غرر الخصائص ٧ ، روضة المحبين ١٣ - ١٥ ، حلية الكميت ٥ - ٦ .

(٦٢) كتاب الكتاب ٧ ، ويشبهه في هذه الكتب التالية : شرح ما يقع فيه التصحيف ٧ - ٨ ، ذم الهوى ٢ ، الجامع الكبير ٤ - ٥ .

عنوانات الأقسام الفرعية في الفهرس ، فالمؤلف يكتفي بذكر عنوانات الأقسام العامة ويشير الى ما تحتويه من أقسام فرعية بالعدد فقط ، كما نلاحظ هذا في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي ، اذ يقول بعد المقدمة : «فهرست ابواب الكتاب وفصوله :

المقالة الأولى :ستة أبواب فيها اثنان وخمسون فصلاً

الباب الأول في الفقه : احد عشر فصلاً

الباب الثاني في الكلام : سبعة فصول

الباب الثالث في النحو : اثنا عشر فصلاً ...الخ»[٦٣].

وعرف المؤلفون القدامى نوعاً ثانياً من فهارس الموضوعات غير الفهرس العام لها ، وهو ما يتعلق بفهرسة الموضوعات الفرعية داخل الباب الواحد أو القسم الرئيس من الكتاب ، فكان قسم من المؤلفين يضع فهرساً في بداية كل قسم أساسي من الكتاب يتضمن عنوانات المواد التي يحتويها هذا القسم ثم يشرع بالموضوع بعد هذا . ومن أمثلة هذا النوع ما نراه في كتاب جمهرة الأمثال للعسكري ، اذ يرد في بداية الباب الأول النص التالي : «الباب الأول : فيما جاء من الأمثال في أوله ألف أصلية أو مجتلبة :

فهرسته : ان من البيان لسحراً ، ان مما ينبت الربيع لما يقتل حبطاً أو يلم ...»[٦٤]، وهو هنا يدرج الموضوعات الفرعية على شكل فهرست في أول الباب ثم يبدأ بالكلام عليها واحدة واحدة بعد هذا [٦٥]، وهكذا سار في أبواب كتابه كلها . ويشبهه الخوارزمي في هذا الاتجاه الى الفهرسة الداخلية للموضوعات ، اذ انه يقول في بداية المقالة الاولى من كتابه : «المقالة الأولى ، وهي ستة أبواب : الباب الأول : في الفقه ، وهو أحد عشر فصلاً ، الفصل الأول : في اصول الفقه ، الفصل الثاني في الطهارة ، الفصل الثالث : في

---

(٦٣) مفاتيح العلوم ٥ ، وشبيه به ما جاء في الكتب التالية : الصناعتين ٥ ، ديوان المعاني ١٤/١ ، الايجاز والاعجاز ٣ .

(٦٤) جمهرة الأمثال ٨/١ .

(٦٥) ينظر ١٣/١ من هذا الكتاب اذ إنه يقول بعد فهرسته للأمثال التي يحتويها الباب : «التفسير» ، ثم يبدأ بشرح هذه الأمثال التي أدرجها في الفهرس السابق .

الصلاة ... الخ ..»[٦٦]. وشبيه بهذا أيضاً ما نراه في كتاب الغصون اليانعة من قوله : «القسم الأول : في تراجم الذين تحققت سنو وفياتهم . تراجم سنة احدى وستمائة :

المشارقة : من العراق

الاديب البارع المتصوف شميم الحلي والشاعر البارع المحسن العبدروسي الواسطي . ي .

ومن الشام :

الوزير الجواد المجيد نجم الدين بن مجاور الدمشقي ... الخ»[٦٧]

وما يقدمه ابن سعيد المغربي هنا من فهرس لما يحتويه القسم الأول من كتابه هو من الفهارس الداخلية المفصلة ، اذ انه يوزع هذه التراجم حسب الوفيات أولاً ثم حسب الاقطار ثانياً ، ثم يبدأ بعد هذا بذكر التراجم ، وكأن ما وضعه أولاً قدمه دليلاً للقارىء ليعرف بوساطته مقدماً ما يحتويه كل قسم من تراجم فيبحث عما يريد منها بوساطة هذا الفهرس .

ومن هنا نرى ان القدامى عرفوا وضع فهرس المحتويات بالتفصيل والاجمال ، وكان وضعهم اياه في مقدمة الكتاب أو بعد المقدمة مباشرة يمثل فهماً علمياً لوظيفة هذا الفهرس وما يقدمه من فوائد للقراء ، وهم بهذا لا يختلفون بشيء عما تعمد اليه الدراسات الحديثة من وضع فهرس المحتويات في بداية الكتاب ليكون دليلاً للقارىء الى معرفة محتويات الكتاب مباشرة .

فهرس المصادر

وهذا الفهرس لم يكن له عند القدامى محل بارز مخصص من الكتاب ، كما أنهم لم ينصوا عليه نصاً ، فقد كان بعض المؤلفين يذكر المصادر التي اعتمدها في كتابه أثناء المقدمة ، فمن مطيل الى مختصر ، ونحسب ان هذا

(٦٦) مفاتيح العلوم ٦ .

(٦٧) الغصون اليانعة ٣ .

التعداد للكتب والمصادر المعتمدة في البحث يقوم مقام فهرس المصادر وان لم يكن فيه من الدقة والفهم العلمي لطبيعة هذا الفهرس ما يقربه من فهرس المصادر عند المحدثين . الا ان مجرد ذكر المصادر مجتمعة في مكان ما من الكتاب يعد فهرسا لها ، اذ ان الفكرة التي يقوم عليها فهرس المصادر عند المحدثين هي تعريف القارىء بالمصادر التي اعتمدها المؤلف في كتابه ، ولهذا كان ذكر بعض القدامى للمصادر التي اعتمدوها في كتبهم ، وفي مقدمات هذه الكتب ذاتها ينبع من صميم هذه الفكرة ويعد أساسا لها .

ومن نماذج هذا النوع من الفهارس ما نراه عند اسامة بن منقذ في مقدمة كتابه «البديع» اذ يقول : «هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق في كتب العلماء المتقدمين المصنفة في نقد الشعر وذكر محاسنه وعيوبه ... والذي وقفت عليه : كتاب البديع لابن المعتز وكتاب الحالي للحاتمي ، وكتاب المحاضرة للحاتمي وكتاب الصناعتين للعسكري وكتاب اللمع للعجمي وكتاب العمدة لابن رشيق ، فجمعت من ذلك احسن ابوابه وذكرت منه أحسن مثالاته ليكون كتابي مغنياً عن هذه الكتب ....»[٦٨]. ويشبهه في هذا التعداد للمصادر المعتمدة في الكتاب ابن ابي الاصبع المصري في قوله متحدثا عن مصادره : « .. منها ما هو منفرد بهذا العلم ومنها ما هذا العلم داخل في أثنائه كنقدي قدامة وبديع ابن المعتز وحلية المحاضرة للحاتمي ، وكشفت عن (الحالي والعاطل) له ، الذي أشار اليه في الحلية فلم أظفر بمن يعترف بوقوفه علي ، الا ابن منقذ في بديعه ، والصناعتين للعسكري والعمدة لابن رشيق وتزييف نقد قدامة له ، ورسالة الآمدي في الرد على قدامة ، والموازنة بين الطائيين له ، وكشف الظلامة للموفق البغدادي والنكت في الاعجاز للرماني ، والجامع الكبير في التفسير له ، والبلاغة له ، واعجاز ابن الطيب الباقلاني ودلائل الاعجاز للجرجاني واسرار البلاغة له والوساطة واعجاز ابن الخطيب وشرح اسماء الله الحسنى له ، وتفسيره الكبير والكشاف للزمخشري وشرح اسماء الله الحسنى لابن ابي البرجان

(٦٨) البديع في نقد الشعر ٨ .

والتفسير لابن صمادح وتفسير ابن عطية والوسيط في التفسير للواحدي وأسباب النزول له وفوائد القرآن للقاضي عبد الجبار وأمثال القرآن لابن حبيب والتمثيل والمحاضرة للثعالبي والتعريف والاعلام للسهيلي والروض الأنف له ، والأمثال والحكم من كلام سيد الأمم لأبي أحمد العسكري .....»[٦٩].

ومثل هذا التعداد للمصادر المعتمدة والنص على أسمائها وأسماء مؤلفيها يعد فهرساً للمصادر قدمه المؤلف الى القارىء لتعريفه بمصادر دراسته ، وان لم يكن فيه من الدقة والتفصيل ما يقربه من فهرس المصادر عند المحدثين[٧٠].

فهرس الأعلام

لم يكن وجود مثل هذا الفهرس في الكتب القديمة على نطاق واسع بالشكل الذي نراه في كتب المحدثين ، لسبب واضح ومعروف ، وهو أن الكتب القديمة كتبت كتابة خطية وكانت نسخ الكتاب الواحد تختلف فيما بينها حجماً حسب الوراقين ونوع الكتابة ، وبهذا يختلف عدد صفحاتها ترقيماً ، ولهذا لم يكن من الممكن وجود فهارس للأعلام في مثل هذه الكتب تؤدي الفائدة التي تؤديها فهارس الاعلام الحديثة وتشبهها في الوضع ، الا أن ما جاء في بعض الكتب القديمة من احصائيات بأسماء الأدباء والشعراء الذين وردت أشعارهم في الكتاب ما يمثل فيما نرى نوعاً من أنواع فهارس الأعلام .

وكانت هذه الاحصائيات توضع في بداية هذه الكتب ويوزع الشعراء فيها توزيعاً زمنياً ، فكأن المؤلف بعمله هذا يعرف القارىء ابتداء بأسماء الأدباء الذين سيجد لهم شواهد في هذا الكتاب ، أي أنه بعمله هذا يؤدي شيئاً من الفائدة التي يؤديها فهرس الأعلام عند المحدثين .

ومن نماذج هذا النوع من الفهارس ما جاء في كتاب المنتحل للثعالبي

---

(٦٩) بديع القران ٤ - ٦ ، وقد استمر في تعداد مصادره الى ص ١٣ .

(٧٠) ويشبه ما سبق من تعداد المصادر في مقدمة الكتاب ، ما جاء في تحرير التحبير ٨٧ وما بعدها ، وما يذكره القفطي من كتاب للبشتي أدرج في مقدمته المصادر التي اعتمدها (ينظر : انباه الرواة ١٠٨/١) ، وما جاء في البيان المغرب ٢/١ ، وحلية الفرسان ٢٥ .

اذ انه بعد أن يذكر فهرس الموضوعات يقول : «وهذا ثبت بأسماء الشعراء الذين جاءت أشعارهم في هذا الكتاب :

الجاهليون منهم : امرؤ القيس ، المهلهل ، علقمة بن عبدة الفحل ، زهير ، النابغة ، حسان ، سعيد بن عبد الرحمن ، الشماخ .....

المتقدمون من الاسلام : القطامي ، مساور بن هند ، الأحوص ، نصيب ، معن بن أوس ....

المحدثون : ابن هرمة ، بشار ، مروان بن أبي حفصة ، سلم الخاسر ..»[٧١]

وفهرس القبائل والأيام شبيه بفهرس الأعلام وقريب منه ، ولم نجد في وضع القدامى لهذا الفهرس غير خبر واحد على جانب كبير من الأهمية ، اذ يذكر ابن النديم في ترجمة محمد بن حبيب ما نصه : «وله من الكتب : .. كتاب القبائل الكبير والأيام جمعه للفتح بن خاقان ، ورأيت النسخة بعينها عند أبي الخطاب بن الفرات في طلحي ، نيف وعشرون جزءاً في كل جزء مائتا ورقة وأكثر ، ولهذه النسخة فهرست لما يحتوي عليه من القبائل والأيام بخط السندي ابن علي الوراق في طلحي نحو خمسة عشر ورقة ...»[٧٢].

وواضح أن هذا الكتاب الكبير في قبائل العرب وأيامها صنع له فهرس لما احتوى عليه من أسماء القبائل وأيامها . ونظن أن هذا الفهرس رتب كما ترتب فهارس الأعلام حديثاً فأفردت أسماء القبائل وأيامها مسلسلة حسب تسلسل هجائي أو غيره ، وسجلت أرقام الصفحات أمام هذه الأسماء . ذلك ان هذا الفهرس كان خاصاً بنسخة معينة من نسخ هذا الكتاب هي التي يصفها ابن النديم في قوله السابق ، ولم يكن فهرساً لكل النسخ التي كتبت من هذا الكتاب ، ومن ثم يسهل تعيين أرقام الصفحات في مثل هذا الفهرس لكونه خاصاً بنسخة معينة ، ولو لم يكن مرتباً بهذا الترتيب الذي نفترضه لما كان

(٧١) المنتحل ٦ - ٧ . وشبيه به ما ورد في كتابه سحر البلاغة من قوله : «وهذا ثبت أسماء شعراء العصر الذين حللت بعض الكتاب من ملح نظمهم» (سحر البلاغة ٧) .

(٧٢) الفهرست ١١٩ ، وكذا وردت عبارة «خمسة عشر ورقة» في طبعتي طهران والقاهرة ، وهي خطأ واضح .

هنالك داع لوجوده . فان صح هذا الذي نفترضه من شكل هذا الفهرس وطريقة ترتيبه فاننا نكون قد وضعنا اليد على نوع علمي مهم من أنواع الفهارس عند القدامى ، وهو وان لم يكن واسع الانتشار معروفاً عند الجميع الا انهم لم يكونوا ليجهلوه ، فقد تحدث ابن النديم عنه في النص السابق بصورة طبيعية وكأنه أمر معروف ، ولو كان شيئاً غريباً غير معروف لنبه على هذا أو أشار الى جدته وغرابته[٧٣].

(٧٣) ووجد عند القدامى اتجاه اخر في صنع فهارس الاعلام يتمثل في صنع فهارس اعلام للكتب المطولة ذات التراجم العديدة اذ يذكر السخاوي في ترجمة عمر بن محمد ... بن فهد أحد علماء القرن التاسع ما نصه : «ورتب أسماء تراجم الحلية والمدارك وتاريخ الاطباء وطبقات الحنابلة لابن رجب .... حيث يعين محل ذلك الاسم من الاجزاء والطبقة ليسهل كشفه ومراجعته وهو أهم شيء عمله ..» (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٢٩/٦) .

الخاتمة

منذ أن بدأت فكرة هذا البحث ونحن نتتبع ما استطعنا مصادر التراث الأدبي القديم لنجد فيها ما نراه دالاً على تفكير منهجي أو ما يمثل خطوة من خطوات المنهج . وبعد مضي مدة من الزمن تجمعت لدينا مادة وافرة من النصوص المتعلقة بهذا الموضوع ، وبعد أن درسناها وجدنا أنها يمكن أن توزع على تمهيد وتسعة فصول .

تضمن التمهيد دراسة موجزة لتطور حركة التأليف الأدبي عند العرب . وأعقبه الفصل الأول الذي خصص بدراسة مفهوم البحث والباحث . وقد أجرينا فيه الحديث على قسمين أساسي ، تضمن الأول منهما دراسة بعض النصوص التي تدل على مفهوم للبحث الأدبي عند القدامى ، وأوضح الثاني منهما الصفات التي رأوا وجوب اتصاف الباحث بها .

ثم أعقب ذلك ثمانية فصول تمثل مراحل منهج البحث وخطواته جميعاً . ومعروف ان اولى خطوات هذا المنهج هي اختيار الموضوع وتحديده ، وقلما خلا كتاب أدبي قديم من نص صريح على السبب الذي حمل مؤلفه على اختيار الموضوع الذي يكتب فيه والأحساس الذي حدد موضوعه بموجبه .

فقد كانوا يحرصون على الكتابة في موضوع جديد عزف عنه الدارسون السابقون ، وهم يتوصلون الى معرفة مثل هذا الموضوع نتيجة دراساتهم الكثيرة لما كتب في حقل الأدب والنقد مما يهيء لهم معرفة ما درس من موضوعات وما لم يدرس . وكانوا حينما يدرسون موضوعاً سبقت دراسته يستندون في هذا الى أسباب عديدة ، منها كون الدراسات السابقة غير مستوفية للموضوع ، ومنها كون هذه الدراسات السابقة غير مبوبة وغير منسقة ، ومنها أيضاً كون الدراسات السابقة حاملة كثيراً من الاخطاء . واتجهوا كذلك الى وضع كثير من الكتب تكملة لكتب أخرى سابقة بدافع من شعورهم بضرورة استقصاء الموضوع الواحد واشباعه بحثاً .

ويمكن أن ترد الأسس التي حددوا الموضوعات بوجبها الى الزمان والمكان والصفات المشتركة والأغراض الشعرية والشخصية الواحدة . وهم بعد أن يعتمدوا أساساً من هذه الأسس في تحديد الموضوع يختارون له عنواناً يشير الى هذا التحديد ويكون دالاً على مضمون الكتاب أحياناً ومتكلفاً لا يدل عليه في أحيان أخر .

والمرحلة الثانية التي تتلو اختيار الموضوع وتحديده هي معرفة مصادر ذلك الموضوع وجمعها . والمصادر التي اعتمدها القدامى ترجع الى نوعين متميزين هما المصادر الشفهية والمصادر المدونة ، ويتفرع هذان النوعان الرئيسان الى أنواع عديدة ، اذ تشتمل المصادر الشفهية على المقابلات الشخصية للعلماء والأدباء ، اضافة الى المجالس العلميةوالادبية ، كما تشتمل المصادر المدونة على الكتب الجامعة والدواوين الشعرية والمخطوطات التي يخلفها الأدباء والرسائل المتبادلة بين المؤلفين والعلماء . وهم في سبيل العثور بهذه المصادر ومعرفتها وتيسير سبل الكشف عنها للدارسين والباحثين وضعوا فهارس عديدة للمؤلفات كان الغرض منها ارشاد الباحثين والمؤلفين الى مصادر دراستهم . وسلكوا طرقاً عديدة في جمع المصادر وتهيئتها قبل الشروع بنقل المعلومات منها تتمثل في شراء المصادر الأساسية ، واستعارة ما لا يمكن شراؤه

واستنساخ ما لا سبيل الى شرائه أو استعارته .

وكانوا ينقلون من المعلومات عن هذه المصادر ما كان خاصاً بموضوعاتهم التي يؤلفون فيها ، وطريقة نقلهم النصوص عن المصادر لا تخرج عن احدى طريقتين هما : نقل النص حرفياً ونقله بالمعنى . وهم في هاتين الطريقتين كلتيهما يذكرون ما يشير الى نوع هذا النقل وينص عليه كثير منهم . وقد عرفوا نظام استعمال الجزازات في نقل المعلومات عن المصادر منذ أواخر القرن الثالث الهجري ، اذ بدأوا اول الأمر باستعمال القراطيس الكبيرة في نقل المعلومات ، ثم تلا ذلك استعمالهم للألواح التي كان لصغر حجمها قياساً الى القراطيس الكبيرة أثره في اتجاههم الى استعمال الأوراق الصغيرة الحجم في نقل المعلومات ، تلك الاوراق التي تعددت اسماؤها ما بين بطاقة ورقعة وجزازة ، وهو تعدد في الأسماء لاحظنا أنه يدل على مسمى واحد هو الورقة ذات الحجم الصغير أو ما يقابل الجزازة والبطاقة في المصطلح الحديث .

وتجمع المعلومات الكثيرة عند المؤلفين القدامى حملهم على دراستها دراسة أولية لغرض تقسيمها الى مجموعات متميزة حسب الموضوعات التي تنتظمها ، مما يؤدي بهم الى وضع خطة تفصيلية عامة تعتمد أولاً على تقسيم الكتاب الى وحدات كبرى هي الجزء والقسم والكتاب ، وتقسيمها فيما بعد الى وحدات صغرى هي الباب والفصل . ولم تكن هذه العملية عندهم تقسيمات شكلية تتوالى دون نظام أو أساس علمي معين ، فقد ساروا على أسس علمية في تسلسل الأقسام العامة والفرعية وتتاليها ، تتمثل في حرصهم على المشاكلة والمشابهة الموضوعية بين الوحدات المتجاورة ، وتقديم الأهم والأكثر شهرة من الأقسام على بعضها ، ومراعاة التقارب النسبي في حجم الوحدات المتجاورة .

وكان للنقد العلمي للنصوص مكانه في عملية البحث والتأليف عندهم ، واذا كانوا لم يوجدوا المصطلح الذي يقابل ما هو معروف اليوم بالنقد الخارجي وما يشتمل عليه من نقد المصدر ونقد التصحيح ، فانهم زاولوا هذه العملية النقدية في الواقع واتبعوا معظم الخطوات التي يمكن أن تدخل ضمن ما

سماه الباحثون المحدثون بنقد المصدر ونقد التصحيح . فقد اتبعوا طرقا عديدة مختلفة للتأكد من صحة نسبة النص الى مصدره تتمثل في تشخيص بواعث الوضع والانتحال في النصوص ، كما تتمثل في اعتمادهم الدواوين الموثقة في حال اضطراب نسبة النص الشعري الى أكثر من شاعر ، ولجوئهم الى دراسة النص دراسة داخلية تكشف عن بعض الخصائص اللغوية والتعبيرية التي تهدى الى معرفة صاحب النص الأصلي ، وتنبيههم على الزيادات والاضافات التي تدخل في بعض النصوص بعوامل مختلفة وارجاعها الى مصدرها الأصلي . وفي تصحيح النص اتبعوا طرقاً علمية عديدة تظهر في حرصهم على تصحيح النص من التصحيف والتحريف اضافة الى لجوئهم الى طريقة التحقيق العلمي للنصوص القديمة في سبيل ضبطها والوصول الى القراءة الصحيحة لها .

ومثل ذلك كان شأنهم فيما عرف اليوم بالنقد الداخلي وما اشتمل عليه من تفسير ونقد سلبي للنزاهة والدقة ، فهم وان لم يوجدوا المصطلحات الخاصة بهذه العملية ، الا انهم اتبعوا طرقاً علمية عديدة يمكن أن تدخل ضمن عمليتي التفسير والنقد السلبي للنزاهة والدقة ، اذ اتجهوا الى تفسير النصوص تفسيراً لغوياً وبيانياً في سبيل الوصول الى معانيها الحقيقية ، كما شخصوا عوامل عديدة تؤدي الى الطعن في نزاهة بعض الرواة ودقتهم ، وكشفوا عن الدوافع التي تؤدي الى وضع بعض النصوص والأخبار واستندوا الى هذه العوامل والدوافع في رفض كثير من النصوص وتوثيق غيرها .

وبانتهاء عمليتي النقد العلمي للنصوص يبدأ المؤلف بكتابة الموضوع ، وكانت عملية الكتابة هذه عند القدامى على مرحلتين هما : كتابة المسودة ، وكتابة المبيضة . والمسودة تمثل الشكل الأولي للكتاب ، ومن ثم كانوا يجرون عليها كثيراً من التصحيحات والتنقيحات قبل أن ينقلوها الى المبيضة التي اتبعوا في كتابتها أصولاً ومبادىء علمية عديدة تتمثل في ماهية لغة الكتاب وصفاتها كما تتمثل في اصول الاقتباس وكتابة النص المنقول اضافة الى تنظيم الهوامش والأسطر والعنوانات العامة والفرعية واستعمال الرموز وعلامات

الترقيم .

وعرفوا بعد هذا كتابة المكملات الأساسية للموضوع وهي المقدمة والتمهيد والخاتمة والفهارس . وكان وضعهم لهذه المكملات منطلقاً من تفهم علمي لقيمتها وضرورتها ، فقد رأوا وجوب اقتصار مقدمة الكتاب على صفحات قليلة وعدم السماح باطالتها بشكل لا يتناسب وحجم الكتاب ، كما كان ما دونوه فيها من معلومات لا يتعدى سبب اختيار الموضوع وتحديده وعرض فكرته الاساسية ونقد الكتب السابقة المؤلفة في الموضوع نفسه وكلمة اعتذارية تختم بها المقدمة . وما ذكروه من معلومات بعد هذه المقدمات الأساسية للكتب يمكن أن يعد تمهيداً لموضوع الكتب الأصلي ، فقد تناولوا في مثل هذه التمهيدات معلومات تقدم قبل الخوض في الموضوع الاصلي للكتاب . ونصوا على خاتمات الكتب وكان معظم ما كتبوه في هذه الخاتمات لا يتعدى استعراض ما توصلوا اليه من نتائج أو تلخيص ما ورد في الموضوع الأصلي للكتاب أو ما فاتهم تدوينه في صلب الكتاب . وأهم الفهارس التي عرفوها فهرس الموضوعات الذي جعلوه يتلو المقدمة مباشرة حرصاً منهم على معرفة القارىء بموضوعات الكتاب ابتداء . هذا زيادة على معرفة بعضهم لفهرسي المصادر والأعلام .

هذه جملة ما توصلنا اليه في الفصول السابقة من خطوات منهج البحث الأدبي عند العربَ . ومن الواضح أن هذه الخطوات السديدة في البحث الأدبي لم تكن متبعة عند جميع المؤلفين ، ولم يكونوا جميعاً ملتزمين بها مطبقين اياها . ففي حين نرى بعض المؤلفين أهلاً للاعجاب لما يلتزم به ويسير عليه من خطوات ومبادىء علمية في البحث ، نرى آخرين لا يعرفون من هذه الخطوات شيئاً يذكر ، ولا يخطر ببالهم شيء منها ، فمنهم من لم يعرف أسس اختيار الموضوع وتحديده فيكرر ما قاله السابقون دونما اضافة ويتحول عنده التأليف الى ضرب من الجمع العشوائي غير المحدد . ومنهم من ينقل ما يجد عند سابقيه دونما اشارة ودونما تنبيه ، وآخر يورد النصوص تباعاً مهما تتناقض

وكأنها شيء مسلم به فلا يخطر بباله شبيء من نقد النصوص وتوثيقها . وقد قدمنا في الفصول السابقة شواهد من هذه النماذج الخارجة على المنهج السديد في البحث الى جانب ما قدمناه من شواهد تكشف عن تفكير منهجي سليم ، ولا نرى في هذا تناقضاً أو غرابة . فليس من المعقول أن يكون المؤلفون القدامى جميعاً في تلك الحقب المتقدمة على مستوى علمي متقدم وأن يلتزموا جميعاً بالأصول العلمية السديدة في البحث . ونحن حتى العصر الحاضر الذي أصبحت فيه أصول منهج البحث وخطواته معروفة شائعة نرى كثيراً ممن يخالفون هذه الاصول والمبادىء ومن لا يلتزمون بها .

وأخيراً نحسب أن جميع ما عرضناه في الفصول السابقة من خطوات علمية في منهج البحث الأدبي عند العرب يشبه الى حد بعيد خطوات منهج البحث الأدبي عند المحدثين ويقترب منه في كثير من خطواته بشكل يدل على أن هذا العلم الذي كنا نخاله جديداً أخذناه من الغربيين ، ما هو الا علم عربي صميم وضعه اجدادنا العرب منذ سالف الازمان ثم انتقل الى الغربيين ضمن ما انتقل اليهم من عناصر الحضارة العربية التي كانت السبب الرئيس في نهضتهم الحديثة ، ونحن ان كنا قد أخذنا منهج البحث في مختلف المجالات من الغربيين في العصر الحديث ، فلم نقم في الواقع بغير استردادٍ لدين قديم طال أمده ، وما هذا الذي تعرضه الكتب الحديثة في منهج البحث غير بضاعتنا ردت الينا .

المصادر والمراجع

- الابانة عن سرقات المتنبي - محمد بن أحمد العميدي (٤٣٣هـ) تحقيق : ابراهيم الدسوقي ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦١ .
- الاحاطة في أخبار غرناطة - أبو عبدالله محمد بن عبدالله ... بن الخطيب (٧٧٦هـ) تحقيق : محمد عبدالله عنان ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٥ .
- احكام صنعة الكلام - أبو القاسم محمد بن عبدالغفور الكلاعي (ق٦) ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، بيروت ، دار الثقافة ١٩٦٦ .
- أخبار أبي تمام - أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (٣٣٥هـ) ، تحقيق : خليل عساكر ، محمد عبده عزام ، نظير الاسلام الهندي ، بيروت ، المكتب التجاري ، (مصورة عن طبعة القاهرة ١٩٣٧هـ) .
- أخبار أصبهان - أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، ليدن - مطبعة بريل ١٩٣١ - ١٩٣٤ .
- أخبار البحتري - أبو بكر الصولي ، تحقيق : الدكتور صالح الأشتر ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٨ .
- أخبار الحمق والمغفلين - عبدالرحمن بن الجوزي (٥٩٧هـ) تحقيق : علي الخاقاني ، بغداد ، مطبعة دار البصري ١٩٦٦ .
- أخبار الشعراء (من كتاب الأوراق) - أبو بكر الصولي ، تحقيق : هيورث دن ، القاهرة ، مطبعة الصاوي ١٩٣٤ .
- أخبار الظراف والمتماجنين - ابن الجوزي ، تقديم وتعليق : محمد بحر العلوم ، النجف ، مطبعة الغري ١٩٦٧ .
- أخبار النحويين البصريين - أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (٣٦٨هـ) تحقيق : طه الزيني ، محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة مطبعة الحلبي ١٩٥٥

- اخـــلاق الوزيرين - أبو حيان علي بن محمد التوحيدي (٤١٤هـ) ، تحقيق : محمد بن تاويت الطنجـــي ، مطبوعات المجمع العلمي العـــربي بدمشق ١٩٦٥ .
- آداب المتعلمين - أبو عبدالله محمد بن محمد بن الحســـن الطوسي (٦٧٢هـ) ، نشر ضـمن كتاب :آداب المتعلمين ورسـائل أخـــرى ، تحقيق : احمد عبدالغفور العطار ، ط٢ ، بيروت ١٩٦٧ .
- أدب الاملاء والاستملاء - عبدالكريم بن محمد الســمعاني (٥٦٢هـ ، تحقيق : مكس ويسمويلر ، ليدن ١٩٥٢ .
- أدب الدنيا والدين ـ أبو الحســن علي بن حبيب الماوردي (٤٥٠هـ) تحقيق : مصطفى السقا ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ط٣ ، ١٩٥٥ .
- أدب الـكاتب - محمد بن عبـدالله بـن مسـلم بـن قتيبة(٢٧٦هـ) ، ليدن ١٩٠٠م .
- أدب الكتاب - أبو بكر الصـولي ، تصـحيح وتعليق : محمد بهجـة الأثري ، القاهرة ، المطبعة السلفية ١٣٤١هـ .
- الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان ... - ضياء الدين نصرالله ابن أبي الكرم المعروف بابن الأثير (٦٣٧هـ) ، تحقيق : حفـني محمد شرف ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨ .
- أسرار البلاغة - عبد القاهر الجـرجاني (٤٧١هـ) ، تحقيق : هـ . ريتر ، استانبول ، مطبعة وزارة المعارف ١٩٥٤ .
- الأشـباه والنظائر من أشـعار المتقـدمين والجـــاهلية والمخضرمين - الخالديان : أبو بكر محمد بن هاشم (٣٨٠هـ) ، وأبو سـعيد عثمان بن هاشـم (٣٩٠هـ) ، تحقيق الدكتور السـيد محمد يوسـف ، القـاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨ ، ١٩٦٥ .
- الاشـــتقاق - عبد الملك بن قريب الأصـــمعي (٢١٥هـ) ، تحقيق : الدكتور سليم النعيمي ، بغداد ، مطبعة أسعد ١٩٦٨ .

أشعار أولاد الخلفاء - أبو بكر الصولي ، تحقيق : هيورث دن ، القاهرة ، مطبعة الصاوي ١٩٣٦ .
الأصنام - هشام بن محمد السائب الكلبي (٢٠٤هـ) ، تحقيق : أحمد زكي ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ١٩١٤ .
أصول نقد النصوص ونشر الكتب - برجستراسر ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٦٩ .
- اعتاب الكتاب - أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي المعروف بابن الأبار (٦٥٨هـ) ، تحقيق : الدكتور صالح الأشتر ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٦١ .
- اعجاز القرآن - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (٤٠٣هـ) ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٤ .
- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ - شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي (٩٠٢هـ) ، تحقيق : فرانز روزنثال ، ترجم التعليقات والمقدمة : الدكتور صالح أحمد العلي ، بغداد ، مطبعة العاني ١٩٦٣ .
- الأغاني - أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (٣٥٦هـ) ، القاهرة ، دار الكتب المصرية .
- الالماع الى معرفة اصول الرواية وتقييد السماع - القاضي عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ) ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، ط١ ، ١٩٧٠ .
- الأمالي (مع الذيل والنوادر) - أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي (٣٥٦هـ) تحقيق : اسماعيل يوسف دياب ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٦ .
- أمالي المرتضى - الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (٤٣٦هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ١٩٥٤ .

- الامتاع والمؤانسة - أبو حيان التوحيدي ، تحقيق : أحمد أمين ، أحمد الزين ، منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت .
- الأمثال - أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي (١٩٨هـ) ، تحقيق : أحمد محمد الضبيب ، الرياض ، مطابع الجزيرة ، ط١ ، ١٩٧٠ .
- انباه الرواة على أنباه النحاة - علي بن يوسف القفطي (٦٤٦هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ ، ١٩٧٣ .
- الايجاز والاعجاز - أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (٤٢٩هـ) ، طبع ضمن مجموعة خمس رسائل ، القسطنطينية ، مطبعة الجوائب ١٣٠١هـ)
- أيها الولد - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ) ، ترجمه الى الفرنسية : توفيق الصباغ ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ط٢ ، ١٩٥٩ .
- البحث الأدبي - الدكتور شوقي ضيف - القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٢ .
- البخلاء - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) ، تحقيق : طه الحاجري . القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٨ .
- بدائع البدائه - علي بن ظافر الأزدي (٦١٣هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٠ .
- البديع - عبدالله بن المعتز (٢٩٦هـ) ، تحقيق : اغناطيوس كراتشكوفسكي ، لندن ١٩٣٥ ، (تصوير مكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٧) .
- البديع في وصف الربيع - أبو الوليد اسماعيل بن محمد بن عامر الحميري (٤٤٠هـ)تحقيق : هنري بيريس ، الرباط ، المطبعة الاقتصادية ١٩٤٠ .

- بديع القرآن - زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالواحد المعروف بابن أبي الأصبع المصري (٦٥٤هـ) ، تحقيق : حفني محمد شرف ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ط١ ، ١٩٥٧ .
- البرصان والعرجان والعميان والحولان ـ أبو عثمان الجاحظ ، تحقيق : محمد مرسي الخولي ، القاهرة ، مطابع الاهرام التجارية ، ١٩٧٢ .
- البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن - عبدالواحد بن عبدالكريم الزملكاني (٦٥١هـ) تحقيق : الدكتور احمد مطلوب ، الدكتورة خديجة الحديثي ، بغداد ، مطبعة العاني ، ط١ ، ١٩٧٤ .
- البرهان في وجوه البيان - إسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب(ق٤) ، تحقيق : الدكتور احمد مطلوب ، الدكتورة خديجة الحديثي ، بغداد ، مطبعة العاني ، ط١ ، ١٩٦٧ .
- البصائر والذخائر - أبو حيان التوحيدي ، تحقيق : ابراهيم الكيلاني ، دمشق ، مطبعة الانشاء ١٩٦٤ .
- بغية الملتمس في تاريخ الرجال الاندلس - أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (٥٩٩هـ) ، مجريط ، مطبعة روخس ١٨٨٤م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ط١ ، ١٩٦٥ .
- بلاغات النساء ـ ابو الفضل احمد بن ابي طاهر المعروف بطيفور (٢٨٠هـ) ، صححه وشرحه : احمد الالفي ، القاهرة ١٩٠٨ .
- البلغة في تاريخ أئمة اللغة - محمد بن يعقوب الفيروزابادي (٨١٧هـ) ، تحقيق : محمد المصري ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ١٩٧٢ .

- البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب - ابن عذارى المراكشي (ق٧) ، تحقيق :ج·س·كولان ، ليفي بروفنسال ، تصوير دار الثقافة ببيروت ١٩٦٧ .
- البيان والتبيين - أبو عثمان الجاحظ ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط٢ ، ١٩٦٠ .
- تاريخ بغداد - أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، القاهرة ، مطبعة السعادة ١٩٣١ .
- تاريخ علماء الأندلس - أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي (٤٠٣هـ) ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ .
- تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري - الدكتور محمد زغلول سلام ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٤ .
- تأويل مختلف الحديث - أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ) ، صححه وضبطه : محمد زهري النجار ، القاهرة ، مكتبة الكليات الازهرية ١٩٦٦ .
- تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ١٩٥٤ .
- تتمة اليتيمة - أبو منصور الثعالبي ، تحقيق : عباس اقبال ، طهران ، مطبعة فردين ١٣٥٣هـ .
- تحرير التحبير - ابن ابي الاصبع المصري ، تحقيق : الدكتور حفني محمد شرف ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، ١٣٨٣هـ

- التحفة النظامية في الفروق الاصطلاحية - الشيخ علي أكبر بن محمود النجفي ، دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ١٣١٢هـ .
- تحقيق النصوص ونشرها - عبدالسلام هارون ، القاهرة ، مطبعة

الحلبي ، ط٢ ، ١٩٦٥ .
- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم - بدرالدين محمد بن ابراهيم ... بن جماعة (٧٣٣هـ) ، حيدرآباد الدكن ١٣٥٤هـ .
- التشبيهات - ابراهيم بن أحمد ... بن أبي عون (٣٢٢هـ) ، تحقيق : محمد عبدالمعيد خان ، لندن ، مطبعة جامعة كمبردج ١٩٥٠ .
- التعريف بآداب التأليف - السيوطي ، نشر وتعليق الدكتور ابراهيم السامرائي ، مستل من مجلة كلية الدراسات الاسلامية - العدد الثالث ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٧٠ .
- التعريفات - الشريف علي بن محمد الجرجاني (٨١٤هـ) ، بيروت مكتبة لبنان ١٩٦٩ .
- التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم - أبو احمد الحسن بن عبدالله العسكري (٣٨٢هـ) ، طبع ضمن مجموعة التحفة البهية والطرفة الشهية ، مطبعة الجوائب ١٣٠٢ .
- تقييد العلم - الخطيب البغدادي ، تحقيق : يوسف العش ، دمشق ، المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٤٩ .
- التقييد والايضاح ، شرح مقدمة ابن الصلاح - زين الدين عبدالرحيم ابن الحسين العراقي (٨٠٦هـ) ، تحقيق : عبدالرحمن محمد عثمان ، القاهرة ، مطبعة العاصمة ، ط١ ، ١٩٦٩ .
- التكملة لكتاب الصلة - ابن الأبار القضاعي ، نشر وتصحيح : عزة العطار الحسيني ، القاهرة ، مطبعة السعادة ١٩٢٥ .
- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء - أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري (٣٩٥هـ) ، تحقيق : الدكتور عزة حسن ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩ .
- التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه - أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري (٤٨٧هـ) ، تحقيق : اسماعيل يوسف دياب ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ط٣ ، ١٩٥٤ .

- التنبيه والاشراف - علي بن الحسين المسعودي (٣٤٦هـ) ، بيروت ، مكتبة خياط ، ١٩٦٥ (مصورة عن طبعة ليدن) .
- التنبيهات على أغاليط الرواة - علي بن حمزة البصري (٣٧٥هـ) ، تحقيق : عبدالعزيز الميمني ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٧ .
- ثلاث رسائل في اعجاز القرآن - (للرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني) ، تحقيق : محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول سلام ، القاهرة ، دار المعارف .
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - أبو منصور الثعالبي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، دار نهضة مصر ١٩٦٥ .
- جامع بيان العلم وفضائله - أبو عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي (٤٦٣هـ) صححه وراجعه : عبدالرحمن محمد عثمان ، القاهرة مطبعة العاصمة ، ط٢ ، ١٩٦٨ .
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور - ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق : الدكتور مصطفى جواد ، الدكتور جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٦ .
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس - أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي (٤٨٨هـ) ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ .
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي (خ) - أبو الفرج المعافى بن زكريا (٣٩٠هـ) ، مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد برقم (م خ ١١١) .
- الجمان في تشبيهات القرآن - ابن ناقيا البغدادي (٤٨٥هـ) ، تحقيق : الدكتور أحمد مطلوب ، الدكتورة خديجة الحديثي ، بغداد ، دار الجمهورية ، ١٩٦٨ .
- جمع الجواهر في الملح والنوادر - أبو أسحاق ابراهيم بن علي الحصري

(٤٥٦هـ) تحقيق : علي البجاوي ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ط ١ ، ١٩٥٣
- جمهرة الامثال - أبو الهلال العسكري ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، عبد المجيد قطامش ، القاهرة ، الموسسة العربية الحديثة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٦٤ .
- حركة التأليف عند العرب - الدكتور أمجد الطرابلسي ، دمشق ، مكتبة دار الفتح ، ط٥ ، ١٩٧٢ .
- حلبة الكميت - شمس الدين محمد بن الحسن النواجي (٨٥٩هـ) ، القاهرة ، المكتبة العلامية، ١٩٣٨ .
- الحلة السيراء - ابن الأبار القضاعي ، تحقيق : الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط١ ، ١٩٦٣
- حلية الفرسان وشعار الشجعان - علي بن عبدالرحمن بن هذيل الأندلسي (ق٨) ، تحقيق : محمد عبدالغني حسن ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٤٩ .
- الحماسة البصرية - صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين البصري (٦٥٩هـ) ، تحقيق : الدكتور مختار الدين أحمد ، حيدر آباد الدكن ، ط١ ، ١٩٦٤ .
- الحيوان - أبو عثمان الجاحظ ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، ط٣ ، ١٩٦٩ ، (تصوير دار الكتاب العربي ببيروت) .
- خاص الخاص - أبو منصور الثعالبي ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٦ .
- خريدة القصر وجريدة العصر - عماد الدين محمد بن محمد بن محمد الكاتب الأصفهاني (٥٩٧هـ) ، (قسم شعراء العراق) جـ ١ ، تحقيق : محمد بهجة الأثري ، الدكتور جميل سعيد ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٥ ، جـ ٢ ، تحقيق : محمد بهجة الاثري ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٦٤ ، جـ ٤ ، تحقيق : محمد بهجة الأثري ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ١٩٧٣ .

(قسم شعراء الشام) تحقيق : الدكتور شكري فيصل ، دمشق المطبعة الهاشمية ١٩٥٥ - ١٩٦٤ .

(قسم شعراء مصر) تحقيق : أحمد أمين ، شوقي ضيف ، احسان عباس ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١ .
(قسم شعراء المغرب والأندلس) تحقيق : عمر الدسوقي ، علي عبدالعظيم ، القاهرة ، دار نهضة مصر ١٩٦٤ .

- خزانة الأدب وغاية الأرب - تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبدالله ابن حجة الحموي (٨٣٧هـ) ، القاهرة ، المطبعة الخيرية ١٣٠٤هـ .
- درة الغواص في أوهام الخواص - أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري (٥١٦هـ) ، تحقيق : توربكة ، ليبزك ١٨٧١ (تصوير مكتبة المثنى ببغداد) .
- دستور العلماء ـ القاضي عبدالنبي بن عبدالرسول الاحمد نكري ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٢٩ ـ ١٣٣٢هـ .
- دعبل بن علي الخزاعي ، شاعر آل البيت - الدكتور عبدالكريم الأشتر ، دمشق ، دار الفكر ، ط١ ، ١٩٦٤ .
- دلائل الاعجاز - عبدالقاهر الجرجاني ، وقف على طبعه وعلق عليه : محمد رشيد رضا ، الناشر : مكتبة القاهرة ، ١٩٦١م .
- دمية القصر وعصرة أهل العصر - أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي (٤٦٧هـ) تحقيق : عبدالفتاح محمد الحلو ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٦٨ .
- ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي - أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي (٥٠٢هـ) ، تحقيق : محمد عبده عزام ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٤ - ١٩٦٥ .
- ديوان أبي نؤاس ، رواية أبي بكر الصولي(خ) ، مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٤٦٤٠ .

- ديوان أبي نؤاس ، رواية حمزة بن الحسن الأصفهاني (٣٦٠هـ) ، تحقيق : ايفالد فاغنر ، ج١ ، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٥٨ ، ج٢ ، فسبادن ١٩٧٢ .
- ديوان المعاني - أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) ، تحقيق : كرنكو ، القاهرة ، مكتبة القدسي ١٣٥٢هـ .
- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة - أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢هـ) القسم الأول في مجلدين ، والقسم الرابع ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩ - ١٩٤٥ .
- ذم الهوى ـ عبدالرحمن بن الجوزي ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، دار الكتب الحديثة ، ط١ ، ١٩٦٢ .
- الرجال - أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي (٤٥٠هـ) ، طهران ، مركز نشر كتاب جابخانة ، مصطفوي .
- الرجال - تقي الدين بن الحسن بن علي بن داوود الحلي (بعد سنة ٧٠٧هـ) ، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم ، النجف ، المطبعة الحيدرية ، ١٩٧٢ .
- الرسالة العذراء - ابراهيم بن المدبر (٢٨٦هـ) ، تحقيق : الدكتور زكي مبارك ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ط٢ ، ١٩٣١ .

رسائل أبي حيان التوحيدي ، تحقيق : ابراهيم الكيلاني ، منشورات مجلة الثقافة بدمشق .

- رسائل الجاحظ ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٦٤ .
- رواية اللغة ـ الدكتور عبدالحميد الشلقاني ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١ .
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين ـ محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ، تصحيح وتعليق : احمد عبيد ، دمشق ، مطبعة الترقي ١٣٤٩هـ .
- زهر الاداب وثمر الالباب ـ أبو اسحاق الحصري ، تحقيق : علي البجاوي ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ط ٢ ، ١٩٦٩ .

- الزهرة (النصف الاول) - محمد بن داود الاصفهاني (٢٩٧هـ) ، تحقيق : لويس نيكل البوهيمي ، بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٣٢ .
- سحر البلاغة - ابو منصور الثعالبي ، وقف على طبعه : احمد عبيد ، دمشق ، مطبعة الترقي .
- سر الفصاحة - ابو محمد عبدالله بن محمد ... بن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) ، صححه وعلق عليه : عبدالمتعال الصعيدي ، القاهرة ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ١٩٦٩ .
- سمط اللآلي في شرح الأمالي - ابو عبيد البكري ، تحقيق : عبدالعزيز الميمني ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٦ .
- سيرة النبي - ابو محمد عبدالملك بن هشام (٢١٨هـ) ، تحقيق : محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ، مطبعة حجازي ، ١٩٣٧ .
- شرح الحماسة - احمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (٤٢١هـ) ، تحقيق : احمد امين ، عبدالسلام هارون ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ١ ، ١٩٥١ - ١٩٥٣ .
- شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف - ابو احمد العسكري ، تحقيق : عبدالعزيز احمد ، القاهرة مطبعة الحلبي ، ط ١ ، ١٩٦٣ .
- شرح مقامات الحريري - احمد بن عبدالمؤمن الشريشي (٦١٩هـ) ، نشر وتصحيح : محمد عبدالمنعم خفاجي ، القاهرة ، المطبعة المنيرية بالأزهر ، ط ١ ، ١٩٥٢ -١٩٥٣ .
- الشعر والشعراء - ابن قتيبة ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٤ .
- صبح الأعشى في صناعة الانشا - أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (٨٢١هـ) ، القاهرة ، دار الكتب المصرية .
- الصداقة والصديق - أبو حيان التوحيدي ، تحقيق : ابراهيم الكيلاني ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٦٤ .
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ... - أبو القاسم خلف بن عبدالملك المعروف بابن بشكوال (٥٧٨هـ) ، نشره وصححه : عزة العطار الحسيني ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٥ .
- الصناعتين - ابو هلال العسكري ، تحقيق : علي البجاوي ، محمد أبو

الفضل ابراهيم ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ط١ ، ١٩٥٢ .
- طبقات الشعراء - عبدالله بن المعتز ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج ، القاهرة ، دار المعارف ، ط١ ، ١٩٥٦ .
- طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام الجمحي (٢٣١هـ) ، تحقيق : محمد شاكر ، القاهرة ، مطبعة المدني ١٩٧٤ .
- طبقات النحاة واللغويين - أبو بكر بن أحمد المعروف بابن قاضي شهبة (٨٥١هـ) ، المطبوع منه تحقيق : الدكتور محسن غياض ، النجف ، مطبعة النعمان ، ١٩٧٤ . المخطوط : مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد برقم (م خ ١٢٤) .
- طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (٣٧٩هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط١ ، ١٩٥٤ .
- طرق البحث - يعرب فهمي سعيد ، بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٩٧٣ .
- طوق الحمامة في الألفة والألاّف - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦هـ) ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٦٧ .
- العثمانية - أبو عثمان الجاحظ ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٥٥ .
- العقد الفريد - أحمد بن محمد بن عبد ربه (٣٢٧هـ) ، تحقيق : أحمد أمين ، ابراهيم الابياري ، عبدالسلام هارون ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (تصوير مكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٧) .
- العقد الفريد للملك السعيد - محمد بن طلحة القرشي (٦٥٢هـ) ، القاهرة ، مطبعة الوطن ، ١٣٠٦هـ .
- عقلاء المجانين - الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري (٤٠٦هـ) ،

قدمه وعلق عليه : محمد بحـر العلوم ، النجف ، المطبعـة الحيدرية ، ط٢ ، ١٩٦٨ .

- العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العـالمي - ألدو ميبلي ، نقله الى العـربية : الدكتور عبدالحليم النجـار ، الدكتور محمد يوسـف موسى ، القاهرة ، دار القلم ، ط١ ، ١٩٦٢ .

- العمدة في محاسن الشـعر وآدابه - الحسـن بن رشـيق القـيرواني (٤٥٦هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ، مطبعـة السعادة ، ط٢ ، ١٩٥٥ .

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء ببجـاية - أحمد بن أحمد بن عبدالله الغـبريني (٧٠٤هـ) ، تحقيق : عادل نويهض ، بيروت ، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٩ .

- عيار الشعر ـ محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (٣٢٢هـ) ، تحقيق : طه الحـاجري ، محمد زغلول سـلام ، القـاهرة ، المكتبة التجـارية الكبرى ، ١٩٥٦ .

- عين الأدب والسـياسة - ابن هذيل الأندلسي ، القـاهرة ، مطبعـة الحلبي ، ط٢ ، ١٩٣٨ .

- عيون الأخبار - ابن قتيبة ، القاهرة ، دار الكتب المصرية .

- غاية النهـاية في طبقـات القـراء - شمس الدين محمد بن محمد ... بن الجـزري (٨٣٣هـ) ، تحقيق : برجسـتراسر ، القـاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٣٢ ، (تصوير مكتبة المثنى ببغداد) .

- غرر الخصـائص الواضـحة وعرر النقـائص الفـاضحة - جمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحيى الوطـواط (٧١٨هـ) ، القـاهرة ، المطبعـة الأدبية ، ١٣١٨هـ .

- الغصون اليانعـة في شـعراء المائة السـابعة - علي بن موسى بن سـعيد المغـربي (٦٨٥هـ) ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، القـاهرة ، دار

المعارف ، ط٢ ، ١٩٦٧ .
- الغيث المسجم في شرح لامية العجم - صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٧٦٤هـ) ، القاهرة ، المطبعة الأزهرية ، ط١ ، ١٣٠٥هـ .
- الفاخر - المفضل بن سلمة (٢٩١هـ) ، تحقيق : عبدالعليم الطحاوي ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ط١ ، ١٩٦٠ .
- الفاضل - محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) ، تحقيق : عبدالعزيز الميمني ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٥٦ .
- الفاضل في صفة الأدب الكامل - محمد بن أحمد الوشاء (٣٢٥هـ) ، تحقيق : يوسف يعقوب مسكوني ، بغداد مطبعة شفيق ، ١٩٧١ .
- فحولة الشعراء - عبدالملك بن قريب الأصمعي (٢١٥هـ) ، تحقيق : ش . توري ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ط١ ، ١٩٧١ .
- الفرج بعد الشدة - المحسن بن علي التنوخي (٣٨٤هـ) ، القاهرة ، دار الطباعة المحمدية ، ط١ ، ١٩٥٥ .
- الفلك الدائر على المثل السائر - عبدالحميد بن هبة الله بن محمد المعروف بابن أبي الحديد (٦٥٦هـ) ، تحقيق : الدكتور احمد الحوفي ، الدكتور بدوي طبانة ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ١٩٦١ - ١٩٦٢ (نشر مع كتاب المثل السائر) .
- الفهرست - محمد بن اسحاق بن النديم (٣٨٥هـ) ، تحقيق : رضا تجدد ، طهران ، مطبعة دانشكاه ، طهران ١٩٧١ .
- الفهرست - أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ) ، صححه وعلق عليه : محمد صادق آل بحر العلوم ، النجف ، المطبعة الحيدرية ، ط٢ ، ١٩٦١ .
- فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين ...- محمد بن خير الاشبيلي (٥٧٥هـ) ، تحقيق : فرنشسكة قدارة زيدين ، ط٢ ، ١٩٦٣ (تصوير المكتب التجاري ببيروت) .
- فوات الوفيات - محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (٧٦٤هـ) ،

تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٥١ .
- الكامل - محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، السيد شحاتة ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، ١٩٦ .
- كتاب الكتاب - عبدالله بن جعفر بن محمد بن درستويه (٣٤٦هـ) ، نشره : لويس شيخو ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ط٢ ، ١٩٢٧ .
- الكتاب وصفة الدواة والقلم - عبدالله بن عبدالعزيز البغدادي (ق٣) ، تحقيق : هلال ناجي ، نشر في مجلة المورد ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ١٩٧٣ .
- كشاف اصطلاحات الفنون - محمد بن علي الفاروقي التهانوي (١١٥٨هـ) ، تصحيح : محمد وجيه وآخرون ، كلكته ١٨٦٢ .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - حاجي خليفة (١٠٦٧هـ) ، استانبول ١٩٤١ .
- الكشف عن مساوىء شعر المتنبي - الصاحب بن عباد (٣٨٥هـ) ، تحقيق : محمد حسن آل ياسين ، بغداد ، مطبعة المعارف١٩٦٥ .
- الكتابة والتعريض : أبو منصور الثعالبي ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ط١ ، ١٩٠٨ ، (طبع مع كتاب المنتخب من كنايات الأدباء) .
- اللباب في تهذيب الأنساب - عزالدين علي بن محمد ... بن الأثير (٦٣٠هـ) ، القاهرة ، مكتبة القدسي ، ١٣٥٧هـ
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق : الدكتور أحمد الحوفي ، الدكتور بدوي طبانة ، القاهرة ، دار نهضة مصر ١٩٦١ - ١٩٦٢ .
- مجاز القرآن - أبو عبيدو معمر بن المثنى (٢١٣هـ ؟) ، تحقيق : محمد فؤاد سزكين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط١ ، ١٩٥٤ .
- مجالس ثعلب - أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (٢٩١هـ)

تحقيق : عبدالسلام هارون ، القاهرة ، دار المعارف ، ط٢ ، ١٩٦٠ .
- مجالس العلماء - أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي (٣٤٠هـ) ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، الكويت ١٩٦٢ .
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء - حسين بن محمد الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦١ .
- المحمدون من الشعراء - علي بن يوسف القفطي (٦٤٦هـ) ، تحقيق : حسن معمري ، بيروت ، دار اليمامة ، ١٩٧٠ .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان - عبدالله بن أسعد بن علي اليافعي (٧٦٨هـ) ، حيدر آباد الدكن ١٣٣٧ - ١٣٣٩هـ .
- مراتب النحويين ـ أبو الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي (٣٥١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٥ .
- المرصع في الآباء والامهات والبنين والبنات ..ـ مجدالدين المبارك بن محمد بن الأثير (٦٠٦هـ) ، تحقيق : الدكتور ابراهيم السامرائي ، بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٧١ .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر - علي بن الحسين المسعودي (٣٤٦هـ) ، بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٧٣ .
- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد(خ) - اختيار أحمد بن أيبك بن عبدالله الحسيني المعروف بابن الدمياطي ، مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد برقم (م خ ٢٥) .
- مصادر التراث العربي - الدكتور عمر الدقاق ، بيروت ، مكتبة دار الشرق ، ط٣ ، ١٩٧٢ .
- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية - الدكتور ناصرالدين

الأسد ، القاهرة ، دار المعارف ، ط٤ ، ١٩٦٩ .
- مصارع العشاق - أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج (٥٠٠هـ) ، بيروت ،دار صادر ، ١٩٥٨ .
- مصطلح التاريخ - الدكتور أسد رستم ، بيروت ، المطبعة العصرية ، ط٣ ، ١٩٥٥ .
- المطرب من أشعار اهل المغرب - ذو النسبين عمر بن حسن المعروف بابن دحية الكلبي (٦٣٤هـ) ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، الدكتور حامد عبدالمجيد ، الدكتور أحمد أحمد بدوي ، القاهرة ، المطبعة الاميرية ١٩٥٤ .
- مطمح الأنفس - الفتح بن خاقان (٥٣٥هـ) ، القسطنطينية ، مطبعة الجوائب ، ط١ ، ١٣٠٢هـ .
- معالم العلماء - محمد بن علي بن شهراشوب المازندراني (٥٨٨هـ) ، النجف ، المطبعة الحيدرية ، ١٩٦١ .
- المعاني الكبير - ابن قتيبة ، حيدر آباد الدكن ، ط١ ، ١٩٤٩ .
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب - عبدالواحد بن علي التميمي المراكشي (٦٤٧هـ) ، تحقيق : دوزي ، ليدن ، ط٢ ، ١٩٦٨ .
- معجم الأدباء - ياقوت بن عبدالله الحموي (٦٢٦هـ) ، تحقيق : مرجيليوث ، القاهرة ، مطبعة أمين هندية (تصوير مكتبة المثنى ببغداد) .
- معجم الشعراء - محمد بن عمران المرزباني (٣٨٤هـ) ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ١٩٦٠ .
- المعيد في أدب المفيد والمستفيد - عبدالباسط بن موسى بن محمد العلموي (٩٨١هـ) ، دمشق ، المكتبة العربية ، ١٣٤٩هـ .
- المغرب في حلى المغرب - أتم تأليفه علي بن موسى بن سعيد المغربي (٦٨٥هـ) :

(قسم الاندلس) ، تحقيق : الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٣ - ١٩٥٥ .

(قسم مصر - الجزء الاول) ، تحقيق : زكي محمد حسن ، الدكتور شوقي ضيف ، الدكتورة سيدة محمد كاشف ، القاهرة ، جامعة فؤاد الأول ١٩٥٣ . (قسم القاهرة المسمى بالنجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة) تحقيق : الدكتور حسين نصار ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٧٠ .

- مفاتيح العلوم - محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (٣٨٧هـ) ، القاهرة ، مطبعة الشرق ، ط١ ، ١٣٤٢هـ .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة - احمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زادة (٩٦٨هـ) ، تحقيق : كامل كامل بكري ، عبدالوهاب ابو النور ، القاهرة ، دارالكتب الحديثة ١٩٦٨ .
- مفتاح العلوم - يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (٦٢٦هـ) ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ط١ ، ١٩٣٧ .
- المقابسات - أبو حيان التوحيدي ، تحقيق : الدكتور محمد توفيق حسين ، بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٧٠ .
- مقدمة ابن الصلاح - ينظر : التقييد والايضاح .
- المكتبة العربية - الدكتور عزة حسن ، دمشق ١٩٧٠ .
- من غاب عنه المطرب - أبو منصور الثعالبي ، طبع ضمن مجموعة : التحفة البهية والطرفة الشهية ، مطبعة الجوائب ١٣٠٢هـ .
- مناهج البحث العلمي - الدكتور عبدالرحمن بدوي ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٨ .
- مناهج البحث عند مفكري الاسلام - الدكتور علي سامي النشار ، القاهرة ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٦٦ .

مناهج التأليف عند العرب - الدكتور مصطفى الشكعة ، بيروت ، دار الثقافة .

- مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي - فرانز روزنثال ، ترجمة الدكتور أنيس فريحة ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦١ .
- المنتحل - أبو منصور الثعالبي ، صححه وشرحه : أحمد أبو علي ، الاسكندرية ، المطبعة التجارية ، ١٩٠١ .
- المنتخب من كنايات الأدباء واشارات البلغاء - أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني الثقفي ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٠٨ .
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء - حازم القرطاجني (٦٨٤هـ) ، تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، تونس ١٩٦٦ .
- منهج البحث الأدبي - الدكتور علي جواد الطاهر ، بغداد ، مطبعة أسعد ، ط٢ ، ١٩٧٢ .
- منهج البحث التاريخي - الدكتور حسن عثمان ، القاهرة ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٧٠ .
- منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين - ثريا ملحس ، بيروت ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٠ .
- منهج النقد التاريخي عند المسلمين والمنهج الأوربي - الدكتور عثمان موافي ، الاسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية .
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري - أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (٣٧٠هـ) ، هتحقيق : السيد أحمد صقر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٥ .
- المؤتلف والمختلف - الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ١٩٦١ .
- الموشى - الوشاء ، تحقيق : كمال مصطفى ، القاهرة ، مطبعة الاعتماد ، ط٢ ، ١٩٥٣ .
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء - محمد بن عمران المرزباني ، تحقيق : علي البجاوي ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، ١٩٦٥ .

- الميسر والقداح - ابن قتيبة ، صححه وعلق عليه : محب الدين الخطيب ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ط٢ ، ١٣٨٥هـ .
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء - أبو البركات كمال الدين بن عبدالرحمن بن محمد بن الأنباري (٥٧٧هـ) ، تحقيق : الدكتور ابراهيم السامرائي ، نشر مكتبة الأندلس ببغداد ، ط٢ ، ١٩٧٠ .
- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة - المحسن التنوخي ، تحقيق : عبود الشالجي ، بيروت ، دار صادر ١٩٧١ - ١٩٧٣ .
- النقائض (نقائض جرير والفرزدق) - أبو عبيدة معمر بن المثنى ، تحقيق : بيفان ، ليدن ١٩٠٥ ، (تصوير مكتبة المثنى ببغداد) .
- النقد التاريخي - ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٢ .
- نقد الشعر - قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) ، تحقيق : كمال مصطفى ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ط٢ ، ١٩٦٢ .
- نكت الهميان في نكت العميان - صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (٧٦٤هـ) تحقيق : هأحمد زكي ، القاهرة ، المطبعة الجمالية ١٩١١ .
- نهاية الأرب في فنون الأدب - شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري (٧٣٣هـ) ، القاهرة ، دار الكتب المصرية .
- النوادر في اللغة - أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري (٢١٤هـ ؟) ، صححه وعلق عليه : سعيد الخوري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط٢ .
- نوادر المخطوطات - مجموعة من الكتب القديمة بتحقيق الاستاذ عبدالسلام هارون ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٤ - ١٩٥٥ .
- نور القبس المختصر من القبس في أخبار النحاة والأدباء ... اختصار

الحافظ اليغموري (٦٧٣هـ) ، تحقيق : رودولف زلهايم ، فيسبادن ١٩٦٤ .

- الواضح في مشكلات شعر المتنبي - أبو القاسم عبدالله بن عبدالرحمن الأصفهاني (ق٥) ، تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ١٩٦٨ .
- الوافي بالوفيات - صلاح الدين الصفدي ، جـ ١ ، ٢ تحقيق : ريتر ، فيسبادن ١٩٦١ ، جـ ٣ ، ٤ تحقيق : ديدرينغ ، فيسبادن ١٩٧٢ ، جـ ٧ تحقيق : الدكتور احسان عباس ، فيسبادن ١٩٦٩ ، جـ ٨ تحقيق : محمد يوسف نجم ، فيسبادن ١٩٧١ .
الاجزاء المخطوطة : مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد .
- الورقة - محمد بن داوود بن الجراح (٢٩٦هـ) ، تحقيق : عبدالوهاب عزام ، عبدالستار احمد فراج ، القاهرة ، دار المعارف ، ط٢ .
- الوساطة بين المتنبي وخصوصه - القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني (٣٩٢هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، علي البجاوي ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ط٤ ، ١٩٦٦ .
- وشاح الدمية (خ) - علي بن زيد البيهقي (٥٦٥هـ) ، مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد برقم (م خ ١٢٥) عن مخطوطة بمكتبة حسين چلبي في تركيا .
- وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان - شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٨١هـ) ، تحقيق : الدكتور احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٨ - ١٩٧١ .
- وقعة صفين - نصر بن مزاحم (٢١٢هـ) ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ط١ ، ١٣٦٥هـ .
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - أبو منصور الثعالبي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ط٢ ، ١٩٥٦ .

الفهارس

الآمدي : ٢٠ ، ٣٣ ، ٤٨ ، ٦٧ ، ٨٥ ، ١٠٨ ، ١٣٣ ، ١٥٤ ، ١٦١ ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ .
ابن الأبّار : ٦٤ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٢٥ ، ١٦٧ ، ٢١٥ .
ابراهيم بن المدبر : ٢١٠ ، ٢٢٢ ، ٢٤٦ .
ابن الاثير (ضياء الدين) ٢٤ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٨٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٨٨ ، ٢٠٢ ، ٢٣٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ .
أحمد بن ابي طاهر (طيفور)٧٦ ، ٩٣ ، ٢٢٠ .
أبو أحمد العسكري ٢١ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ١٢٣ ، ١٨٢ ، ١٩٦ .
أحمد بن محمد بن فرج الجياني ١٥٠
أحمد بن محمد القرشي الغرناطي ٨٩ .
أسامة بن منقذ ٦٤ ، ١٣٢ ، ٢٥٥
أسد رستم ٦ ، ١٠٤
ابن ابي الاصبع المصري ٦٥ ، ١١١ ، ١٣٢ ، ٢٥٥ .
الأصمعي ١٤ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ١١٧ ، ١٣٣ ، ١٥٧ ، ٣٣٤ .
ابن الأعرابي ٤٥ ، ١٤ ، ١١٩ .
ألدوميلي ٥ .
أمجد الطرابلسي ٢٤ .

- ب -

الباخرزي ٢٢ ، ٦٤ ، ٨٥ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١٣٢
الباقلاني ٦١ .
بدر الدين الغزي ٣٧
ابن بسام الشنتريني ٢٢ ، ٣٥ ، ٥٧ ، ٧٤ ، ٨٩ ، ١٠٨ ، ٢٢٦ .
ابن بشكوال ٦٤ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٠ ، ١٣٦ .

- ت -

التبريزي ٢١٧ ، ٢١٩ .
التهانوي ٣٥ ، ٣٧
التوزي ١٣٣

- ث -

ثريا ملحس : ١٠٤ .
الثعالبي : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٣٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٧٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ .
ثعلب : ١٩ ، ٤٥ ، ٩٠ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٥

- ج -

الجاحظ : ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣١ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٤ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ .
ابن الجراح : ١٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٩ ، ١٤٥ ، ١٥٩ .
ابن الجزري ٢١٧ ، ٢١٩ .
ابن جماعة ٨ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٥٩ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٤ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ .
جمال الدين الوطواط ١٥١ .
ابن الجوزي ٧٥ ، ٢٤٢
الجوهري ٣٤ .

- ح -
أبو حاتم السجستاني : ٥٠ ، ١٥٤ .
حازم القرطاجني ١٣٦ ، ١٤٩ .
ابن ابي الحديد ٨٨ .
الحريري ٤١ ، ٤٢ ، ٦٨
ابن حزم الظاهري ٥٨ ، ٧٥ ، ٢٠٤ .
الحصري : ٢٤ ، ٩٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣١ ، ٢٤٠ .
حماد الراوية ١٤ ، ١٥٣ .
حمزة الأصفهاني : ٢١ ، ٤٧ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٨٧ ، ١٥٤ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨٨ ، ٢٣٣
الحميدي : ٢١٩ .
ابو حيان التوحيدي : ٣٦ ، ١٠٧ ، ١١ ، ١٦٨ ، ٢٩٣ ، ٢٣٣ ، ٢٤٥ .

- خ -
الخطيب البغدادي ٣١ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ٧٥ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١١٧ ، ١٣٢ ، ٢٣٠ .
ابن خلكان ٦٤ ، ٩٩ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٩ .
أبو خليفة الجمحي ٨٩
الخليل بن أحمد ١١٦ ، ١٢٧
ابن خير الاشبيلي ٩٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ .

- د -
ابن داود الأصفهاني ١٤١ ، ١٤٥ .
ابن داود الحلي ٢١٥ ، ٢١٧ .
ابن درستويه ٦٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٤٨ .
دعبل الخزاعي ١٦ ، ١٤٣ ، ٢٢٩ .
ابن ابي الدنيا ٦٣ ، ٧٥
ابن الدهان النحوي ٤٧ ، ٦٢ ، ٧٥ ، ١٩٥ ، ٢٢٨ ، ٢٤٢

- ر -
الراغب الأصفاني ٣١
ابن رشيق القيرواني ٢٤ ، ١١٤
الرقيق القيرواني ٧٤
الرماني ٢٤٨
روزنتال ٦ ، ٢٨
الرياشي ٤٥

- ز -
الزبيدي (محمد بن الحسن) ٦٩ ، ١٣٣ ، ١٣٣
الزبير بن بكار ٤٦
الزجاجي ٢٣٠
أبو زكريا النووي ٣٧
ابن الزملكاني ٢٣٨ ، ٢٤٠
ابو زيد الانصاري ١٤ ، ٢٣٢

- س -
السخاوي ١٣٦ ، ٢٥٧
السراج الوراق ٨٥ ، ٨٨ ، ١١٩
سعد بن الحضيري الوراق ٢٢ ، ٦٤
ابن سعيد المغربي ٢٢ ، ٦٤ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٥ ، ١٣٤ ، ٢٥٠ .
السكاكي ٢٤ ، ١٣٩
ابن سلام الجمحي ١٥ ، ٥١ ، ٨٩ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ٢٣٣ ، ١٦ ، ١٨ .
السمعاني ١٠٠ ، ٢١٢
ابن سنان الخفاجي ٤٩ ، ٥١ ، ٥٤ ، ١٧٠ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ٢٤٠
السيرافي ٤١ ، ١١٩
سينوبوس ١٩٩
السيوطي ٢٨ ، ٤١

- ش -
الشريشي ٧٧ ، ١٢٢ ، ٢٠٤
الشريف الجرجاني ٣١ ، ٤١ .
الشريف المرتضى ٩٢ ، ١٩٣ .
شوقي ضيف ١٢٧ ، ١٧١

- ص -
الصاحب بن عباد ٤٧ ، ٧٦ ، ٩٥ ، ٢٤٠ .
الصفدي ٣٥ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ١٠٢ ، ١٣٣ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ .
ابن الصلاح ٢٠٥ ، ٢١٨ .
الصولي (ابو بكر) ٣٦ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ١٥٥/١٥٨ ، ١٧١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ .

- ط -
طاش كبرى زادة ٩١ ، ٩٢
ابن طباطبا العلوي ٣٠ ، ١٨١ ، ٢٢٨
ابن طلحة القرشي ١٣٨ .
ابو الطيب اللغوي ٤٥ ، ٥٢ ، ٨٩ ، ١٢٦ .

- ظ -
ابن ظافر الازدي ١١٥

- ع -
ابو العباس الجرجاني ٥٩ .
عبد الحميد الشلقاني ١٥ .
ابن عبد ربه ٢٠ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ١١٧ ، ١٣٤ ، ٢٣٥ .
عبد السلام هارون ٢٢٩
عبد الكريم الاشتر ١٧ .
عبد الله بن عبد العزيز البغدادي ١٨ .
ابو عبد الله النمري ٥٤ .
عبد الواحد المراكشي ٤٣ ، ٩٥ .
ابو عبيد البكري ١٥٦ ، ١٧٦ .
ابو عبيدة ١٤ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ، ٢٤٠
عثمان موافي ٦
عز الدين بن الاثير ٢١٤ ، ٢٢٤ .
عز الدين الزركشي ٣٧ .
عزة حسن ٢٤ ، ١٨٠ .
ابو العلاء المعري ٢٤ ، ٩٣ .
العلموي ٢٨ ، ٧٠ ، ٢١٤
علي جواد الطاهر ١٢ .
علي بن حمزة البصري ٢١ ، ٥١ ، ١٨٢ .
علي بن زيد البيهقي ٢٢ ، ٨٣ .
علي سامي النشار ٦
علي بن محمد بن نصر بن بسام ٧٦ ، ٧٦ ، ٢٤٠
العماد الاصفهاني ٢٢ ، ٢٣ ، ٦٥ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤٠ .
عمر الدقاق ٢٤ .
ابو عمر الشيباني ١١٨ ، ٢١٩ .
ابو عمرو بن العلاء ١١٨ .
العميدي ٤٨ .
ابن ابي عون ٦٠ .
عيسى بن عمر ٤١ ، ١١٩

- غ -
الغبريني ٩١ ، ٢٠٢ .

- ف -
ابن فارس اللغوي ٥٥
الفتح بن خاقان ١١٣ ، ١٤٩ .
ابو الفرج الاصفهاني ٣٥ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٧٨ ، ٨٩ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٢٩ ، ١٥٩ ،

١٦١ ، ١٦٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٣٠
ابن الفرضي ٦٤ ، ٩٦ ، ١٢٤ ، ٢٤٠ .
الفيروزابادي ٤٢ ، ٩٥ ، ٢١١

- ق -

ابو القاسم الاصفهاني ٦١ .
القاسم بن سلام (ابو عبيد) ١٠٨ ، ١٢٧ .
القاضي الجرجاني ٤٢ ، ٤٤ ، ١٨٢ ، ١٨٩، ١٩٨ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ .
القاضي عياض ١٥٤ .
القالي ٦٤ ، ٩٣ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٥٨ ، ١٧٢
ابن قتيبة ١٨ ، ١٩ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ١١١ ، ١٢٧ ، ١٣٥ ، ١٤٨ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٨٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٥٣ .
قدامة بن جعفر ٢٠ ، ٥٥ ، ٧٨ ، ١٥١ ، ٢٠٥ ، ٢٣١ .
ابن القطاع الصقلي ٧٣ .
القفطي ٧٦ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٩٤ ، ١٢٧ ، ٢٤٠ .
القلقشندي . ٢٤ ، ٤٩ ، ٦٨ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٤٣ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ .
ابن قيم الجوزية ٣٤ ، ٧٣ .

- ك -

الكسائي ١١٦ ، ١٢٠
الكلاعي ٢٥ ، ٧٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٧ .
ابن الكلبي ١٤ ، ٤٢ ، ٧٧ ، ٢٣٠ .
ابن الكوفي ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ٢١٦ .
كيسان ١٢٠ ، ١٢١ .

- ل -

لانجلوا : ٩٤ ، ١٨٤ .

- م -

الماوردي ٢١٦ ، ٢١٧
المبرد ١٨ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٧٤، ١٣٤ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ .
مجد الدين بن الاثير ٥٤ .
المحسن التنوخي ٣٨ ، ٦٤ ، ٧٨ ، ١٠٢ ، ١٣٣ ، ١٣١ .
محمد بن احمد الخوارزمي ٢١ ، ٤٠ ، ١٣٨ ، ٢٤٨ .
محمد بن حبيب ١٥ ، ١٦ ، ٧٥ ، ٢٥٣
محمد بن خلف (وكيع) ٣٩ .
محمد زغلول سلام ١٤٥
المدائني ٣٦ ، ١١٨ .
المرزباني ٢٠ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٦٥ ، ٩٤ ، ١٤٨ ، ٢٠٢ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ .
المرزوقي ٣٤ .
المسعودي ٥٩ ، ٨٩ ، ١٦٧ .
مصطفى الشكعة ، ٢٤ .
المعافى بن زكريا ١٥٠ .
ابن المعتز ١٨ ، ١٩ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٥٨ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ١٠٨ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٧٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ .
المفضل بن سلمة ١٦٨ .
المفضل الضبي ١٤ .
ابن منظور ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٥٢
مهلهل بن يموت بن المزرع ٧٦ .

- ن -

ابن النديم ١٩ ، ٢٢ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ٢٠١ ، ٢٢٢ ، ٢٥٢ .

ابو نعيم الأصفهاني ٩٦ .
النواحي ٧٥ ، ٢٤٠ .
النويري ٥٧ ، ١٣٨ .
النيسابوري (محمد بن الحسن) ٦٤ ، ٧٥ .

- هـ -

هارون بن علي المنجم ١٩ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٧٣ .
ابن هشام ١٤ ، ٥٠ ، ٥١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، .
أبو هلال العسكري ٢٠ ، ٤٢ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ١٢٠ ، ١٣٧ ، ١٧٦ ، ٢٤٠ .

- و -

الوشاء ٢١ ، ٣٥ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ١٤٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٨ ، .
ابو الوليد الحميري ٤٣ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٦ .
ابن وهب الكاتب ٢١٠ .

- ي -

ياقوت الحموي ٢٣ ، ٣٥ ، ٧٠ ، ٩٢ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ٢١٥ .
يحيى بن علي بن ابي منصور بن المنجم (أبو أحمد) ١٩ .
ابن يعيش الحلبي ٦٩ ، ٧٠ ، ١٠٢ .

فهرس الكتب

- أ -

الابانة عن سرقات المتنبي ٤٨ ، ٩٤ .
الاحاطة في أخبار غرناطة ٩٢ .
احكام صنعة الكلام ٢٥ ، ٣٦ ، ٣٠ ، ٥٥ ، ٦٩ ، ١٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ،
أخبار ابن الرومي ٧٦ .
أخبار ابن مناذر ، ٧٦ .
أخبار ابن هرمة ٧٦ .
أخبار ابي تمام ٤٦ ، ١٧٣ .
اخبار الاحوص ٧٦ .
اخبار الاذكياء ٧٤ .
أخبار أصبهان ٧٩ ، ٩٦ .
أخبار البحتري ١٦٨ .
أخبار بشار ٧٦ .
أخبار الحمق والمغفلين ٢٤٦ .
أخبار السيد الحميري ٧٦ .
أخبار الشعراء ٧٩ ، ٨٣ ، ١٥٥ ، ٢٣٧ .
أخبار شعراء مصر ٧٣ .
أخبار الظراف والمتماجنين ٧٤ ، ٢٤٤ .
اخبار النحويين البصريين ٤١ ، ١١٧ ، ١١٩ .
أخلاق الوزيرين ٣٦
اداب المتعلمين ٣٩ .
ادب الاملاء والاستملاء ١٠٠ .
ادب الدنيا والدين ٢٠٧ ، ٢١٩ .
ادب الكاتب ٦٧ ، ٣٣٢ .
ادب الكتاب ٦١ ، ٦٧ ، ٢٢٢ ، ٢٣٣ .
الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان ٤٥ ، ٤٨ ، ٦١ ، ٧٦ ، ٢٠٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ .
اسرار البلاغة ٣٠ ، ٣١ ، ٤٢ ، ١٣٩ .
اسماء المغتالين من الاشراف ١٦ .
الاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين ٢٤٥ .
الاشتقاق ١٧٧ .
الأشربة ١٩ .
اشعار اولاد الخلفاء ٢٣٨ .
اصلاح المنطق ٢٣٢ .
الأصمعيات ١٤ .
الأصنام ١٤ ، ٧٨ ، ١٧٦ ، ٢٣٣ .
اصول نقد النصوص ١٥ .
اعتاب الكتاب ٢٤٥ .

اعجاز القرآن ٣٠ ، ٦١ .
الاعلان بالتوبيخ ٩١ ، ١١٩ ، ١٣٦
الاغاني ٣٩ ، ٤١ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢٣٢ .
القاب الشعراء ومن يعرف منهم باسمه ١٦ .
الالماع الى اصول الرواية ١٥٤ .
الأمالي ٦٤ ، ١٥٦ ، ١٧٢ .
امالي المرتضى ١٨٧ ، ١٩٧ .
الامتاع والمؤانسة ٣٧ ، ٢٠٦ ، ٢٣٤ ، ٢٤٥ .
الأمثال ١٧٧ .
الأمثال السائرة من شعر المتنبي ٧٦ .
انباه الرواة ٣٠ ، ٣٦ ، ٧١ ، ٧٩ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ٢٥٤
الايجاز والاعجاز ١٤٢ ، ٢٥٢ .
أيها الولد ، ٣١ .

- ت -

البارع لابن المنجم ١٩ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٧١ .
البارع للقالي ١٢٣ ، ١٢٤ .
الباهر لابن المنجم ١٩ .
البحث الأدبي ١٣٦ ، ١٦٩ .
البخلاء للجاحظ ١٧ ، ٧٤ ، ١٤٨ ، ١٦٢ .
البديع ١٩ ، ٤٤ ، ٥٦ .
البديع في نقد الشعر ١٣٢ ، ٢٥٥ .
البديع في وصف الربيع ٣٠ ، ٤٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٧٥ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ .
بديع القرآن ٤١ ، ٦٥ ، ١١١ ، ١٣٢ ، ٢٥٦ ،
البرصان والعرجان ١٧ ، ٧٤ .
البرهان في وجوه البيان ٥٩ ، ٢٠٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ .
البرهان الكاشف ٢٤١ .
البصائر والذخائر ٧٩ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١٤٥ ، ١٦٧ .
بغية الملتمس ٣٠ ، ١٥١ ، ٢١٧ .
بغية الوعاة ٣٠ ، ٤١ .
بلاغات النساء ٢٢٠ .
البلغة في تاريخ ائمة اللغة ٤١ ، ٩٧ ، ٢٢٧ .
البيان المغرب ٢٥٦ .
البيان والتبيان ٧ ، ١٧ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٦١ ، ٨٠ ، ١١٨ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٧٧ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٨ .

- ب -

تاريخ بغداد ٣٥ ، ٤٣ ، ٦٤ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٩٥ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ٢٠٢ ، ٢٢٥ .
تاريخ علماء الاندلس ٣٠ ، ٦٥ ، ٩٥ ، ١٢٤ ، ٢٤٢ .
تاريخ النقد العربي ١٤٥ .
تأليف مختلف الحديث ١٩٥ .
تأويل مشكل القرآن ٤٤ ، ١٢٩ ، ١٨٤ .
تتمة اليتيمة ٦٤ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ .
تحرير التحبير ١٢٩ ، ١٨٢ .
تحقيق النصوص ونشرها ٢٢٥ .
تذكرة السامع والمتكلم ٨ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٥٧ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١١٤ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٨ .
التشبيهات ٦١ .
التطفيل وحكايات الطفيليين ٧٥ .
التعريف بادب التأليف ٢٨ ، ٣٨ ، ٢٠٣ .
التعريفات ٣١ ، ٤١ .
التفاحة ٧٥ .
التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم ١٤٢ .
تقييد العلم ١٠٥ ، ١١٧
التكملة لكتاب الصلة ٦٥ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٢٠٩ .
التكملة لكتاب الصلة ٦٤ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٢٠٦ .
التلخيص في معرفة اسماء الاشياء ١١٧ ، ١٧٦ .
التنبيه على اوهام لابي علي ١٧٩ .

التنبيه على حدوث التصحيف ٢١ ، ٤٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٧٩ ، ١٩٢ ، ٢٢٥ .
التنبيه والاشراف ٥٩
التنبيهات على اغاليط الرواة ٢١ ، ٤٩ ، ١١٣ ، ١٦٧ ، ١٧٩ .

- ث -

ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ٢٤٧ .
ثمار القلوب ٦٦ ، ٢٣٣ .

- ج -

جامع بيان العلم ٥٤ .
الجامع الكبير ٣٠ ، ٤١ ، ٥٥ ، ١٢٩ ، ١٣٥ ، ٢٥٢ .
جذوة المقتبس ٣٠ ، ٨١ ، ١٤٩ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٠٦ ، ٢١٥ .
الجليس الصالح ١٥٠ .
الجمان في تشبيهات القرآن ٢٤٥ ، ٢٤٧ .
جمع الجواهر ٩٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ .
جمهرة الامثال ٦١ ، ٦٤ ، ٢٥٢ .

- ح -

الحدائق ١٥٠
حركة التأليف عند العرب ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤
حلية الكميت ٧٤ ، ٢٤٣ ، ٢٥٣
الحلة السيراء ٧٥ ، ١٠٣ ، ١٢٧ ، ١٦٥
حلية الفرسان ٤٠
الحيوان ١٧ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٨٢ ، ٩٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢١٣ .

- خ -

خاص الخاص ١٤٢ .
خريدة القصر ٢٢ ، ٢٥ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٦٢ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩ .
خزانة الادب ٣٣٠ .

- د -

الدر النضيد ٣٧ .
الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة ٧٣ .
درة الغواص ٤٨ ، ٦٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ .
دستور العلماء ٩٨ .
دعبل بن علي الخزاعي ١٧ ، ١٤٦
دلائل الاعجاز ٤١ .
دمية القصر ٢٢ ، ٦٤ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ٣٣٠ .
ديوان ابي تمام ٢١٧ ، ٢١٩ .
ديوان ابي نواس (رواية ابي بكر الصولي) ٥١ ، ١٦١ .
ديوان ابي نواس(رواية حمزة الاصفهاني) ٨٦ ، ١٥٧ ، ١٧٤ ، ١٨٨ ، ١٩٧ .
ديوان المعاني ٢٥١ .
ديوان الهذليين ١٥ .

- ذ -

الذخيرة ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٥٧ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٦ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ٣٣١
ذم الهوى ٤١ ، ٧٥ ، ٢٥٠ .
ذيل يتيمة الدهر ٦٤ .

- ر -
الرجال (لابن داود) ٩٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ .
الرجال (النجاشي) ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ .
الرسالة العذراء ٢٠٥ ، ٢٣٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ .
رسائل ابي حيان ، ٣٠ .
رسائل الجاحظ ٣٩ ، ٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ .
رواية اللغة ١٥ .
الروضة ٧٣ ، ١٣١ .
روضة المحبين ٣٤ ، ٧٥ ، ٢٤٩ .

- ز -
زهر الآداب ٢٤ ، ٣٩ ، ٣٣ ، ١٤٢ ، ٢٣١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ .
الزهرة ٧٢ ، ٧٧ ، ١٤٤ ، ١٤٩ .
زينة الدهر ٢٢ ، ٦٤ ، ٧٩ .

- س -
سحر البلاغة ٥٧ ، ٦٧ ، ٧٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٥٦ .
سر الفصاحة ٤١ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ١٣٢ ، ١٤٢ ، ١٧٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ .
سرقات ابي نواس ٧٦ .
سمط اللآلي ٣٠ ، ١٥٩
سيرة النبي ٤٩ ، ٥١ ، ١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٧٠ .

- ش -
شذرات الذهب ٣٨ .
شرح الحماسة ٢٤٥ .
شرح صدر ادب الكتاب للزجاجي ٢٣١ .
شرح صدر ادب الكتاب لابن القوطية ٢٣١ .
شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٢١ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٤٧ ، ١١٤ ، ١٣٣ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ٢٢٧ ، ٢٤٨ .
شرح المفصل ٦٨ .
شرح مقامات الحريري ٧٧ ، ١٢٥ ، ٢٠٣ ، ٢٢٧
شرح مقدمة أدب الكاتب ٢٣٠ .
الشعر والشعراء ١٨ ، ٥١ ، ٧٢ ، ١٦٢ .
شعراء اصبهان ٧٣ .

- ص -
صبح الاعشى ٨ ، ٢٣ ، ٤٨ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٧٨ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ .
الصداقة والصديق ١٤٥ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ .
الصلة ٣٠ ، ٦٥ ، ٩٦ ، ١٣٩ ، ٢٠١ .
الصناعتين ٢٠ ، ٤٢ ، ٦٠ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٢ .

- ض -
الضوء اللامع ٢٥٨ .

- ط -
طبقات الشعراء (لابن المعتز) ١٩ ، ٤١ ، ٥٧ ، ٧٣ ، ١٠٨ ، ١٣٢ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٧١ ، ١٨٤ ، ١٨٤
طبقات الشعراء (لدعبل الخزاعي) ١٧ ، ١٨ ، ١٤٦ ، ١٨٤ .
طبقات فحول الشعراء ١٥ ، ٥١ ، ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٢٩ .
طبقات النحويين واللغويين ٧٩ ، ١٢٠ ، ١٢٤ .
طرق البحث ٥٢ .
طوق الحمامة ٥٧ ، ٧٥ .

- ع -
العتابية ١٨٣ ، ١٩٢ .
العقد (للوشاء) ٧٥ ، ٧٧ .

العقد الفريد ٢٠ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٣ ، ١١٧ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ٢٣٧ .
عقلاء المجانين ٦٣ ، ٧٤ .
العلم عند العرب ٦ .
العمدة ٢٤ .
عنوان الدراية ٨٩ ، ٩١ ، ٢٠٣ .
عيار الشعراء ٣٠ ، ١٨٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٧ .
عين الادب والسياسة ٥٥ ، ١٤٥ .
عيون الأخبار ١٨ ، ٢٠ ، ٥٢ ، ٦٦ ، ١١١ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ .

- غ -

غاية النهاية ٢١٧ .
غرر الخصائص ١٥٠ ، ٢٤٩ .
الغصون اليانعة ٢٥٣ .
الغيث المسجم ٨٤ .

- ف -

الفاخر ١٦٦ .
الفاضل ١٩ ، ٣٣٠ ، ٤٢ ، ١٣٤ ، ١٧٨ ، ٢٤٧ .
الفاضل في صفة الادب الكامل ١٣٢ ، ١٤٣ .
فحولة الشعراء ٥١ ، ١٥٥ ، ١٧٤ ، ٢٣٣ .
الفرج بعد الشدة ٣٧ ، ٦٣ ، ٧٧ .
فصول الخمايل ٧٥ .
الفلك الدائر ٩٢ .
الفهرست (لابن النديم) ١٩ ، ٢٢ ، ٥٣ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٨ ، ١٩١ ، ٢١١ ، ٢٣٨ .
الفهرست (للطوسي) ٧٥ ، ٨٨ ، ١١٧ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ .

- ق -

قطب السرور ٧٣ .
قواعد الشعر ١٩٠ .

- ك -

الكامل ١٩ ، ٣٠ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، كتاب الكتاب ٦٧ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٨ ، ٢٤٨ .
الكتاب وصفة الدواء والقلم ١٨ ، ١٤٠ .
كشاف اصطلاحات الفنون ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٨ .
كشف الظنون ٣١ .
الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ٣١ ، ٤٧ ، ٧٦ ، ٢٤١ .
كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه ١٦ ، ٧٤ .
الكتابة والتعريض ٧٧ .

- ل -

اللباب في تهذيب الانساب ٢٠٦ ، ٢٢١ .
لسان العرب ٢٩ ، لجنر ، لغد ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ١٠٥ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٥٢ .

- م -

المآخذ الكندية من المعاني الطائية ٤٧ ، ٦٢ ، ٧٦ ، ١٩٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ .
المثل السائر ٢٤ ، ٣٠ ، ٧٣ ، ٨٧ ، ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٨٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ .
مجاز القران ١٧٤ .
مجالس ثعلب ٨٨ ، ١٧٤ .
مجالس العلماء ٤٦ ، ٨٣ ، ١٢٢ .
محاضرات الأدباء ٣١ .
المحدون من الشعراء ٧٤ .

مختصر العين ٦٩ .
مرآة الجنان ٧٩ ، ٢٠٧ .
مراتب النحويين ٤٦ ، ٥٢ ، ٧٧ ، ٩٢ ، ١١٩ ، ١٣٠ .
المرصع ٥٤ .
مروج الذهب ٣٠ ، ٨٧ ، ١٦٧ .
المسائل البغداديات ٥٢ .
المستفاد من ذيل تاريخ بغداد٣١ .
مصادر التراث العربي ٢٤ .
مصادر الشعر الجاهلي ١٣ ، ١٤ .
مصارع العشاق ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ١١٩ .
مصطلح التاريخ ٦ ، ٢٠٣ .
المطرب ٢١٠ .
مطمح الانفس ١٤٩ .
معالم العلماء ٧٩ ، ٩٣ .
معاني القرآن ١٧٤ ، ٢٣٢ .
المعاني الكبير ١٩ .
المعجب ٤٢ ، ٧٧ ، ٩٤ .
معجم الادباء ٢٣ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٢٠٣ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٢٠٦ ، ١١٨ ، ١٣٦ ، ١٢٨ ، ١٦٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ .
معجم الشعراء ١٩ ، ٣٥ ، ٩٣ ، ٦٢ ، ١٨٨ .
معجم المؤلفين ٣٨ .
المعجم في اصحاب القاضي الصدفي ٩١ .
المعلقات ١٤ .
المفيد في ادب المفيد والمستفيد ٢٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ .
المغرب في حلي المغرب ٢٢ ، ٦٤ ، ٧٨ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١١٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ .
مفاتيح العلوم ٢١ ، ٤٠ ، ١٣٨ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
مفتاح السعادة ٨٦ ، ٩١ ، ٩٢ .
مفتاح العلوم ٢٤ ، ١٤٢ ، ١٤٣ .
المفضليات ١٤ .
المقابسات ٢٠٣ .
مقاييس اللغة ٧٩ .
المقتفى للوشاء ٧٥ .
مقدمة ابن خلدون ٣٠ .
مقدمة ابن الصلاح ١٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٧ .
المقدمة في النحو ٣٥ .
المكتبة العربية ٢٤ .
من سمي عمراً من الشعراء ٧٤ .
من غلب عنه المطرب ٨٠ .
من قال بيتاً فلقب به ٧٤ .
من نسب الى امه من الشعراء ٧٤٠ .
مناهج البحث العلمي ١٧٩ .
مناهج البحث عند مفكري الاسلام ٦ .
مناهج التأليف عند العرب ٢٤
مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ٨٦ .
منائح القرائح ٢٣٠ .
المنتحل ٢٥١ ، ٢٥٥ .
المنتخب من كنايات الادباء ٥٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ .
مناهج البلغاء ٤١ ، ١١٣ ، ١٣٨ ، ١٥٠ .
منهج البحث الادبي ٥٢ ، ٩٦ ، ١٥١ .
منهج البحث التاريخي ٥٢ ، ١٢٩ .
منهج البحوث العلمية ٢٠٥ .
منهج النقد التاريخي ، ٦ .
الموازنة ٢٠ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ١٠٨ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٥٣ ، ١٧٢ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ .
المؤتلف والمختلف ٢٠ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١٥٩ ، ١٧٩ .
الموشى ٢١ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ١٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ .
الموشح ٤٦ ، ٦٥ ، ١٤٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، .
المونق في اخبار الشعراء ١٤٨ .
الميسر والقداح ١٩ .

- ن -

نزهة الالباء ٩٤ .
نشوار المحاضرة ٣٧ ، ٧٩ ، ١٠٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ٢٣٧ .
النفائض ١٤ ، ١٥ ، ٧٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٣٠ ، .
النقد التاريخي ٩٣ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ،
نقد الشعر ٢٠ ، ٣٩ ، ٥٦ ، ٢٣٨ ،
النكت في اعجاز القرآن ٢٤٧ .
نكت الهميان ٣٠ ، ٧٤ ، ٢١٧ ، ٢٣٩ ،
نهاية الادب ٨ ، ٣٠ ، ٥٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١١٦ ، ٢٣٧ .
النوادر في اللغة ١٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٩٨ ، ٢٤٠ .
نوادر المخطوطات ١٦ ، ٧٤ .
نور القبس ١٨٩ .

- و -

الواضح في مشكلات شعر المتنبي ٦٢ .
الوافي بالوفيات ٣٦ ، ٧٩ ، ١٠٢ ، ١٣٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ .
الورقة ١٩ ، ٧٣ ، ٨٨ ، ١٦١ .
الوساطة ٣٠ ، ٤٣ ، ١٦٢ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٧ .
وشاح الدمية ٢٢ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ .
وفيات الاعيان ٦٤ ، ٩٧ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٩١ ، ١٣٢ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠ .
وقعة صفين ١٧٤ .

- ي -

يتيمة الدهر ٢١ ، ٢٢ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٨٨ ، ٢٢٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ .

فهرس الموضوعات

المقدمة	**٥ ـ ١٢**
التمهيد : تطور التأليف الأدبي عند العرب	**١٣ ـ ٢٨**
الفصل الأول : البحث والباحث	**٢٩ ـ ٣٦**
١ ـ البحث	٢٩
٢٠ ـ صفات الباحث	٣٧ ـ ٥٢
الفصل الثاني : دواعي التأليف (اختيار الموضوع وتحديده)	**٥٣ ـ ٧٨**
١ ـ اختيار الموضوع	٥٣
٢ ـ تحديد الموضوع	٧١
الفصل الثالث : الأصول المصادر	**٧٩ـ١٠١**
١ ـ انواع الأصول	٨٠
٢ ـ وسائل العلم بالأصول (التعرف على المصادر)	٩٠
جمع الأصول	٩٤
الفصل الرابع : التحصيل (جمع المعلومات ونقلها عن المصادر)	**١٠٢ ـ ١٢٦**
١- جمع المعلومات	١٠٤
٢ ـ المواد المستعملة في الجمع والنقل عن المصادر	١١٥

الفصل الخامس : التقسيم والتبويب	**١٢٧ ـ ١٤٩**
١- التقسيم	١٣٠
٢ ـ التبويب	١٣٧
الفصل السادس : النقد الخارجي	**١٥٠ ـ ١٧٩**
١ ـ نقد المصادر	١٥٢
٢ ـ نقد التصحيح	١٦٧
الفصل السابع : النقد الداخلي	**١٨٠ ـ ٢٠٠**
١ ـ النقد الايجابي للتفسير	١٨١
٢ ـ النقد السلبي للنزاهة والدقة	١٨٧
الفصل الثامن : كتابة الموضوع	**٢٠١ ـ ٢٢٤**
١ ـ المسـودة	٢٠١
٢ ـ المبيضة	٢٠٣
٣ ـ الاضافة والالحاق	٢٢١
الفصل التاسع : المكملات	**٢٢٥**
١ ـ الخطة (المقدمة)	٢٢٦
٢ ـ التوطئة (التمهيد)	٢٣٤
٣ ـ الخاتمة	
٤ ـ الفهارس	٢٤٦
الخاتمة	**٢٥٥ ـ ٢٦٠**
المصادر والمراجع	**٢٦١ ـ ٢٨٢**
الفهارس	**<٧٢ - <٩٥**

تصميم الغلاف : راجحة القدسي
التصميم الداخلي : عالية محمد كريم
الخطوط : رضا الخطاط

دار الحرية للطباعة - بغداد

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والفنون

دار الحرية للطباعة - بغداد توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان السعر ٣٠٠ فلس

١٩٧٨